مختارات من

# مؤلفات آية الفضائل

مختارات من مؤلفات أبي الفضائل

شهر البهاء ١٣٧ بديع
آذار /مارس ١٩٨٠م

مختارات من

# مؤلّفات أبي الفضائل

—— • ——

من منشورات دار النشر البهائية في بلجيكا

MAISON D'ÉDITIONS BAHÁ'ÍES
205, RUE DU TRÔNE
1050 BRUSSELS, BELGIUM

اسرار الخلقه ويعلم تمام دقائق اسرار تلك النشأه ويعرف اعداد النجوم ويعلم عدد رمال البحار . فاني لا احفظ اسماء مخلوقات كرة القمر وعدة نفوس خلق المريخ ولم لم يعط الله للبشر جناحين ولم يخلق خلف راسه عينين . ولا اعرف حكمة تخصيص الورق بالسجع والتغريد والغراب بالنعاق والنعيب ولا اعلم ماذا تسمي الأمهات بناتهن في الأجيال الآتيه وبماذا يخاطب الآباء ابناءهم في القرون المقبله . فهل مجهولية هذه المسائل تستحق ان يجلب اليه انظارنا ونصرف في فهمها اعمارنا و نغفل عن الوعود الألهية التي جاءت اوانها وحلّ زمانها . فعليكم ايها الأخلاء بالنظر في حقائق الصحف المطهره ووصايا الألواح المقدسه لتفيدكم حيوة طيبة ابديه وقدرة غالبة سماويه . او النظر في المعارف التي ترجع الى عمار العالم وتفيد صلاح الأمم . ولا تخوضوا فيما لا يفيدكم شيئاً من المعارف الروحانيه او الفوائد المدنيه . واستظلوا في كل الأحوال بظلال الفرع الكريم المنشعب من الأصل القديم وتمسكوا بالعهد القويم المنعقد بارادة ربكم الرحمان الرحيم . لعلكم تبلغوا بحول الله تعالى الى درجة لم يبلغ اليها احد من الأولين ولن يسبقكم فيها نفس من الآخرين .

والحمد لله رب العالمين والبهاء على عباده الثابتين

كتبه الأقل ابو الفضل الجرفادقاني

(كلبايكاني) في ٢٢

رمضان ١٣١٨

هجريه

تطابق ١٢ ينايرمن سنة ١٩٠١ ميلاديه

في مدينه پورسعيد

[illegible]

نموذج من خط المؤلف وهو الصفحة الاخيرة من مقاله المطبوع في الصفحة ٢١٠–٢١٥ من هذا الكتاب والكلام الوارد في الهامش هو دعاء بحق الكاتب صدر من قلم حضرة عبد البهاء بخطه المبارك .

( نقل من كتاب « شرح احوال ميرزا ابو الفضائل كلبايكاني » )



أبو الفضل محمّد بن محمّد رضا گلپايگاني

(١٨٤٤ _ ١٩١٤)

# المحتـــوى

الصفحة





# كلمة الناشر

يحتوي هذا الكتاب مختارات مما كتبه « ابو الفضائل » باللغة العربية اخترناها للنشر طالما الحّ الاحباء الراغبون على اقتنائها .

لقد اعتمدنا في نقل المقالات الواردة في الكتاب « الطبعة الاولى » منها ، كما ان المقال المنشور في الصفحة ٣١٦ نقل من مجلة المقتطف المصرية الجزء التاسع من العدد العشرين المنشور بتاريخ اول سبتمبر ( ايلول ) ١٨٩٦ ، والرسالة الاخيرة نقلت من كتاب « رسائل ورقـائم ميرزا ابو الفضل » المنشور في عام ١٣٤ بديع (١٩٧٦ـ١٩٧٧) المحتوى على قسط مما كتبه الكاتب البليغ باللغتين الفارسية والعربية .

وتجدر الاشارة هنا بأن الكاتب حينما بدأ بتأليف « الحجج البهية » كان يهدف الى وضع كتاب شامل كـ «كتاب الفرائـد » الذي الـفه بالفارسية ، غير ان النسخ الموجودة من الكتاب اليوم لا تتعدى ابوابه من المقدمات الخمس التي يشير فيها الكاتب غـير مرة بأن للكتاب ابوابا وفصولا اخرى .

نرجو ان يمهد هذا الكتاب الطريق لكل من يرغب البحث والتحقيق في الامر البهائي بصورة عامة ومن زاوية صلته بالاديان السماوية المقدسة بصورة خاصة ، كما نسأل الله تعالى ان يجزي القائمين باعداد الكتاب للنشر جزاء المحسنين والله ولي التوفيق .

شهر البهاء ١٣٧ بديع

الموافـق آذار ١٩٨٠

**هيئة الطبع والنشر البهائية في بلجيكا**

# سيرة الكاتب

ليس من الممكن في مقال لا يتعدى مجاله بضع صفحات الاتيان ببيان شامل جامع الاطراف في سيرة رجل المعي موصوف بالادب والعلم والايمان، بحيث قلما نال مناله احد في ممر الدهور والاجيال ، فنال بحق لقب « ابي الفضائل » ، رجل صدر باسمه العديد من الالواح المباركة من مخزن القلم الاعلى توحي بمقامه العلمي والروحاني ، ومن يراعة حضرة عبد البهاء رسائل وخطب كثيرة في ايام حياته وتخليدا لذكراه العطرة بعد صعوده الى ملكوت ربه ، فضلا عن ذلك كيف يستطيع المرء ان يتناول تاريخ حياة هذا الكاتب العظيم في صفحات يسيرة وهو مؤرخ فذ سجل بقلمه البارع مواد غزيرة في تاريخ الامر البهائي ، ثم اصبحت حياته وخدماته بنفسها مادة تاريخية دسمة تناولها الكتّاب في رسائلهم وكتبهم والعديد من مقالاتهم .(١)

ومن اجل اعداد هذه السيرة المختصرة اعتمدنا على ما ورد في كتاب الاستاذ الفاضل روح الله مهرابخاني تحت عنوان « شرح احوال ميرزا ابو الفضائل كلبايكاني » ، الذي جمع في تصنيفه المنيف كافة المعلومات الواردة في الكتب والمقالات الاخرى .

ولد ابو الفضل محمد ابن محمد رضا كلبايكاني الملقب « بأبي

---

(١) ومن جملة من دونوا تاريخ حياة ابي الفضائل :

١ ـ حضرة الحاج ميرزا حيدر علي اصفهاني اعلى الله مقامه في كتاب الفه خصيصا لتاريخ حياة ابي الفضائل .

٢ ـ الاستاذ الفاضل ميرزا اسد الله فاضل مازندراني عليه رضوان الله في كتاب « ظهور الحق » .

٣ ـ الاستاذ البارع عزيز الله سليماني في كتاب مصابيح الهداية .

٤ ـ الاستاذ الفاضل روح الله مهرابخاني .

٥ ـ مقالات منشورة وغير منشورة بقلم كل من الاحباء الفضلاء محمد توفيق تريب وعلي قليخان نبيل الدولة وحسين علي روحي رضوان الله عليهم ، والاستاذ نصرة الله محمد حسيني .



الفضائل » في مدينـة كلبايكان ( جرفادقان ) الايرانيـة في عام ١٨٤٤ (١٢٦٠ هـ) ، وبعد ما اتم المناهج الدراسية الابتدائية في مسقط راسه ذهب الى مدينة سلطان آباد ( المسماة اليوم باراك ) طلبا للمزيد من العلم والمعرفة ، ثم الى مدينـة اصفهـان التي كانت مشهورة انذاك بـ « دار العلم » ، وهناك تتلمذ على الاساتذة المشهورين المرموقين فبرع في الآداب والفلسفة والالهيات واصبح حجة في اداب اللغة الفارسيـة والعربيـة .

كان ابو الفضائل في طور التخرج من معاهد اصفهان العلمية ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره ، حين توفي والده في موطنه فاضطر ان يزور داره واهله ، ومن ثم ان يذهب الى طهران حيث اتخذها مقاما له وذلك في عام ١٢٨٩ هجرية على وجه التقريب . عين ابو الفضائل مدرسا في مدرسة حكيم هاشم ثم اصبح رئيسا لها ، وبينما كان يدرس طلابه لم يغفل عن البحث بشأن مزيد من العلم والمعرفة حيث ظل يتردد الى مجالس اساتذة الالهيات والفلسفة المشهورين باختصاصهم واحاطتهم العلمية كالاستاذ ابي الحسن جلوة وغيره .

ليس المجال امامنا واسعا في هذه السيرة الموجزة لسرد الوقائع والحوادث التي ادت الى اتصال ابي الفضائل بالبهائيين ومن ثم ايمانه واعتناقه بالامر المبارك ، لذلك نحيل القارىء الكريم الى المصادر التي اوردنا ذكرها في هامش هذه السيرة ومجمل القول انه في اقباله الى امر حضرة بهاء الله كان بالحق مصداقا للآية الكريمة القرآنية :

**« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . »**

فبعد مجاهدة وبحث وتحر دامت شهورا وهو في حالة من القلق والحيرة بين القبول والرفض ، تشبث اخيرا بذيل المناجاة وانكب على التضرع والابتهال طالبا الهدايـة والرشاد والخلاص من الاضطراب النفسي الذي كان يعاني منه منذ معرفته بالامر البهائي واتصاله بالبهائيين، واخيرا تنور قلبه بنور الايمان ذات ليلة وهرع عند بزوغ فجرها الى منزل الحاج عبد الكريم التاجر الذي كان اول بهائي تحدث مع ابي الفضائل عن الامر الجديد ، ولم يكد الحاج عبد الكريم يفتح باب منزله على وجهه

الا رآه منحنيا امام عتبته يقبلها بخضوع وخشوع تعبيرا عن شكره وتقديره لمن كان له الفضل في ابلاغه الكلمة الالهية الطيبة ، وكان ذلك في اواخر عام ١٢٩٣ هجرية ( ١٨٧٦ ميلادية ) فبعد وصوله الى حالة اليقين والاطمئنان بحق هذا الظهور الاعظم اخذ القلم وكتب الآية المباركة القرآنية:

**« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار »**
(آل عمران الآية ١٩٣)

وارسلها الى حضرة بهاء الله معلنا عن ايمانه بالامر المبارك .

عاش ابو الفضائل بعد ايمانه ٣٨ عاما قام فيها بخدمة الامر البهائي ونصرته بقلمه وقدمه وضحى بكل ما كان يملك من المال والعلم في سبيل الامر الجديد وفضلا عن ذلك كان ابو الفضائل مثالا للخلق الكريم والشيم المرضية الانسانية حيث قال حضرة عبد البهاء في حقه **« يجب على الاحباء ان يجعلوا ميرزا ابو الفضائل مثلا اعلى يحتذون به في حياتهم »** .

ان ما تركه ابو الفضائل من تراث روحي وعلمي وادبي وتاريخي كان سببا في ذيوع صيته ليس في نطاق الجامعة البهائية فحسب بل تعدت شهرته هذه الحدود ، وذكر اسمه كباحث ومؤرخ وعالم في اكثر من كتاب وموسوعة علمية نظرا لصلاته الوثيقة مع من عاصره من الكتّاب والمؤرخين والمستشرقين وما ترك لديهم من اثار قلمه سواء باللغة الفارسية الاصيلة الخالية من الكلمات والالفاظ العربية او اللغة الفارسية الدارجة اليوم .

هناك لائحة مفصلة تتضمن ما كتبه ابو الفضائل من كتب ورسائل ومقالات لا يسمح لنا المجال في هذا المقال لنقلها وعلى المتتبع في احواله ان يراجع كتاب الاستاذ مهرابخاني المشار اليه في صدر هذا المقال .

اعتقل ابو الفضائل واستجوب اكثر من مرة وبقي رهن الاعتقال اول مرة لمدة ٥ اشهر اطلق سراحه فيما بعد واخرى بقي رهين السجن اثنين وعشرين شهرا وذلك في عام ١٣٠٠ هجرية مع العديد من وجهاء البهائيين ، وبعد خلاصه من السجن قام ابو الفضائل بنشر الامر البهائي متجولا في انحاء ايران وتركمنستان وقفقاز لمدة تسع سنوات انتهت بزيارة الاراضي المقدسة والتشرف بمحضر حضرة عبد البهاء زهاء عشرة



اشهر دون في رسائله ومقالاته كثيرا من انطباعاته عن هذه الزيارة التي ادت به الى المزيد من التعمق في خضم هذا الامر الالهي المبارك .

اقام ابو الفضائل في مصر بعد زيارة الاراضي المقدسة حتى عام ١٣١٧ هجرية (١٩٠٠ م) ، وبعد ذلك توجه الى اروبا وامريكا بناء على امر من حضرة عبد البهاء ودام سفره في الغرب قرابة خمس سنوات ثم عاد الى مصر ثانية وبقي فيها حتى وافته المنية الا انه كان يتردد الى زيارة عبد البهاء والاراضي المقدسة احيانا كما انه اقام فترة من الزمن في مدينة بيروت التي كانت تلك الايام مجمعا للشباب البهائي الذين وفدوا اليها للدراسة في الجامعة الامريكية .

صعد ابو الفضائل الى بارئه يوم الاربعاء ٢١ كانون الثاني ١٩١٤ عن عمر ناهز السبعين من الحياة المليئة بالمصائب والمشقات والحرمان والحافلة بالانجازات الادبية والعلمية والروحانية الرائعة وحين كان يلفظ انفاسه الاخيرة كان لسانه ناطقا بـ « الله الله الله » .

وفور وصول نعي ابي الفضائل الى مولاه حضرة عبد البهاء تليت برقيته المباركة الموجهة الى احباء مصر معزيا بهذه العبارات :

« قد ذرفت العيون واحترقت القلوب من هذه المصيبة الكبرى عليكم بالصبر الجميل في هذه الرزية العظمى (التوقيع : عباس) . »

ثم اقيمت حفلات تأبينية متعددة شرّفها حضرة عبد البهاء وتحدث عن مناقب الراحل الكريم اكثر من مرة كما ضمّن بعض رسائله والواحه الموجهة الى الاحباء انذاك مدى تأثره من فقدان ذلك الرجل المنقطع النظير .

وبناء على امر من حضرة عبد البهاء اقيمت حفلات تأبينية في انحاء العالم حيثما وجد الاحباء فلهجت السن الشعراء والادباء والكتاب نظما ونثرا في رثائه واحياء لذكراه ، ولكي يتبين للقارىء الكريم مقدار محبة حضرة عبد البهاء لابي الفضائل وتقديره له ندرج في ما يلي احد الواحه المباركة الصادرة بعد صعوده معزيا تلميذ ابي الفضائل الاستاذ حسين علي روحي رحمهما الله :

# الدرر البهية

## هو الله

ايها الرجل الروحي اني تلوت خطابك البليغ الذي رثيت به الرجل الرشيد ، حقا ان هذا الفقيد كان بارعا صادعا ناطقا مناديا بظهور ملكوت الله بين القريب والبعيد ، ولو ان الفراق لا يطاق ولكن الى ربك كان المساق ، قد طار العندليب الى حدائق القدس وعرجت الورقاء الى بحبوحة الرياض وسرع الحوت الى اعذب حياض وعاد الشعاع الى شمس الحقيقة وهرع المشتاق الى الملكوت الابهى ، فلا تبتئس ان هذا له هو الحظ الاوفى والغاية القصوى ، اسأل الله سبحانه وتعالى ان يرزقنا مثله كأس العطاء الطافحة بالموهبة الكبرى وعليك البهاء الابهى .

عبد البهاء عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد وأشكر ربنا العلي الاعلى ، وأسبح وأسجد لوجهه الاقدس البهي الابهى ، وأصلي وأسلم على مشارق نوره ومطالع انوار ظهوره بين الورى ، سيما الفرع الكريم المنشعب من الاصل القديم ، السر القويم المنبعث من ارادة ربه الرحمن الرحيم ، جعلنا الله من المستظلين تحت لوائه ، المنخرطين في سلك اوليائه واحبابه .

مولى اعـاد فخـار الاولين وقـد
أقام للمجد صرحـا ليس ينهـدم
لا زال في ذروة العليـاء مرتقيـا
ما رنحت في روابي روضه النسم

بعد الحمد والصلاة يقول العبد الضعيف ابو الفضل محمد بن محمد رضا الجرفادقاني الايراني ، ان حضرة العالم الفاضل نور الدين احد علماء الهند المعروفين جعله الله تعالى وايانا مـن المتنورين بنور اليقين ، سألنا عن بعض مسائل دينية وعلمية مما يتعلق بعضها بالمسائل التاريخية القديمة العتيقـة مما لا تخفى عـلى اللبيب وعورة مسلكها وغموض مدركها لتقادم عهدها وانعدام مهدها ودروس آثارها وزوال أنوارها ، فرأينا ان نجيب حضرته بما وسعه علمنا واحاط به فهمنا راعين جانب الاختصار معترفين بقلة البضاعة وعدم المقدرة على المسابقة في

هذا المضمار ، ونسأل الله تبارك وتعالى في فاتحة القول أن يحفظنا بفضله من الزلل في الرأي والشطط في الخطاب انه هو ولينا في المبدأ والمآب •

## المسألة الاولى

سأل حفظه الله عن اعتقادنا في عمر نوح عليه السلام هل هو كما نزل في القرآن الشريف عاش تسعمائة وخمسين عاما او له معنى آخر •

الجـواب

اعلم ايها السائل الفاضل يسر الله لنا ولكم الوصول الى اقرب الوسائل وأتقن الدلائل ، أن لاهل العلم في امثال هذه المسائل نظرين ديني وعلمي •

أما النظر الديني : فمعلوم أن كل من اعتقد بحقية رسالة سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان القرآن الشريف كتاب الله الذي نزل من السماء ، اعتقد بالضرورة بصحة جميع ما ورد في هذا الكتاب الكريم وصدق ما نزل في هذا السفر العظيم سواء كان قريبا من افهام الناس او بعيدا عنها ما لم يحكم العقل الصريح باستحالته ولم يقم قاطع البرهان على امتناعه • ومن له ادنى المام بالادلة العقلية والقياسات المنطقية يعرف بالبداهة ان غاية ما ينكرونه في مسألة طول اعمار الاقدمين انما هو من قبيل الاستبعاد العادي لا الاستحالة الحقيقية والامتناع العقلي ، اذ لم يقم ادنى دليل قطعي على استحالة طول الاعمار اكثر مما هو مألوف في هذه الاعصار، خصوصا في أهل الازمان القديمة والاعصار الغابرة التي انقطعت يد الكشف والاستقصاء عن تحقيق احوالهم ومدد أعمارهم بسبب انقطاع تاريخهم ومحو آثارهم ، والعاقل اللبيب بمجرد



الاستبعاد لا يحكم بخلاف ما نزل به القرآن الشريف وصرح به الكتاب المجيـد

**انه لقول فصل وما هو بالهزل(١) •**

واما النظر العلمي : فمعلوم ان العالم المحقق لا يذعن لامثال هذه المسائل الا بعد معرفة مصادرها ومقدار امكان الوثوق والاعتماد عليها ، ومن المعلوم ان التواريخ القديمة المنبئة عن كيفية ابتداء الخلقة ليست الا أربعة تواريخ مما تعتبره الامم الكبيرة وتستمد من مصادرها الملل العظيمة • وهي تاريخ البوذية ( أهالي الصين ) وتاريخ البرهمية ( سكان الهند ) الاصليين وتاريخ الزردشتية ( امم الفرس الاولى والاكاسرة العظمى ) وتاريخ العبرية أي اليهود ، ومن اعتبر صحة رسالة موسى • ومن عجيب ما ينتبه اليه المتبصر ان هذه التواريخ المذكورة مع اختلاف مفاهيمها اختلافا لا يرجى جمعها وتطبيق بعضها على بعض وبعد مشارب أهلها والتفاوت الفاحش في أزمانها والاختلاف الواضح بين الاسماء والحوادث المذكورة فيها اتفقت في مسألتين وهما طول اعمار الاولين طولا مفرطا عما هو معهود في أعمار الآخرين ومزجها بحكايات اشبه بالاقاصيص الخرافية عند المحققين وبعميات واحاجي ورموز عند المعتدلين •

اما تواريخ البوذية والبرهمية والزردشتية فلا يوجد فيها ذكر من آدم وحواء ولا شيث ونوح وامثالهم ولا قصصهم ووقائعهم ولا ما يقارب هذه الاسماء ، بل وردت كل هذه الاسماء في تاريخ العبريين فقط ومنهم انتقلت الى الامة النصرانية والملة الاسلامية ، ولما صح عن

(١) القرآن الكريم ، سورة الطارق الآية ١٣ .

النبي عليه السلام انه قال : «بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم» وكذلك : «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون ان يكذب الله ورسوله» كما نقله القاضي العلامة محمد ابن احمد بن رشد الاندلسي في كتاب ( الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة ) عن البخاري ، فلا يسكن للعالم المحقق والحالة هذه ان يستمد في المسائل التاريخية عن الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ومن المعلوم ان الانبياء ومظاهر امر الله عليهم السلام بعثوا لهداية الامم وتهذيب اخلاقهم وتقريب الناس الى مرجعهم ومآبهم وما بعثوا مؤرخين او فلكيين وفلاسفة وطبيعيين ، فان شؤونهم في عالم الخلق كشأن القلب في عالم البدن شأن كلي واثر عام ، وشؤون العلماء في عالم الملك كشأن العضو المعين بين الاعضاء شأن خاص وأثر مخصوص ، ولذلك تساهل الانبياء عليهم السلام مع الامم في معارفهم التاريخية وأقاصيصهم القومية ومبادئهم العلمية ، فتكلموا بما عندهم وتفاوضوا بما يلائمهم وستروا الحقائق تحت أستار الاشارات ، وخدروا حوريات المعاني في قصور الآيات ، واسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات ، فلا يشك عاقل اذاً أن ما ورد في القرآن المجيد والفرقان الحميد من كيفية بدء الخلقة ومناظرة الملائكة وقصص آدم وشيطانه ونوح وطوفانه كلها حقائق تخبر عما يتجدد في مواعيد تجدد العالم ويتحقق في مواقيت انقضاء آجال الامم بظهور الحقيقة المقدسة الاولية وتجدد الشرائع الالهية ، فلا يجوز للمؤرخ من حيث العلم أن يعتمد على ظواهر هذه الآيات اذ لا يمكنه سد باب الاحتمال الراجح أن تكون لها معان عالية وتأويلات سامية غير ما هو مفهوم من ظواهرها ومسموع من مصادرها ، وليس احتمال تأويل الآيات من شذوذ التصورات او نوادر الاحتمالات حتى لا يعبأ به أرباب الفضل ولا يعتني به أهل العلم بعدما نزل في الكتاب المجيد **«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**



**ولما يأتهم تأويله»**(١) وجاء في القرآن الحميد **«هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق »**(٢) . وبعد ما صح من الاثر الشريف واستفاض من السنة المأثورة ان لآيات القرآن بطونا غامضة عميقة وتأويلات عالية دقيقة عرفها اهله وادركها حملته منّ الله بكشفها على عباده الثابتين وارقائه المخلصين ، وليس المراد من التأويل الا المعاني الاصلية المقصودة مما ستره الله تعالى في بطون الآيات واخفاه تحت ستائر الاستعارات ، وليس هذا من شأن البشر حتى يخوض في غماره كل جاهل ويفسر الآيات برأيه كل خامل كما فعله بعض الجهلة بغرورهم وضلوا وأضلوا كثيرا بتفاسيرهم وأبعدوا الناس عن معين الحياة واخفوا عنهم سبيل النجاة ، بل هو من شؤون مظهر امر الله ومنجز وعده كما صرح به في الكتاب حيث قال **« فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه »** (٣) .

فاذا ثبت أنه لا يمكن للمؤرخ ان يستمد في معارفه التاريخية من ظواهر آيات القرآن ولا ذكر لنوح وامثاله في سائر التواريخ القديمة ، فلا يبقى اذاً بين يدي المؤرخ الا التوراة وسائر الكتب من العهد العتيق . والناقد البصير اذا امعن النظر في هذه الكتب المقدسة مجانبا أمياله المذهبية والتقاليد والآراء الملفقة القومية يرى فيها قسمين مفروزين من التعليمات جديرين بمزيد التوجه والالتفات :

القسم الاول ما نسب في الكتاب بأنه من الله وتكلم به الله او أنزل من لدى الله ، وفيه الاحكام والحدود والشرائع والسياسات

---

(١) القرآن الكريم سورة يونس الآية ٣٩
(٢) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية ٥٣
(٣) القرآن الكريم سورة القيامة الآية ١٨ ـ ١٩

والاخبار عن الامور الآتية من قبيل الانذارات والبشارات ، واعظم هذه بشائر ورود **يوم الله** وآثاره وآياته وعلائمه واشراطه مثل الكلمات العشر في أصل التوراة والنشيد والبركة الواردة في أواخر سفر التثنية وزبور داود وكتاب أشعيا النبي وكتب ارميا ودانيال وحزقيال وزكريا وغيرهم من أنبياء بني اسرائيل • ومن أوتي بصيرة من الله وموهبة المعرفة والتمييز بين تصانيف البشر وآيات الله يعترف بأن هذه الكتب كلها آيات الهية وكلمات سماوية وبشائر ونذر ربانية توقد وتضيء وتتألق من الشجرة المباركة الموسوية كسراج منير في الليلة الليلى أو كنجم بازغ من السماء القصوى •

والقسم الثاني ما يخبر عن الامور التاريخية من كيفية ابتداء الخلقة وانشعاب القبائل وانبثاث الخلق على وجه الارض وتاريخ حياة الانبياء وحوادث ايامهم وتعداد الملوك ووقائع دولهم ، كالتواريخ الواردة في الاسفار الخمس من ابتداء خلقة آدم الى وفاة موسى عليه السلام وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتابي الصموئيل وكتابي الملوك وكتابي أخبار الايام وكتاب عزرا وكتاب نحميا وأمثالها من كتب المؤرخين وهذه الكتب ليس فيها تصريح او تلويح او ادنى اشارة بأنها وحي سماوي او كلام او الهام الهي فلا يجوز على المؤرخ ان يعتمد عليها ويجزم بصحة ما ورد فيها ، ويحلها محل الوحي السماوي الا اذا عرف مصنفي هذه الكتب ، ومن يعرف مقدار اختلاف العلماء في تعيين مصنفي هذه الاسفار والادلة التي اعتمد كل فرقة منهم عليها في رأيه واعتقاده يعرف عدم جواز الركون والاعتماد على صحة ما ورد فيها ؛ ومن الحماقة ان يعتمد العاقل الناقد على كتاب لا يعرف بالتحقيق مصنفه ويحسب وحيا الهيا وكلاما سماويا ما لم يتعين بعد الفحص



والتدقيق مصدره ومؤلفه • مثلا اذا تصفحنا اقوال كبار العلماء في تعيين مصنف الاسفار الخمس اصل التوراة واساس التواريخ العبرية ، نرى ثمة اختلافا كبيرا لا يرجى بالكشف والاستقصاء زواله ولا ينتهي الى ركن وثيق غايته ومآله فان كثيرا من العلماء اعتقدوا بأن مصنف هذه الاسفار هو موسى عليه السلام ولكن يكذبهم ويذهب بقيمة رأيهم ما ورد في آخر هذا الكتاب من ذكر وفاة موسى وكيفية اقامة بنى اسرائيل مناحة له بعد وفاته ، وثمّ شواهد اخرى تدل دلالة واضحة على انها صنفت بعد وفاة موسى بمدة غير وجيزة وبعضهم ذهب بلا دليل يركن اليه الى ان الفصلين الاخيرين من سفر التثنية من تصانيف يوشع بن نون، فانه صنفهما وأضافهما على الاسفار الخمس التي صنفها موسى تتميما لمصنفاته وتكميلا لتاريخ حياته وتوضيحا لحال الشعب بعد وفاته ؛ وبعضهم قال ان هذه الاسفار من مصنفات ارميا او احد غيره من أنبياء بني اسرائيل ، وهذا القول ايضا كأقوالهم السابقة لا يخلو من ضعف التعليل او فقدان الدليل ، وجماعة من المحققين ذهبوا ولعلهم أصابوا ــ اذ لا يخلو هذا القول من قوة نوعا ــ الى أنها من تصانيف عزرا الكاهن الذي عبر عنه في القرآن الشريف بعزير ، فانه بعدما رجع القوم من جلاء بابل بأمر الملك الكبير اردشير وبنى القدس الشريف وجمع شمل اليهود واحيى بيت داود طلب الشعب منه نسخة التوراة ، وكان عزرا رجلا فاضلا وكاتبا ماهرا وكاهنا دينيا تعلم في مدينة بابل في مدارسها الكبيرة وحاز معارفا واسعة وفنونا نافعة على مقدار ما بلغت سعة المعارف في تلك الاوقات ، فان مدينة بابل اذ ذاك كانت موئل المدنية ومشرق أنوار العلم والحكمة ، فكتب عزرا اجابة لطلب الشعب كيفية ابتداء الخلقة وتفرق النسل وانشعاب القبائل وانبثاث الخلق الى وفاة موسى عليه السلام في خمسة أسفار وأدرج فيها ما أوحي الى

موسى من ربه وما شرع موسى أو يوشع كما يشهد به بعض عبارات السفر[1] لانتظام احوال شعبه .

فاذا علم بالاجمال أن قصص نوح وأمثاله لم تذكر في تواريخ الملل الكبيرة العتيقة مثل الامم الصينية والفارسية والهندية ممن لا يهان بسعة معارفهم وقدم تمدنهم وتقادم عهدهم ووسعة ممالكهم وانتشار مآثرهم ، ولا يعلم بالتحقيق مصنف الاسفار الخمس العبرية ، وعلم ايضا أن سيدنا النبي وسائر الانبياء عليهم السلام كانوا لا يناقشون الناس في عقائدهم التاريخية ،وكانوا يتكلمون معهم بما عندهم من المعارف الموروثة القومية ، علم بالضرورة انه لم يبق مجال لأهل الاجتهاد والتحقيق أن يبتوا رأيا في هذه المسائل من جهة العلم ، فاذا سد طريق الاجتهاد فما بقي ثمة الا وجهة الدين والاذعان التعبدي لظواهر ما ورد من الانبياء والمرسلين .

ومن المدهشات التي تحير العالم الفاضل وتجلب نظر الفطن العاقل وتسيء الظن بما كانوا يحسبونه من المسلميات وتوجب على المؤرخ غاية الدقة في الكشف والاستقصاء حتى على ما يعدونه من البديهيات ، انه الى يومنا هذا ما وجدوا في الآثار العتيقة المصرية ما يدل ادنى دلالة على كون بني اسرائيل في مصر وقيام موسى عليه السلام بينهم بالرسالة، وطلبهم النجاة من ظلم الفراعنة بزعامته وهجرتهم الى بر الشام تحت رايته ، وهم قوم حربيون يعد المحاربون منهم ثمانمائة الف أو يزيدون فاتبعهم فرعون بجنوده وغرقوا في البحر بكفرانه وجحوده ، مع ان الآثار العتيقة المصرية كما يعرفه اهل العلم اكتشفت بها في هذا القرن من التواريخ الصحيحة ما اخنى عليه الدهر واخفاه مدة مديدة تحت

(١) راجع الاصحاح ٢٤ من سفر يشوع .



حجاب كثيف من الستر حتى محا ذكرها من الكتب والاسفار وتتابعت عليها القرون والادوار ، الى أن أحياها الله في هذا العصر المجيد الذي هو عصر ظهور الاسرار وطلوع نور الانوار وزوال الظلمات المتراكمة الحائلة دون الانظار ، فقام جماعة من افاضل الغربيين واكتشفوا من تلك الآثار العتيقة حقيقة تاريخ المصريين ، فظهرت اسماء ملوكهم وفراعنتهم وافعالهم واحوالهم وعدة بيوتهم وعائلاتهم ودياناتهم وعاداتهم وآلهتهم ومعبوداتهم ، فأحيت تلك الآثار للفراعنة ذكرا صريحا ورتبت لدولهم ترتيبا صحيحا ومهدت للتاريخ دورا جديدا وأسست للعلم أساسا سديدا ، وكل هذه الآثار العتيقة ورمم الفراعنة وجثثهم المحنطة موجودة ومحفوظة في متحف مصر وبقايا هياكلها العظيمة تشد اليها الرحال ويقصدها افاضل الرجال من اقطار اروبا وامريكا لكشف المعارف التاريخية وزيارة المعالم المصرية ، وما وجدوا بعد ما يصحح أخبار التوراة من قصص موسى وهارون ويوشع واحوالهم فكيف من تقدمهم من آدم وشيث ونوح وامثالهم فتحير المعتقدون بتاريخ التوراة في كيفية تدارك هذا الخلل الكبير ، وهالهم اختلال اساس هذا التاريخ الخطير ، اذ لا يعقل ان المصريين الذين رسموا على الاحجار جميع وقائعهم الكلية والجزئية ونقشوا في الصخور كل ما حدث في مصر من الحوادث الملكية والدينية ، كيف اعرضوا عن ذكر تلك الامور الهائلة الجسيمة من قيام موسى عليه السلام واظهاره الآيات العجيبة ، وغرق فرعون وجنوده الجرارة الكثيرة ، فمنهم من هو واضع كف الحيرة تحت ذقنه يفتكر بعد في التطبيق والتلفيق ، ومنهم من ينتظر مزيد الكشف والتدقيق ، لعله يجد طريقا يأول الى التصحيح والتوفيق . والله تعالى أعلم بما ينتهي اليه امر المكتشفين والمنتظرين ، وفي ذلك كفاية للمتبصرين .

## المسألة الثانية

سأل حفظه الله عن بيان معنى مناظرة الملائكة مع الله تبارك وتعالى في استخلاف آدم .

### الجواب

اعلم أيها الفاضل النبيه أيدكم الله تعالى وايانا بروح منه ووهبنا جميعا رحمة من لدنه ، ان هذه المسألة لها ارتباط كلي بمسألة معرفة الارواح المجردة والنفوس الفلكية وفهم معنى تجردها الذاتي عن المواد واحتياجها الفعلي اليها ، وليعلم اولا ان الفلاسفة والمحققين من اهل العلم عرّفوا الروح ووصفوها بحدود وتعريفات شتى احسنها واتقنها وأبينها للمراد : « انها جوهر مجرد مفارق عن المادة ذاتا لا فعلا » . وهذا الحد كما هو غير خاف عن البصير ــ مع انه حد سلبي وتعريف بالنفي لا يبين حقيقة الذات وكنه المعرف ــ هو تعريف جامع مانع أكثر تبيينا عن المقصود من سائر التعريفات والحدود ، فيعرف من هذا الحد ان الروح من حيث الذات مباين عن المادة والماديات فلا توصف بأوصافها من قبيل الخروج والدخول والتحيز والحلول والمواجهة والاستدبار والتحرك والاستقرار ، فلا تدرك بالابصار ولا بغيرها من الحواس ومحتاج الى المادة في كل الافعال وغير مفارق عنها في جميع الاحوال ، اذ لا يتصور التعطيل فلا يمكن أن يصدر منها فعل الا بها ، ولا يعقل أن يظهر منها أثر الا بآليتها ، مثلا لا يعقل ان تصدر افعال الرؤية والاستماع والكتابة والتفكر منها الا بآلية العين والاذن واليد والدماغ وهلم جرا ، ولا فرق في هذه الاوصاف بين الارواح القدسية الفلكية والناطقة البشرية والحساسة الحيوانية والسافلة الشيطانية ،



فان هذه كلها اعتبارات واطلاقات بحسب الآثار والاوصاف والملكات لا بحسب التجرد الذاتي والاحتياج الفعلي ، والى هذه النكتة التي غفل عنها الاكثرون ، وضل وتاه في فلواتها الاولون والآخرون ، أشير في الآية الكريمة **« ولو جعلنــاه ملكا لجعلناه رجــلا وللبسنا عليهم ما يلبسون »**(١) ، فان التائهين في مفاوز الاوهام والغافلين عن حقائق ما وعد به المليك العلام لما رأوا في الكتب السماوية وخصوصا الانجيل المقدس ان السيد الرسول او الرب المزمع للنزول ، يأتي وبين يديه قبيل من الملائكة المقربين وينزل ومعه جنود من المــلأ العالين وينصر بلفيف من المسوّمين والمردفين ، فلما ظهر الرسول المكرم صلى الله عليه وآله وسلم رأوه رجلا بسيطا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ويجالس الاعراب ويجلس على التراب ، فلا ملائكة تطير حول رأسه ولا جنودا من الارواح المزعومة الموهومة تمشي من قدامه وخلفه ، انتقدوا على الرسول بعدم تحقق النزول بفقدان شرط غير معقول ، فنادوا واسهبوا وصخبوا واطنبوا **« وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليــه ملك فيكون معــه نــذيرا »**(٢) فأنزلت الآية المذكورة سابقا تبكيتا وافحاما لهم ودحضا لحججهم ودفعا لاوهامهم مشعرة بأن الروح لا تتجلى الا في الصورة البشرية ، والملك لا ينزل الا بالهيئة الجامعة الانسانية ، وبعبارة أوضح ، الجوهر المجرد لا يعقل أن يؤثر الا بآلية الابدان ، فالملك اذا نزل ليس الا الانسان وما ادراك مــا الانسان ، الطلسم الاعظم والجوهر الاكرم والهيئة المخصوصة بالسلطة العالية على جميع العالم ، الحقيقة الكاملة الفاضلة والآية الاولية النازلة ، والذات القابلة لجميع الهيآت العالية والسافلة ، فالانسان هو

(١) القرآن الكريم سورة الانعام الآية ٩
(٢) القرآن الكريم سورة الفرقان الآية ٧

المقصود من أمثال هذه الاسماء والصفات والباقي اوهام واحلام وتصورات وخيالات • نعم كثيرا ما حاول بعض الفلاسفة ان يثبتوا عقولا مجردة على الاطلاق ، مباينة عن المواد من حيث الذات والفعل ، الا أنه كبا في اثباتها جواد براهينهم ونبت سيوف تحقيقاتهم ونكست أعلام ادلتهم ، فقالوا وأطالوا وأكثروا وأطنبوا وما أتوا بشيء ، كيف لا وهي بقية من أوهام الوثنيين واحلام اليونانيين ، حينما كانت أستار الشبهات مسدولة على الحقائق في جميع الجهات ، وظلمات الليل الاليل محيطة بجميع اقطار الارضين والسموات ، ومن خاصية الليل ان لا يرى فيه الا أصحاب القلوب الراقدة الغريقة في المنام ، وارباب الادمغة المغمورة باضغاث الاحلام ، ولقد اوجز وابلغ العلامة المحقق نصير الدين الطوسي قدّس الله روحه في كتاب التجريد حيث أبان عن ضعف أدلتهم ووهن براهينهم فقال : « وأما العقل فلا دليل على امتناعه وادلة وجوده مدخولة » ولكني أقول وان كانت أدلة وجود العقول عند العلامة الطوسي مدخولة ولكن أدلة امكان وجود مجرد ذاتا وفعلا عن المواد أيضا عند البالغين غير معقولة ، فلنترك الخوض في غمرات ظلمات الأفكار والاوهام ، ولنرجع الى بيان ما كنا في صدد حله في هذا المقام • وقد علم أولوا النهى ان الله تبارك وتعالى خلق في العالم بحكمته البالغة وقدرته المحيطة قوتين متضادتين وروحين متباينتين ، الاولى الروح القدسي فاعل الخير ومفيض الرحمة وملهم السداد والحكمة ، وعبر عنه الانبياء بجبرائيل وروح القدس وروح الامين ، والفلاسفة بالروح العلوي او العقل الكلي والصادر الاول والنفس الفلكية وامثالها ، والثانية الروح الشرير فاعل الشر ومثير النقمة وملهم الزلة والضلالة ، وعبر عنه الانبياء بشيطان وابليس وفي الانجيل المقدس بالوحش الهائل والتنين الكبير ، والفلاسفة بالروح السفلي والنفس



المطلق ، فاذا ثبت ان ارتباط الارواح بالاجسام انما هو عبارة عن التعلق والاحاطة لا السريان والحلول او التحيز والدخول ، ثبت ان مرايا تجلي الروح القدسي هي قلوب الانبياء والمرسلين وافئدة مظاهر امر الله رب العالمين ، فأبدانهم الشريفة هي اعراش استواء الله وهياكل عبادة الله ، ومصابيح ظهور نور الله ومظاهر جميع اسمائه وصفاته ومدارك فيوضاته وآياته ، كما ان قلوب الاشرار اعراش الارواح السافلة والنفوس الخبيثة ومرايا انطباع الاوهام والافكار المضلة الخسيسة ، فأبدانهم مطايا الضلالة ومظاهر الفتنة والتفرقة وألسنتهم تراجمة ابليس فهم حقيقة الشيطان واعداء الرحمن، الا ان جند الشيطان هم الخاسرون وان جند الله هم الغالبون ، فاذا علم ذلك كله يعلم بالضرورة معنى الملائكة والشياطين ، ويعلم معنى المناظرة الحاصلة بين الرب والملأ العالين ، ويعلم ايضا ان كل ما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى انما هو عبارة عما حدث ويحدث اوان ظهور مظاهر امر الله وتجدد العالم بظهورهم ورجوع الحقائق الاولية بطلوعهم ، وتحقق الخلق والبعث والحشر والنشر بكلمتهم فان هنالك يتبين الملك من الشيطان ، ويفترق جنود الشرك عن جنود الايمان ويمتاز الخبيث من الطيب والرديء من الجيد ويعلم الغث من السمين والسجين من العليين ، ومن المعلوم المحقق عند ارباب القلوب الصافية والبصائر المنورة ، أنه ما وقع اختلاف بين الملأ الاعلى الا بعد ما اراد الله أن ينشىء في الارض خلافة ويعهد بولاية وينص باستخلاف الفرع المنشعب من الاصل القديم ويأمر بالسجود لدى وجهه الكريم ، ولما كان الرجع مثل الجعل والعود شبه البدء أخبر الله تعالى بتجدد هذه المناظرة ، وتحتم وقوع المخاصمة حيث قال جل ذكره وجلت عظمته **« قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ**

**يختصمون**»(١) فصرح الله تعالى بأفصح قول وابلغ بيان في كتابه الكريم أن الخصومة لا محالة واقعة بين الملأ الاعلى والمناظرة متوقعة في الجنة العليا ليمتاز أصحاب اليمين من اصحاب الشمال ، ويتميز اهل الهدى من ارباب الضلال ويعرف الملك مـن الشيطان ، ويفرّق بين عبـدة الطاغوت وعباد الرحمن ، ولكنه تعالى امر نبيّه عليه السلام ان يكتم شرح هذه المخاصمة والمناظرة ويتنصل الى العباد عن تفصيلها ويتركها تحت الاجمال في سنبلها ، فاذا اجمل الله الكلام رفقا بالخلق بسبب ضعفهم ، فلا بد ان يعذرنا حضرة السائل الفاضل اذا نحن اختصرنا الكلام وتركناه بعد التحقيق المفيد تحت شيء من الايهام .

## المسألة الثالثة

سأل حفظه الله ان الصلاة والزكاة والصوم والحج هل لها فوائد وتأثيرات حقيقية او هي العاب وحشية وعوائد غير مفيدة ملية .

الجـواب

اعلم ايها الفاضل المجيد ، أيدك الله وايانا بالبصيرة الكاشفـة والرأي السديد ، أن أمثال هذه المسائل منوطة بالاعتقاد بأن لنا الها حقا حكيما محيطا قاهرا فوق العباد باعث الرسل ومرسل الانبياء لتشريع الشرائع وايجاد الاديان ، فلا يعقل ان يعتنق انسان دينا من الاديان الا بعد الاذعان بهذه الحقيقة ولا يتصور ان يتحمل عاقل مصاعب الرقية ومتاعب العبودية الا بعد الاعتراف بهذه الدقيقة ، ونحن معاشر الامة البهائية نعتقد ان الاديان بأجمعها شرعت باذن الله وانتشرت بقدرته

(١) القرآن الكريم سورة ص الآية ٦٧ـ٦٩



وعلت بكلمته وغلبت على العالم بارادته ومشيئته ، ثم اعلم ايها الفاضل أن الاديان كما أنها منوطة بالاعتراف بوجود الله تبارك اسمه وعلت كنته ، كذلك هي منوطة بالاذعان بخلود الارواح وبقائها بعد الانقطاع عن الابدان ، فلولا الاذعان بهذه الحقيقة لما اعتنق انسان دينا ولا اتبع عاقل شريعة ، فاذا علم ان الارواح باقية خالدة والعوالم ابدية غير بائدة وان الابدان كما بيناه سابقا مستلزمة للارواح والقوى لا تظهر منهـا افعال الا بآليـة الاشباح فهي مظهرة للافعال الصادرة منها وملائمة للملكات الراسخة فيها ، فلا يشك عاقل ان الديانة مطلقا لا تتم الا بأن تكون مبنية على قسمين مفروزين من الحدود ، ومؤسسة من اركان وثيقين من الاحكام .

القسم الاول ما يرتبط بظواهر العالم وتأليف الامم من قبيل وجوب العدل والاحسان وحفظ حقوق الناس وآداب المعاملات وكيفية المعاشرات وسياسة الرعية وترقية الامة وغيرها مما تحفظ بـه الهيئة الجامعة البشرية ، وتؤسس عليه دعائم الحضارة والمدنية .

القسم الثاني ما يرجع الى ترقي النفوس وتنقية القلوب وتهذيب الاخلاق وتكميل العقول لما يرجى من بقائها في العوالم الآتية والنشأة الثانية ، من قبيل الصوم والصلاة والاذكار والتسبيحات وغيرها من اصناف العبادات ، ومن المعلوم ان الحدود والاحكام منها ما شرعت لخاصيتها الروحانية وفائدتها الاخروية وحدها كالصلوات والتسبيحات، فانها لا رابطة بينها وبين الفوائد المدنية وحفظ الهيئة الجامعة البشرية الا ببعض ملاحظات طفيفة بعيدة ، ومنها ما شرعت لظواهر الملك وليس لها رابطة بالارواح كغالب احكام المعاملات والسياسات ، ومنها مـا شرعت لما فيها من الفائدتين المذكورتين ، ولها آثار باهرة في كلتا الرتبتين

كالعدل والاحسان والحج والزكاة والصدق والامانة والعفة والطهارة وغيرها من اصناف المعروف ، والاجتناب عـن الموبقات كالقتل والزنا والكذب والخيانة والظلم والغيبة والافتراء وغيرها من انواع المنكر ، فهذه كلها لها تأثيرات ظاهرة فيما يترقى به الانسان وتتهذب به الاخلاق وتحفظ به الهيئة الجامعة وتصان به حقوق الامة ، فاذا علم ان الفاعل والمؤثر هو الروح وليس للبدن الا حكم الآلية ، يعلم بالضرورة مقدار تأثر نفس الارواح من صدور هذه الافعال والتخلق بالاخلاق الفاضلة او الرذيلة ، فان الخلق ليس الا الوصف الراسخ في الفاعل بتكرر الفعل حتى يصير ملكة ، وبالملكات يحشر الانسان وبها تعرف مقادير الربح والخسران ، فلنتكلم في فوائد الاحكام الاربعة التي سأل عنها حضرة السائل الفاضل هداه الله تعالى الى جناب اسمه القيوم وسقاه مـن الرحيق المختوم .

اما الصلوة فهي معراج المؤمن وقرة عين الموقن ومقام المناجاة مع الله ، ومعهد القيام بين يدي الله والانابة اليه والتضرع لديه والاعتراف بربوبيته والاقرار بوحدانيته والخضوع لدى ارادته والامتثال لمشيئته، مما يؤثر في روح الفؤاد ويلين القلب ويبعده عن الظلمة والقسوة ، فينتبه الى فضائل العبودية ويدرك معنى المقت والشرور الناتجة عن المعصية ، واذا ادرك الانسان آثار الاشياء ببصيرة نيرة وعرف تأثير الافعال بيقين مبين وعلم ورأى فوق هذا وذاك ان له الها قادرا قاهرا محيطا مقتدرا يجازي العبد بكل صغيرة وكبيرة ويأخذه بكل خطيئة وجريرة ، فلا بد له بالضرورة ان يجتنب عن المعاصي ويتجنب المخازي عـن رهبـة حقيقيـة وخـوف مكـين وهـذا سر قولـه تعالى **«ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»**(١) وقوله **«واستعينوا بالصبر والصلاة**

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥



**وانها لكبيرة الا على الخاشعين»**(١) . ولعمر الحق لو لم يكن للصلوات وغيرها من العبادات الا انها تورث اليقين وتفيد القطع والاطمئنان فيما هو راجع الى الدين ، لكفاه فضلا اذ لا حيوة الا بالدين ولا دين الا باليقين ، فافهم سر قولـه تعالى **«واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»**(٢) وسبب حصول اليقين من العبادة هو ان اليقين ليس الا كمال ادراك الروح ، والروح قوة مدركة تحيط بحقائق الاشياء او تنطبع عليهـا صورها وهي تتقوى وتصفى وتزيد قوة وصفاء بالعبادة ، والعبادة اذا كان المشتغل بها ملتفتا الى المعاني المقصودة من الفاظها واركانها ومدركا لذة الاشتغال بها تمنع عن المعاصي والموبقات التي بها يقسو القلب وتزيد كدورة الروح ، فاذا زادت قوة الروح وجلائها وصفائها تزيد فيها قوة ادراك الحقائق او انطباع صورها فيها ، فالروح القوى المصفى يدرك حقائق الاشياء كما هي عليه بالاحاطة ، والروح المكدر يدرك صور الاشياء بالشواهد والادلة ، ولذا اختصت علوم الانبياء بالمشاهدة ، واختصت معارف العلماء بالقياسات والادلة ، ولا يعرف مقدار هـذا الفرق المبين الا البالغون مقام اليقين واما غيرهم ممن لم يبلغوا بعد هذا المقام فيمكنهم ان يعرفوا هذا الفرق من آثار علم الطرفين من اصحاب الانبياء والطبقة الاولى من اهل الايمان ، والفلاسفة والعلماء مـن اصحاب الدليل والبرهان فانهم يجدون بين آثار الطرفين فرقا واضحا وبونا شاسعا كما سنوضحه ان شاء الله ، وليس هذا الا من مآثر اليقين وفيها كفاية للمتبصرين ، ولا عبرة لما تقوله الشيع الطبيعية من المادية والدروينية ان هذه الآثار هي انفعالات وهمية وتأثرات خيالية لا حقيقة لها بل رسخت في اذهان اهلها بطول الممارسة وكثرة المزاولة ، لان ارتقاء

(١) سورة البقرة الآية ٤٥
(٢) سورة الحجر الآية ٩٩

الانسان في مراتب الايمان الى درجة يبذل روحه لصون دينه تدل دلالة واضحة على صحة ايمانه وحقية يقينه ، وتتحقق وتتجلى هذه القـوة الفائقة والسمة المدهشة في العقائد الاجتهادية الكسبية لا العقائـد الوراثية التقليدية ، ويظهر الفرق بينهما بنماء الاولى ونفوذها كالبذر الطيب في الارض الصالحة ، وهبوط الثانية وسقوطها كالبذر الفاسد في الارض الخبيثة ، ومـن المعلوم ان الشك واليقين والظن والقطع وامثالها من الامور القلبية الاعتقادية ليست من الامور المدركة بالحواس الظاهرة حتى يستـدل عليهـا بالادلة الهندسيـة والقياسات الفلسفية بل تدل عليها الافعال وتشهد لها القلوب،وهذا سر الآية الكريمة الفرقانية حيث قـال جـل ذكره مخاطبا لليهود « **يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله مـن دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** »(١) ، فان اليهود كانوا يعتقـدون انهم الشعب المقدس والذريـة الصالحة والاسرة الطيبة الطاهرة واولياء الله من دون الناس ، فأفحمهم الله تعالى بهذا البرهان واخرجهم من اهل الايقان ، وبيـّن سمة اولياء الله وابان عن موقف أحباء الله ، ومن الثابت المقرر عند اولي البصائر انه اذا ثارت عواصف الافتتان واشتدت اعاصير الامتحان وهجم الوحش الكاسر على المؤمن الحاسر وتدجج له بمرهف مخالبه وانيابه وكشر الموت الزؤام عن نواجذه واسنانه ، حينئذ يتميز الشاكّ من الموقن والمجتهد مـن المقلد والثابت من الزائل والحق من الباطل ، ولقد شاهدنا ورأينا في زماننا هذا كثيرا من النفوس الزكية واصحاب القلوب الثابتة النقية حين اشتداد هذه العواصف وهيجان هـذه القواصف بذلوا بغايـة

---

(١) سورة الجمعة الآية ٦



السرور مهجهم في سبيل الله واهدروا في نهاية الاطمئنان دماءهم في محبة الله ، فاستهانوا بالحيوة واستقبلوا الموت بغاية النشاط وسرعوا الى مشهد الفداء وسارعوا الى معهد الفناء متهللي الوجوه ، مستبشري القلوب ، حتى حيـّر العالمين اصطبارهم وادهش الناظرين سكونهم وقرارهم ، وما بدّلوا دينهم وما كتموا ايمانهم ولعمر الحق هذه هي الشهادة الفعلية التي تشهد على صحة دينهم وحقيقة يقينهم .

وادلّ من ذلك على علو مقام يقينهم وسمو مكانة دينهم ، هو قدرتهم على تقليب قلوب العباد وتمكنهم من تحويل عقائدهم الفاسدة الى العقائد الصحيحة ، وتبديل خلائقهم القبيحة الوحشية بالاخـلاق الحسنة المرضية ، فان الله تعالى وزع بهم من الاخلاق والعوائد والعقائد القبيحة الخبيثة الراسخة في الملل القديمة مـا لم يزعه الفلاسفة بقوة أفكارهم وسعة معارفهم ، لان الله تعالى وهب لاوليائه قدرة على انفاذ كلمته ونشر دينه واثبات امره واظهار براهينه من غير ان يستمدوا من القوى الملكية البشرية ، او يرتكنوا الى عماد سوى القدرة الالهية من قبيل العلوم والمعارف الاكتسابية او المال والثروة الدنيوية او العـزة والسلطة الملكية او التعاون والعصبية القومية فرفعوا سماء دينه بهذه القدرة الباهرة ، وما شيدوها على عماد تلك الاعمدة المذكورة الظاهرة، وهذه حقيقة تميز اهل الجهل عن اهل الايمان ويمتاز بها اهل الشك عن اصحاب الايقان .

ومن يتدبر في حالات الطبقة الاولى من المؤمنين من اصحاب الانبياء والمرسلين كأصحاب سيدنا عيسى واصحاب سيدنا الرسول عليهما السلام ، يمكنه ان يدرك بعض آثار هذه القوة القوية ويفهم معنى القدرة الباهرة الالهية ، فان تلامذة سيدنا عيسى عليه السلام

نشروا دين الله وبدّلوا العقائد السخيفة الراسخة في الامم ، وأزالوا العوائد الوحشية المتمكنة في اهل العالم من غير ان يوزعوا بين الناس كتبا مطبوعة او يبهروا انظارهم بآلات بديعة مصنوعة ، او يفتحوا المدارس العلمية او يستمدوا من القوى العسكرية ، او يساعدهم هزيم رعود المدافع او يعززهم صليل السيوف القواطع ، مما يرتكن عليه المعاصرون وينتصر به الحاضرون ، بل نشروا دين الله بايمانهم وازالوا الكفر بقوة ايقانهم، ونصروا امر الله بدمائهم واعلوا كلمته ببذل أرواحهم، ولكن احبار اليهود وعلماء المجوس وفلاسفة يونان وحكماء الروم ما كانوا متمكنين ان يزيلوا واحدة من تلك العقائد والعوائد السخيفة التي تضحك منها اليوم ذريتهم واولادهم وتهزأ بها اعقابهم واحفادهم .

وكذلك اصحاب الرسول عليه السلام ازالوا ظلمة الكفر عن العالم بأنوار هذه القوة السماوية وقطعوا دابر الشرك بهذه القدرة الالهية، ويكفي لادراك بعض آثار هذه المنحة الكبرى والموهبة العظمى، ما ورد في السير الشريفة والاخبار الصحيحة ، ان كبار الانصار لما آمنوا وقابلوا النبي عليه السلام في السنة الاخيرة قبل الهجرة طلبوا منه ان يرسل معهم احدا من الصحابة ليعلمهم الصلاة والاحكام ويدعو اهل المدينة الى الاسلام ، فأرسل معهم مصعب بن عمير وكان مصعب شابًا امّيا لا يعرف القراءة والكتابة ، ولا كان معروفا بالفصاحة والخطابة ، ولا كان يحفظ الا الصلاة المكتوبة وبعض آيات القرآن ، فدعا اهل المدينة الى الايمان ، فآمن بيده اكثر اهل يثرب قبل ان يهاجر النبي عليه السلام اليها ويشهر السيف كما يدّعي المكابرون علينا .

وكذلك رأينا وشاهدنا في زماننا هذا بعض الاميين ممن وهبهم الله هذه القدرة الباهرة انهم غلبوا بقوة يقينهم وصدق ايمانهم على



قلوب الملل العتيقة التائهة في ظلمات الاوهام ومفاوز التقليد ، وبدلوا عقائدهم الباطلة الوراثية بالاعتقادات الصحيحة البرهانية ، وازالوا اوهامهم واكملوا ايمانهم ، فتجددت اخلاقهم وطابت اذواقهم وانارت بصائرهم واطمئنت ضمائرهم ، فتبدلت بنور الايمان جهلهم بالعلم وضعفهم بالقوة وخيانتهم بالامانة وشرههم بالعفة وجفاؤهم بالالفة وجبنهم بالشجاعة وخشونتهم بالوداعة ، وبالاجمال تبدلت جميع اخلاقهم العتيقة الباطلة بالاخلاق الجديدة الفاضلة وعقائدهم الوراثية الوهمية بالاعتقادات الصحيحة البرهانية ، حيث يمكن للعاقل ان يحكم بتبديل خلقتهم وتجديد ولادتهم وانهم صاروا احياء بعد ما كانوا أمواتا ونبتوا نباتا بعد ما كانوا رفاتا ، وهذه كلها مما تلوناها عليك انما هو من آثار اليقين ، واليقين هو اثر العبادة كما نزل على الرسول الامين « **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** » . وفيها كفاية للمستبصرين .

واما الزكاة فهي من الامور الظاهرة فوائدها الباهرة آثارها ، فان اداء الزكاة يؤثر في النفس مما يوجد فيها من فضيلة السخاء ويزيل حزازة الشح والبخل وفيها سر الكرامة والغبطة الموصلة الى السيادة والزعامة ، ولا يمكن حفظ الهيئة الجامعة البشرية الا بان تؤدي الرعية ضريبة معلومة لسلطانهم ، ليصرفها في وسائل حفظ حقوقهم وتدبير امورهم واصلاح شؤونهم وسياسة جمهورهم ، ولهذه الفوائد جعلها الله تعالى من اصول احكام الديانة الاسلامية وبين مصارفها في الآيات القرآنية ، ولكن القوم حرّفوا كلمة الله وبدلوا حدود الله وصرفوها في غير ما أمر به الله، فتبدلت قوتهم بالضعف وحياتهم بالموت واستقلالهم بالاستعباد وما ربك بظلام للعباد .

وأما الصوم فأثره أظهر وأجلى وأتم وأعلى ، لان فيه فوائد

الصلاة مما ذكرناها وبيناها اضافة عما فيه من ترويض النفس الحيوانية وكبح جماح القوى الشهوانية ، وهذه المسألة واضحة بالعيان ، لا تحتاج الى تطويل الكلام ومزيد البيان ، اذ من المعلوم ان الانسان نوع من انواع الحيوان والقوى الحيوانية بحكم الذات منجذبة الى الطبائع المطبوعة بها ، ميالة الى الملاذ المستلذة منها ، وقد بينا في سائر مصنفاتنا ان القوى التشريعية سواء كانت الهية او بشرية ، تابعة للقوى الطبيعية معدلة للافعال النفسانية ، اذ لا يمكن كبح جماح النفوس وصرف ميلها عن اللذائذ الدنيـة والشهوات المهلكة الحيوانية ، الا بترويضها بالرياضات الشرعية المأثورة وكفها عن انهماكها في الموبقات بالسنن المسنونة لا بالرياضات الشاقـة المبتدعة ، كما تعتقده الفرق الصوفية ولا بصرف التهذيب والتعلم في المدارس كما تزعمه الفلاسفة الطبيعيـة •

واما الحج فانه أتقن حكم جامع للفوائد الروحانية والمدنيـة ، شامل للسياسات الدينية والملكية ، اذ شرع الله تعالى فيه مناسك واعمالا من الصلوات والاذكار والتسبيحات مما بيـنـّا فوائدها في الترقيات الروحانية وقواعد وافعالا من التعارف والتعاون والاختلاط والارتباط بين الامم المختلفة جنسا مما يرجع الى الفوائد المدنية ، ولو لم يكن لهذا العمل المبرور والعبادة المحمودة ما يعرف العاقل الفطن من دقائق الآثار وعظائم الاعمال الا ما ذكرناه من تسهيل وسائط التآلف والتوافق بين الامم الكبـيرة وامكان ايجاد الاتحاد والائتلاف بـين الاقوام العظيمة ، لكان كافيا لوجوب اعتباره ووافيا للاعتراف بعظيم آثاره ، فانه ليس من الامر السهل الهين ان يجتمع من تخوم الصين شرقا الى اقاصي افريقيا غربا ومن اقصى ممالك الهند جنوبا الى اواخر سيبريا شمالا كل متمكن من اشراف القبائل وزعماء الامم في كل سنة في هذا



المجمع الرهيب الكبير لاداء هذا المنسك العظيم العسير ، ويرون ذلك فرضا دينيا عليهم وأمرا الهيا لديهم •••

## المسألة الرابعة

سأل حفظه الله تعالى عن المعاني المقصودة من عصى موسى عليه السلام وانفلاق البحر بها وانفجار العيون من الحجر بسببها وعن معاني معجزات عيسى عليه السلام وعن معنى جريان الماء عن اصابع سيدنا الرسول عليه السلام كما ورد في الاحاديث •

### الجـواب

اعلم ايها الفاضل الماجد يسر الله لك الصعود الى اعلى الدرجات والوصول الى اسمى المقاصد ، أن الكتب السماوية والكلمات النبوية على سمو رفعتها وعلو مكانتها ، لا تخرج عن كونها الفاظا وكلمات وعبارات واطلاقات تشتمل على المعاني الظاهرة الحقيقية والاستعارات الخفية المعنوية، كما ان القلوب التي أنزلت عليها هذه الكلمات والالسن التي نطقت بهذه العبارات ، مع انها اعراش الهية وتراجمة سماوية لا تخرج عن كونها قلوبا بشرية والسنة انسانية ، وبعبارة اوضح ان الانبياء عليهم السلام الذين انزل عليهم الكتب لا شك انهم بشر مثل سائر افراد البشر وكانوا يتكلمون كما يتكلم سائر المتكلمين ، ويعبرون عما اوحى اليهم كما يعبر عن ضمائرهم سائر المعبرين ، فلا يمتنع عقلا ان تكون في عباراتهم مجازات واستعارات وكنايات وتشبيهات ، كما يجوز ان تكون فيها تصريحات بلا تلويح وحقائق بلا تأويل ، فلذلك ترى كثيرا من اهل العلم حملوا العبارات الواردة في الاخبار عن المعجزات

على ظواهرها فاعتقدوا بأن العصا تحولت في الظاهر حقيقة بالحية والاموات بالاحياء ، وجرت المياه في الحقيقة من اصابع سيد الانبياء الى غيرها من عجائب الامور وخوارق المقدور وكثيرا من اهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بأن جميع ما ورد في الكتب والاخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الامور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوّزه العقل المستقيم ، ولا يمجه الذوق السليم ، ففسروا العصا بأمر الله وحكمه فان موسى عليه السلام بهذه العصا غلب على فرعون وجنوده ومحا حبائل عتوه وجحوده ، وبهذه العصا ضرب الاسباط الاثني عشر فلانت قلوبهم القاسية وانشرحت صدورهم الضيقة ، وتنورت افئدتهم المظلمة فانفجرت منها عيون العلم والحكمة وانبجست منها ينابيع الفضل والرحمة ، فصاروا ملوكا حكاما وأئمة اعلاما بعد ما كانوا رعاة جهلة وعبيدا رذلة، يسومهم الفراعنة سوء العذاب ويذيقونهم مرّ الشراب ، يستخدمون بناتهم ويقتلون اولادهم ويستعبدون رجالهم، فكان بنو اسرائيل في طي هذه البأساء وتحمل هذه الضراء كالاحجار التي لا حراك لها والاموات التي لا حياة لها ، لا يجدون محيصا من بلائهم ولا شافيا من ادوائهم ، فلما ظهر موسى عليه السلام واعطاه الله الحكم والنبوة وامره بتخليص بني اسرائيل من ذل الاسر والعبودية، فظهر من هذا الامر المعبر عنه بالعصا وعن الرسالة المعبرة عنها باليد البيضاء اثران باهران لا ينكرهما خبير ولا يجهلهما بصير ، فانه محىّ اولا كيد فرعون ومكره وجبر ثانيا حال الشعب وكسره ، وخلص القوم من ذل الاسر واجلسهم على منصة الملك، فجرى من تلك القلوب القاسية كالاحجار الصلدة عيون المعارف والعلم والحكمة ، فعلم كل أناس مشربهم وعرف كل سبط من الاسباط في مدة الف وخمسمائة عام مسلكهم ومذهبهم ، حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم وتفرقت



كلمتهم وانفصمت عروتهم فقست وماتت قلوبهم وبرصت بالذل جباههم وجنوبهم ، فرجعوا من اسر الفراعنة الى اسر القياصرة وعن عبادة المصريين الى عبودية الرومانيين ، حينئذ طلعت شمس الحقيقة عن افق بلاد الجليل وارتفعت نغمات الانجيل، فأحيا الله تعالى بأنفاس عيسى عليه السلام بعضا من تلك النفوس الميتة وبرّأ بيده المباركة جملة من الجباه المبروصة ، وانشأ الديانة النصرانية وغسل بها الاقطار الاروبية عن ادران الوثنية ، وتتابعت القرون ومضت الاعوام والسنون الى ان بزغت شمس الهداية عن الاقطار العربية وقام الرسول الكريم على انشاء الديانة الاسلامية ، فأجرى الله تعالى من اصابعه المباركة ينابيع العلم والحكمة الالهية ، واورقت وازهرت واثمرت اغصان الهداية في الممالك الشرقية ، واستعدت مشارق الارض ومغاربها للوصول الى نقطة الاعتدال والبلوغ الى حد الكمال ونزول الرب الموعود في غمام الجلال، فتتابعت الادوار وانقضت الاعصار حتى طلع النهار واشرق نور الانوار وزالت ظلمة الليل الاليل من جميع الاقطار والامر لله الواحد القهار .

هذا ونحن معشر الامة البهائية نعتقد بأن مظاهر امر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع اسمائه وصفاته ومطالع شموس آياته وبيناته ، لا تظهر صفة من صفات الله تعالى في الرتبة الاولية الا منهم ، ولا يمكن اثبات نعت من النعوت العالية الجلالية والجمالية الا بهم ، ولا يعقل ارجاع الضمائر والاشارات في نسبة الافعال الى الذات الا اليهم ، لان الذات الالهية والحقيقة الربانية غيب في ذاتها ، متعال عن الاوصاف بحقيقتها ، منزه عن النعوت بكينونتها ، لا تدركها العقول ولا تبلغ اليها الافهام ولا تحويها الضمائر ولا تحيط بها المدارك ، فلا توصف بوصف ولا تسمى باسم ولا تشار باشارة ولا تتعين بارجاع

ضمير ، لان منزع كل هذه هو المدارك الحسية وهي فوق الادراك ، لان كل مدرك محاط وكل محاط محدود وكل محدود ذو وضع وهذا من صفات الجسم والجسمانيات ، تعالت عنه المجردات فكيف الذات الالهية والحقيقة النورانية ، فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويستند الى الله من العزة والعظمة والقدرة والقوة والعلم والحكمة والارادة والمشيئة وغيرها من الاوصاف والنعوت ، يرجع بالحقيقة الى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره، وقد رقمت هذه المسألة من القلم الاعلى مبينة مفصلة في الواح ربنا الابهى ، وأظهر الله تعالى جواهر اسرارها في الصحف المطهرة ببيانه الاحلى .

فاذا تقرر ان مظاهر امر الله تعالى هم مظاهر قدرته وقوته وارادته ومشيئته ، فلا يمتنع اذاً صدور المعجزات منهم وظهور ما يعجز عن مثله غيرهم ، بسبب كلية هذه النفس المقدسة المتجلية فيهم ، كيف لا وهي شديدة القوى وروح الله النازل من السماء والحقيقة المتعالية على الاشياء ، القاهرة فوق كل موجود ، الغالبة على ما في الغيب والشهود ، فكما انه لا يتأتى من سائر انواع الحيوان ما يتأتى من الانسان بسبب كلية روحهذا بالنسبة لجزئية روح ذلك، كذلك ما يتأتىمن الانبياء ما لا يتأتى من غيرهم بسبب ما اسلفنا من كلية روحهم واحاطة قدرتهم وشدة قوتهم ، وكما ان ما يظهر من الانسان من عظائم الآثار وجلائل الاعمال معجز لسائر انواع الحيوان بل تحسبه الحيوانات بالنسبة لقواها خارجا عن الامكان ، كذلك ما يظهر من الانبياء معجز لسائر أفراد البشر وخارق لعادات الخلق .

ولعمر الحق لو يتدبر اولو البصائر الكاشفة فيما ورد عن الانبياء والمرسلين من البشارات والانذارات في الادوار التي تدور على أمتهم



من التقدم والوقوف والانحطاط وبيان مدة بقائهم وتعيين آجالهم ، وما يطرأ عليهم من حسن اعمالهم او سوء فِعالهم ، ليدركوا معنى كلية هذا الروح واحاطة هذه القوة ، فان الكتب الالهية هي حقيقة المائدة السماوية ، فيها ما تشتهيه الانفس وتنشرح منه الصدور وتستلذ الاعين وتتنور منه القلوب ، فانظروا مثلا الى الرسالة الثانية لبطرس الرسول المعروف عند المسلمين بشمعون الصفاء ، أول من آمن بروح الله الذي نزل من السماء وخليفته على عباده بعد صعوده الى الملأ الاعلى ، فان هذا الرسول المجتبى والامام المرتضى اخبر فيها عن حالات الامة النصرانية وما يأول اليه امر الامم المسيحية ، بما لا يمكن ان تدركه العقول البشرية بالمدارك العالية العلمية او بالانظار الدقيقة السياسية او بالنباهة والفراسة السامية الانسانية ، بل هو الوحى السماوى والالهام الالهي ، الذي عبرنا عنه باحاطة النفس وكلية الروح القدسي ، ولولا ضيق المجال وتبلبل البال من كثرة الاشغال ومعاندة الانذال ، لشرحنا هذه الرسالة الكريمة للمتبصرين من الرجال ليروا العجب العجاب عما اودعه الله في الكتاب وخصص بفهمه وادراكه ارباب الالباب ، وكذلك ما ورد في القرآن المجيد من حالات الامة الاسلامية بجميع خصوصياتها وجزئياتها الى ان تنتهي بظهور الموعود ، وتعيين ميعاد ظهوره ومنشأه وكيفية نشر أمره وبسط دعوته ، مثلا اذا تدبروا في هذه الآية الكريمة **« واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج»**(١) ، ليروا ان فيها تعيين محل نزول الموعود وتصريح بأن نداء الرب تعالى ترتفع من الارض المقدسة اقرب الاراضي الى

(١) القرآن الكريم سورة ق الآية ٤٠ — ٤١

الاقطار العربية ، وهي الجزء الغربي من البلاد السورية الواقعة حول جبل القدس من ارياف البحر الابيض المتوسط بين آسيا والممالك الاروبية ، هذه هي الارض المقدسة البيضاء والبقعة المنورة الفيحاء ، معهد اللقاء وقبلة الاصفياء ومنشأ الانبياء ومحل ارتفاع نداء الله بين الارض والسماء .

ومن المعلوم ان مملكة السورية وارياف البحر الابيض اراض واسعة وقطعة متسعة ، وفيها بلاد شهيرة ومدن عديدة وقرى ومزارع كثيرة ، فبيَّن النبي عليه السلام ان محل نزول الموعود هو مدينة عكاء ومهبط هذا النور هو ذاك المرج المعروف في تلك الارجاء ، فمدح واطرأ هذه المدينة واقطارها حتى ذكر في بياناته المباركة عيونها وآبارها وبشر ووعد بكل خير ساكنيها وزوارها ، حيث قال عليه السلام « طوبى لمن رأى عكة » ، فاشتهر هذا الحديث الشريف حتى تمسك به اللغويون مثل صاحب الصحاح وغيره ، فاستشهدوا به في كتبهم وصار كالامثال المرسلة فلهجت به الشعراء في أشعارهم ، ففصل النبي عليه السلام بهذا الحديث وكثير من امثاله مما هو مدون في كتب الاحاديث مجمل الآية الكريمة المذكورة ، وبيَّنها احسن تبيين ونص على تعيين محل الظهور احسن تنصيص وصرح أجلى تصريح ، وقد اخذه كبار الاولياء مصدرا لتفاصيل بشاراتهم وصرحوا به في خطبهم ومقالاتهم او في كتبهم ومصنفاتهم ، كأمير المؤمنين علي بن ابي طالب من السابقين الاولين وكالشيخ الكبير ابن العربي والشيخ كمال الدين محمد بن طلحة والسيد الشعراني وكثير من امثالهم من المتأخرين، ومما قاله الشيخ الشعراني في كتابه ( اليواقت والجواهر ) في المبحث الخامس والستين في هذا المعنى مستخرجا من الاحاديث والمصادر العليا قوله « يشهد الملحمة العظمى



مأدبة الله بمرج عكاء » وقوله في وزراء المهدي « ويقتلون كلهم الا واحد منهم ينزل في مرج عكاء في المأدبة الالهية التي جعلها الله مائدة للسباع والطيور والهوام » الى كثير من امثال ذلك مما خبأه الله تعالى في مكنون علمه واودعه في بطون آيات القرآن ، وصدقه كرور الايام وتتابع الازمان وسوف يطبق ذكره الآفاق ويملأ صيته السبع الطباق ، ولو انصف المنكرون لما وراء الطبيعة وتدبروا في هذه الامور الدقيقة ، لاعترفوا بأن العقول البشرية لا يمكنها انتدرك هذه الامور بشخصياتها وخصوصياتها قبل وقوعها وان تخبر الناس عنها قبل تحققها ، فكيف يمكن للمنصف الخبير والحالة هذه ان ينكر من مظاهر هذه الحقيقة المقدسة ومطالع هذه القوة الكلية المحيطة ، ان يظهر منهم ما يحير العقول ويعجز النفوس ويدهش الالباب ويأخذ بمجامع القلوب ، فلا ينبغي لنا بسط الكلام اذاً في بيان صدور المعجزات الخاصة منهم وظهور خوارق العادات المخصوصة عنهم ، بل ينبغي لنا ان تتكلم في بيان ماهية المعجزات وتقسيمها الى الآيات الاقتراحية والآيات النازلة الكتابية وبيان مقدار دليلية كل قسم منها بمعنى انه هل للمقترحات دلالة على صدق الانبياء حتى تكون صفة لازمة لوجودهم وآية لظهورهم وبرهانا على صدق دعوتهم ومثبتة لكلمتهم ؟ أوليست فيها هذه الدلالة فلا تكون صفة لازمة لهم واجبة اظهارها عليهم ، فلنتكلم في هذه المسألة المعضلة ونتكلَّف تذليل صعوباتها ونخوض في غمراتها ونكشف عن مخبآتها ، فانها لعمر الله مزلة القدم ومعركة آراء اهل العالم وبجهلها سقط كثير من الاولين وحتم الهلاك على الغابرين .

## مقالة مخصوصة

### في بيان معنى المعجزات واقسامها

### وبيان مقدار دليلية كل قسم منها

اتفقت الامم على ان مظاهر أمر الله والقائمين على تشريع دينه ، لا بد ان يكون لهم سمة مخصوصة وعلامة معلومة تميزهم عن دونهم وتفرزهم عن غيرهم لتكون شاهدا لهم ، ودليلا اليهم وبرهانا على حقيتهم وحجة لتصديقهم ، والامم الاولى الى زمان ظهور سيدنا الرسول عليه السلام كانوا يعبرون عن هذه العلامة بالآية ، والآية لغة هي العلامة ، فكانوا اذا ادّعى مدّع انه رسول من الله يسألونه عن آية ترشدهم الى صدق قوله وتثبت حقية ادعائه ، كما ورد في انجيل متى في الاصحاح الثاني عشر ، ان قوما من الكتبة والفريسيين سألوا عيسى عليه السلام ان يريهم آية ، فأجابهم ان الجيل الفاسق الشرير يطلب الآيات ولا يعطى آية الا آية يونس النبي ، ، وفي الاصحاح السادس عشر منه انه جاء اليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه ، فسألوه ان يريهم آية من السماء ، فأجابهم قائلا اذا كان المساء قلتم صحو لان السماء محمرة وبالغداة اليوم مطر لان السماء محمرة كالحة ، أفتعلمون ان تميزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لا تستطيعون ان تعرفوها ، ان الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ولا يعطى آية الا آية يونس النبي ثم تركهم ومضى ، ومعنى الجميع ان علماء اليهود كانوا يطلبون منه على سبيل الامتحان ان يريهم معجزة ، فأجابهم عليه السلام بما سنوضحه فيما يأتي من الكلام ، وجاء في القرآن الشريف نقلا عن قريش وغيرهم فليأتينا بآية كما ارسل الاولون وقوله تعالى



«لولا يأتينا بآية من ربه»(١) الى كثير من امثالها مما يثبت ان الفاظ المعجزة او خارق العادة او الكرامة وامثالها مستحدثة من مصطلحات المتأخرين ولم يكن لها ذكر عند الاولين ، وعلماء النصارى بعد انتشار ديانة سيدنا عيسى عليه السلام وثبوت كلمته بدلوا لفظ الآيات بالعجائب ، ولعلها مأخوذة من مصطلحات ديانة الصابئة التي كانت ديانة اهالي اوربا وافريقيا وآسيا ما عدا الهنود والصينيين قبل ظهور موسى وعيسى وسيدنا الرسول عليهم السلام، فان بعض الآثار العتيقة المصرية المحفوظة في متحفها الشهير ترجمت أيام اقامتي في مصر ، تدل على ان المصريين في زمان الفراعنة كانوا يعبرون عن الامور الخارقة للعادة بالعجائب ، واما علماء الاسلام اي المتقدمين منهم لما رأوا ان الله تعالى امر النبي عليه السلام بأن يستدل على صدق ادعائه بالقرآن الكريم وعبر عن عباراته بآيات الكتاب والقوم كانوا يطلبون منه آية غيره ، ورأوا ان الآيات مختلفة بحسب مفاهيمها وآثارها قسموها الى قسمين كما يظهر جليا من التفاسير .

القسم الاول الآيات الكتابية أي الوحي السماوي وهو عبارة عن الحقائق والمعاني التي نزلت بوساطة الروح الامين على قلوب الانبياء والمرسلين ، ثم ظهرت على هيئة الكلمات من السنتهم وتجلت في قوالب الالفاظ والعبارات من افواههم ، وتلك المعاني والالفاظ الدالة عليها حادثة عند الشيعة ، فالمعاني عندهم علوم الهية لدنية غير تحصيلية ، والالفاظ الدالة عليها هي الكلام الالهي ولا يعقل عندهم كلام غيره ، اذ الكلام كما هو معلوم لدى اهله ليس الا عبارة عن مجموع الفاظ موضوعة حاصلة من الاصوات ، والاصوات كما هو مقرر عند اهل

---

(١) القرآن الكريم سورة طه الآية ١٣٣

العلم والحكمة ليست الا الكيفية الحاصلة من تموج الهواء المضغوط بين قارع ومقروع ، وليس ثمة كلام ثاني فلا يعقل الكلام النفساني ، والمعاني قديمة عند اهل السنة والجماعة وهي عندهم من صفات الله تعالى ويعبرون عنها بالكلام القديم وعندهم حدوث الالفاظ لا ينافي قدم المعاني المعبر عنها بالكلام النفساني ، كما ان تبدل الاجسام وحدوثها لا ينافي بقاء الارواح وثبوتها ، اذ ليست هذه الالفاظ الا دوالا على الكلمات النفسانية التي هي في الحقيقة عبارة عن الحقائق القديمة الثابتة لذات الله تعالى ، وهذه هي الآيات الالهية والكلمات السماوية كما أشير اليه في الآيات القرآنية ، ويعرف كلام الخالق عن كلام المخلوق بعلامات وامارات . العلامة الاولى وهي اظهر العلامات واعظمها ان ينسب ويعزى الى الله تعالى كما ورد في المصحف المجيد **« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى »**(١) فانه ان كان كذبا ومختلقا يزهق من نفسه ويبطل بذاته ، وقد وعد الله تعالى في سابق حكمه وقديم امره باهلاك المتقول عليه وابادة ما يعزى بغير اذنه اليه ، فلا يبقى الباطل الزاهق ولا ينجح مقصد الكاذب المختلق . والعلامة الثانية ان يكون قاهرا لمن يقاومه وغالبا على من يغالبه ونافذا في ازهاق ما يخالفه . والعلامة الثالثة ان يكون مؤثرا في ايجاد الامة ، وبقاء الشريعة ونفوذ الحكم وثبوت الكلمة ، وهذه العلامة لا تعقل ولا تتبين الا اذا كان الكلام مشتملا على الشريعة الحديثة والسنن والاحكام الجديدة ، والا يعزى التشريع الى الرسول السابق والتأثير والنفوذ الى الكلمة القديمة ، وقد تكفلت بيان العلامتين الاخيرتين هذه الآية الكريمة النازلة في الكتاب المبين

(١) القرآن الكريم سورة النجم الآية ٣ ـ ٤



**« يريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين »**(١) ولكلام الله علامات اخرى من قبيل تأثيراته في الامور الشخصية وبيان غوامض الآثار المودعة في الصحف السابقة السماوية ، ومزاياه الظاهرة اللفظية وغيرها مما يعرفه اهلها ضربنا عن ذكرها صفحا رعاية للاختصار ولعدم الفرصة اللازمة للسابقة في ذلك المضمار ، وفي ما قلناه كفاية لاهل الاستبصار .

والقسم الثاني الآيات الاقتراحية وهي عبارة عن امور غير ممكنة عادة تقترحها الامة او بعض منها على مدّعي مقام النبوة او الرسالة ، ويعلقون تصديقهم له على اظهارها ويجربونه باقتراحها ، من قبيل انطاق الاحجار وطلب الاشجار واجراء العيون والانهار او احياء الموتى وقلب العصا بالافعى وانفلاق البحر بالعصا ، وغيرها مما لا يعد ولا يحصى ولا يشبع منه ولا يروى ، ومن خصائص الآيات الاقتراحية كما يستفاد من القرآن الشريف والانجيل المقدس انها جالبة للهلاك موجبة للدمار ، لا تفيد اليقين والهداية لاهل الاستبصار ولا يطلبها ولا يقترحها الا الفسقة والاشرار كما سنوضح اسبابها لارباب النباهة والاعتبار ، وفي القرون الوسطى اطلقوا لفظ المعجزة وخارق العادة على المعنى المستفاد من الآية مجازا باعتبار انها تعجز الخلق عن الاتيان بمثلها ، وتخرق العوائد التي تعودت الامم على فعلها حتى صارت حقيقة ثانوية ، ثم قسمها المتأخرون تقسيما آخر فقالوا اذا صدر خارق من نفس قبل بعثتها للنبوة يسمى هذا الخارق ارهاصا ، واذا ظهر بعد البعثة مقارنا للتحدي والاحتجاج يسمى معجزة ، ولا تعزى المعجزات الا الى الانبياء ، واذا صدر هذا الخارق عن انسان بلا تحد وادعاء

(١) القرآن الكريم سورة الانفال الآية ٧

وتشريع واحتجاج يسمى كرامة ، وهي لا تعزى الا الى الاولياء ، واذا صدر الخارق من نفس خبيثة شيطانية يسمى سحرا واستدراجا ، وهذا هو المرويّ عن السحرة القدماء ، ومن عرف الحقائق يمكنه ان يعرف مقدار تفاهة هذه المصطلحات وبُعد اصحابها عن معرفة حقائق الآيات والبينات ، فتم فيها قول الرحمن « **ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان** »(١) ، الا انه لا يجوز لأهل العلم ان يضايقوا القوم في مصطلحاتهم ويشاحنوهم في عباراتهم فقد قيل « لا مشاحة في المصطلحات » فلنترك القوم وآراءهم وتتكلم في مقدار دليلية المعجزات وحجية خوارق العادات .

ومن المعلوم ان الدليل والبرهان لا بد ان يكون مرتبطا مع المدلول والامر المبرهن ، والا لا يعد برهانا ودليلا مهما كان مدهشا وعجيبا ، مثلا اذا ادعى احد أنه طبيب عالم بفنون حفظ الصحة وعلاج الامراض واستدل على صحة دعواه بأنه يطير الى السماء فطار ، لا يدل بالضرورة طيرانه الى السماء على كونه طبيبا ـ وان كان الطيران مدهشا عجيبا ـ لانه ليس من صفات الفعل ولا رابطة بينه وبين موضوع الطب ، بل حفظ الصحة وابراء المرضى عن الامراض من صفات الفعل ودليل مرتبط على صحة الدعوى وصدق الادعاء ، قال الاستاذ كرنيليوس فنديك الامريكاني(٢) في الجزء الثامن من كتاب النقش في الحجر وهو في المنطق: « وبما ان الانسان معرّض للخطأ في الامور العقلية يوافقه ان يستعين بآلة قانونية تعصمه من الخطأ وترشده الى الصحيح حتى لا يحسب

(١) القرآن الكريم سورة النجم الآية ٢٣

(٢) ( Van Dyck ١٨١٨ـ١٨٩٥ ) مستشرق وطبيب هولاندي الاصل اميركي المنشأ تضلع من العربية وهو من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت .



علة ما ليس بعلة ولا نتيجة ما ليس بنتيجة ، ولا يبنى على أساس فاسد ولا يعد برهانا ما ليس ببرهان ، قال الامام الغزالي لو قال قائل اربعة أكثر من عشرة وانا ابرهن ذلك باحالة هذه العصا حية، ثم فعل وتحولت العصا حية لكنت اندهش من حيلة العامل ، ولكني كنت ابقى على يقيني بأن اربعة اقل من عشرة الى آخر قوله ، معناه ان لا تعلق بين البرهان والامر المبرهن واذ ذاك فلا يعد برهانا » .

فاذا عرفت هذه المقدمة يمكن ان تفهم بغاية السهولة انه لا ارتباط بين ادعاء الرسالة والقدرة على الامور المستحيلة عادة ، اذ نفس ادعاء الرسالة لا تقتضي القدرة على الاشياء التي هي من صفات المرسل ، مثلا اذا ادعى رجل انه رسول من قبل السلطان لاجراء حكم او تبليغ امر او نهي ، فنفس ادعاء الرسالة لا توجب ولا تقتضي ان يكون الرسول قادرا على افعال السلطان ومتصفا بأوصافه من قبيل القدرة على جرّ العساكر وفتح الحصون وقتل النفوس ونصب الوزراء وعزل الامراء وامثالها ، بل لو كان الرسول قادرا على بعض تلك الامور لا يظهره حين الاقتراح والطلب لعدم الارتباط والتعلق بنفس الادعاء مثلا اذا ادعى احد انه والي مملكة بنجاب من ممالك الهند من قبل ملكة انكلترا وعارضه قوم من الاهالي وطلبوا منه برهانا على صحة دعواه هو بالضرورة يستدل بفرمان الملكة وكتابها الذي اعطته اثباتا لمنصبه وحجة على ولايته ، فلو فرضنا ان القوم ما اذعنوا لكتابه ولم يعتنوا بفرمانه بحجة انه يمكن ان يكتبه كل نفس ويختلقه كل شخص ، وطلبوا منه آية من آيات الملوك او فعلا من افعال الامراء من قبيل حبس نفوس وقتل اشخاص ونصب آحاد وعزل افراد ، كما هو معهود من شؤون الولاة والامراء ليذعنوا ببرهانه ويخضعوا لسلطانه هو بالبداهة لا يتنازل لاجابة مسؤولهم واسعاف مأمولهم ولا يستدل الا بكتاب الملكة

ولا يتمسك الا بفرمان مالكة المملكة ولو كان قادرا على ما طلبوا منه من النصب والعزل والحبس والقتل ، لان لهذه الامور اوقاتا واحوالا ومقتضيات ورجالا لا يمكنه ان يغيرها من قبله ، او يبدل شيئا منها من تلقاء نفسه ، وهذا سر قوله تعالى **«وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله»**(١) فانه ليس ارسال الرسل وتشريع الشرائع الدينية في عالم الروح الا كارسال الامراء ونصب الولاة وتشريع الشرائع الوضعية المدنية في عالم الملك .

ومما قررناه يظهر جليا ان قوله تعالى في سورة الانعام **«قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون»**(٢)

انما هو تعليم الدليل العقلي والبرهان الواضح على ان ادعاء الرسالة لا تقتضي ولا تستلزم القدرة على امور غير ممكنة في العادة ، فان من يدعي مثلا انه يعلم الغيب يرتبط امتحانه في معرفة غيب مخصوص بنفس المدعى ، لان هذا الغيب المخصوص فرد من افراد كلي معرفة الغيب الذي ادعاه المدعي وبينهما رابطة الكلية والجزئية ووجوب صدق الكلي على افراده ، ومن يدعي مثلا ان له قدرة على خزائن السموات والارض يرتبط امتحانه في ايجاد شيء مخصوص منها بنفس المدعى لما قلناه انه فرد من افراد ذلك الكلي ولا بد من انطباق الكلي على افراده وصدقه عليها ، واما الرسالة فليست كليا لتلك المقترحات وصورة منتزعة منها ، فليس بينهما اذاً ادنى رابطة ، فالمقصود من الآية المباركة ليس نفي القدرة بل نفي التعلق والرابطة

(١) القرآن الكريم سورة الرعد الآية ٣٨
(٢) القرآن الكريم سورة الانعام الآية ٥٠.



بين ادعاء الرسالة والقدرة على ما هو فوق العادة .
وكذلك الآية النازلة في سورة الاسراء حيث قال جل وعلا **«وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا»** (١) ، فان ما امر الله تعالى ان يقوله الرسول عليه السلام جوابا على مقترحات القوم ليس الا تصريحا على ان ادعاء الرسالة لا تقتضي القدرة على المقترحات المذكورة ، اعني ان قوله عليه السلام **سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا** انما ينفي الارتباط والتعلق بين الرسالة والقدرة على تلك المقترحات ولا ينفي القدرة عليها ، اذ يمكن عقلا ان يكون الرسول قادرا على تلك الامور ولكن ادعاء الرسالة لا توجب ولا تستلزم اظهارها ، كما ان الوالي قادر على نصب نفوس وعزل آخرين ولكن لا ينصب ولا يعزل اثباتا لولايته ، بل حين ما يجيزه القانون وتقتضيه الاعمال والاوقات .

اذا تقرر هذا وثبت ارتباط الكتاب بادعاء الرسالة فنقول ان للآيات الكتابية اي الوحي السماوي مزايا ظاهرة على الآيات الاقتراحية التي عبروا عنها بالمعجزات او العجائب بوجوه :

**المزية الاولى** ان الكتاب له دلالة اولية على صدق الدعوى لما أودع فيه من الهداية التي بسببها ارسل الرسل وبعث الانبياء وهي من صفات الفعل ، بخلاف سائر المعجزات ، فانها اما منذرة الى الهلاك

(١) سورة الاسراء الآية ٩٠-٩٣

اذا صدرت بعد الاقتراح ، واما تدل دلالة ثانوية تأييدية اذا صدرت بلا اقتراح ، بسبب انها ليست من صفات الفعل ولا رابطة بينها وبين النبوة والرسالة كما سبق ذكره مبسوطا، قال القاضي العلامة محمد بن احمد ابن رشد الاندلسي في كتاب الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة بعدما بسط الكلام في هذه المسألة : «ولما كان هذا كله انما فضل فيه صلى الله عليه وسلم ، لانه فضلهم في الوحي الذي به استحق النبي اسم النبوة، قال عليه السلام منبها على هذا المعنى الذي خصه الله به ( ما من نبي من الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما على مثله آمن جميع البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا يوم القيامة ) ، واذا كان هذا كله كما وصفنا فقد تبين لك ان دلالة القرآن على نبوته صلى الله عليه وسلم ليست مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى عليه السلام ، واحياء الموتى وابراء الاكمة والابرص على نبوة عيسى عليه السلام ، فان تلك وان كانت افعالا لا تظهر الا على أيدي الانبياء وهي مقنعة عند الجمهور ، فليست تدل دلالة قطعية اذا انفردت لانها ليست من افعال الصفة التي سمي بها النبي نبيا ، واما القرآن فدلالته على هذه الصفة مثل دلالة الابراء على الطب » .

والى هذه النكتة التي غفل عنها الاكثرون اشير في الآية الكريمة النازلة في سورة العنكبوت وهي قوله تعالى **« وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »**(١) فهذه الآية تدل دلالة واضحة صريحة على مطالب مما ذكرناه في هذه المقالة : **الاول** ان سيدنا الرسول صلى الله

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٠–٥١



عليه وآله وسلم ما استدل على اثبات صحة رسالته بالمعجزات حتى كان القوم ينادون على رؤوس الاشهاد ، لو ان محمدا هو نبي حق ورسول صادق لِمَ لم يعطه الله معجزات ؟ **الثاني** ان اظهار المعجزات انما هو من شؤون الله تعالى ، وفحواه انه ليس من شؤون الانبياء عليهم السلام اذ ليس شأن النبي الا الانذار ، **الثالث** ان الكتاب دليل كاف وبرهان واف على صحة دعواه وصدق قوله ، ثم علل ذلك بأن في الكتاب وحده اودع الله الرحمة والهداية والذكرى والموعظة التي بسببها ارسل الرسل وشرعت الشرائع ، بل ولها وضعت المعارف وانشأت المدارس ، اذ هي مرقاة المدنية وسلم الصعود الى مدارج الانسانية وقوادم العقل للطيران الى العوالم الرحيبة الروحانية .

**والمزية الثانية** ان الكتاب من الآثار الباقية الخالدة بخلاف سائر المعجزات وخصوصا المقترحات فانها من الآثار الزائلة البائدة .

**والمزية الثالثة** ان الكتاب سهل التناول يمكن ان يرسل الى كل البلاد ليراه كل طالب ويتناوله كل قاصد ، بخلاف سائر المعجزات فانها تختص بالحاضرين دون الغائبين ، ولهذين السببين الاخيرين اي البقاء وسهولة التناول سمي الكتاب بالحجة البالغة ، لانه يمكن ان يرسل الى اقصى المعمورة ويبقى الى انقضاء الدورة ، فهب ان عيسى عليه السلام احيى ميتا او ابرأ ابرصا وانطق اخرسا ، وان سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شق القمر وانطق الحجر واطاعه النجم والشجر ، اين هذه الامور من الانجيل والقرآن وما اودع الله فيهما من النور والبرهان ؟ فان الكتاب يقرأ في كل ناد ، ويشاهد في كل قطر ويراه كل راء ويسمعه كل سامع ويتعظ به كل مستعد ويستفيد منه كل مستفيد ، لتبلغ الحجة وتكمل البينة الى ان ينقضي الاجل المسمى

وتبلغ الحقائق الى الغاية القصوى وتستعد للظهور في النشأة الاخرى •

**والمزية الرابعة** ان العلم والكتاب انما هو اشرف الاشياء ليكون حجة اشرف الخلق ، وهذه المسألة من المسائل الضرورية بل هي فطرية غريزية لا تحتاج الى مزيد بيان او اقامة برهان ، اذ ليس شرف وراء العلم والعرفان ، ومن المعلوم ان شرف الانسان بالعلم ومستودع العلم هو الكتاب ، وهذا معنى قوله تعالى « **قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون** »(١) وقوله تعالى « **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »(٢) • والى هذا اشير فيما جاء في اول كتاب الحجة من كتاب الكافي عن ابي عبدالله جعفر ابن محمد احد أئمة اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حينما سأله زنديق : بِمَ اثبتّ الانبياء ؟ فقال : « لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه ، فيباشرهم ويباشروه[٣] ويحاجهم ويحاجونه ، ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعزّ ، وهم الانبياء وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من احوالهم ، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما اتت بـه الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته » • وفي هذه المقالة الشريفة

(١) سورة الانعام الآية ٥٠.
(٢) سورة الزمر الآية ٩
(٣) المباشرة عند المعتزلة فعل صادر بلا وسط كحركة اليد فان كان بوسط كحركة المفتاح فهو التوليد ( محيط المحيط للبستاني ) .



ملامح الولاية وصبغة وراثة النبوة والرسالة، حيث خصص امتياز سفراء الله عن سائر الخلق بالعلم والحكمة من دون اشارة الى ما عند القوم من دلائل المعجزات وخوارق العادات •

**والمزية الخامسة** ان خاصية طلب المعجزات واقتراح الآيات ضد خاصية ارسال الرسل وبعث الانبياء بالخط المستقيم،لان الفائدة الكبرى والسبب الاعظم لارسال الرسل وتشريع الشرائع انما هي اولا ابتلاء العباد وتمحيص الافئدة وتخليص القلوب لتمييز الخبيث من الطيب والفاجر من البار والكافر من المؤمن والشاك من الموقن ، ولتحقق الكينونات وبروز الحيثيات ، فان اراضي القلوب واشجار الكينونات قبل ظهور الانبياء ونزول الآيات ساكنة هادئة ساكتة هامدة ، فاذا انزل الله مـاء الوحي وهطلت من غمام الالطاف امطار الآيات اهتزت كل ارض وربت وانبتت وبسقت كل شجرة واورقت وازهرت ، فتظهر الحقائق المكنونة وتبرز الآثار المخبوءة ، فيعلم الجيد من الرديء والصالح مـن الفاسد والطيب مـن الخبيث ، وهكذا يتم التمحيص ويتحقق التخليص كما وُعدنا في الصحف الاولى بغاية التصريح والتنصيص ، واما اقتراح الآيات على الانبياء وطلب المعجزات منهم ، انما هو عبارة عن امتحان نفس الانبياء وتجريبهم بل هو عين ابتلائهم وتخليصهم ، وهو كما قلنا ضد فائدة ارسال الرسل ونقيض خاصية بعث الانبياء بل هو عين التكبر على الله والمكاشفة لارادته والمضادّة لمشيئته والمعاكسة لحكمته ، وهذا كما قلنا آنفا ينذر الى الهلاك والدمار ويوجب الذلة والبوار ، فتذكر قوله تعالى « **وما نرسل بالآيات الا تخويفا** »(١) وهذا هو المقصود مما ورد في التوراة المقدس « **لا تجرب الرب** » وهذا هو المراد مما جاء في

(١) سورة الاسراء الآية ٥٩

الانجيل الشريف « **هذا الجيل شرير يطلب آية** »(١) ومن تصفح احوال طبقات الناس اوان ظهور الانبياء وبدء النشأة الدينية ، يرى أن الطبقة العليا من المؤمنين كتلامذة عيسى عليه السلام واصحاب سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما جربوا مظاهر امر الله وما اقترحوا عليهم آية بل اذعنوا لظهور سلطانهم وسطوع برهانهم ، او بتلاوة آياتهم ونفوذ كلماتهم فآمنوا وايقنوا وما شكوا ولا ارتابوا ، فقاموا بهذه القوة التي ليست وراءها قوة على نصرة دين الله ونشر امره وانفاذ كلمته واعلاء ذكره ، فأخرجوا أمما من الظلمات الى النور وادخلوا أقواما من الشرك الى التوحيد وهدوا شعوبا من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن ، فابقوا آثارا باهرة واعمالا ظاهرة مما لا يشك فيه بصير ولا يرتاب فيه خبير ، وأما الذين طلبوا المعجزات واقترحوا الآيات وجربوا رسلهم بالخرافات ، جرّبوا قبل ان يجرّبوا وامتحنوا حينما ارادوا ان يمتحنوا ، فما آمنوا ولا اذعنوا بل تمادوا بكفرهم وعموا في غيهم ، فهلكوا فيمن هلك من الغابرين وبقيت قصصهم مثلا وعبرة للآخرين .

هذه هي بعض مآثر الكتاب ووجوه رجحانه على سائر المعجزات من المقترحات وغير المقترحات ، تلوناها عليك بمقدار ما أفاض علينا ربنا من غمام فضله وأنعم به علينا من بحار علمه ، ومنها يعلم سبب امتناع سيدنا عيسى عليه السلام عن اجابة اليهود حينما اقترحوا عليه الآيات وطلبوا منه المعجزات ، كما نقلناه عن الاصحاح الثاني عشر والسادس عشر من انجيل متى وامثاله كثيرة في مواضع اخرى ، واما القرآن الشريف ففيه من الآيات الصريحة في الامتناع عن اظهار المعجزات ووخامة عواقب اقتراح الآيات ما لا يمكن الاتيان بجميعها في هذه

(١) انجيل لوقا الاصحاح ١١ الآية ٢٩



الوجيزة ، فنتلو بعضا منها على ارباب الاذواق السليمة واصحاب الآذان الواعية والقلوب الفهيمة ، لعلهم يعرفون معنى البينات وينتبهون الى خطارة اقتراح المعجزات ووخامة عواقب طلب الآيات منها قوله تبارك وتعالى في سورة الاسراء « **وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا** »(١) ومن تدبر في هذه الآية الكريمة ، يرى ان فيها تصريحا غير قابل للتأويل ، ان الله تعالى أبى وامتنع ان يظهر المعجزات بسبب ان الاولين كذبوا بها وانكروا معجزات الانبياء ، فأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم وابادهم بانكارهم كما أن ثمود ظلمت بالناقة وكفرت بهذه الآية فاهلكت واعدمت ، ثم علل هذه النكتة بأن الله تعالى لا يرسل بالآيات الا انذارا بالهلاك واشعارا بالدمار ، ويشعر بهذه النكتة ايضا قوله تعالى في سورة الانعام « **قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين . قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين** »(٢) ومن المعلوم ان ما يستعجله كفار مكة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، انما هو ان يظهر لهم آية كما هو الشأن عند ظهور كل نبي او رسول او داع الى الله ، فانه لم يظهر رسول الا واول ما يقترحه الناس عليه هو اظهار معجزة من غير ان يلتفتوا الى دليليتها وعدم دليليتها ، فاذا ابى الرسول اجابة مسؤولهم يصرون على الطلب ويظهرون اللجاج في الاقتراح ، كما يدلك عليه قوله تعالى في سورة الانعام « **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات**

(١) سورة الاسراء الآية ٥٩
(٢) سورة الانعام الآية ٥٧ ــ ٥٨

**عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ، ولو اننا نزّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون »(١) .** فان اكابر العرب لما ظهر النبي عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المناظرات ما يعرفه الخواص والعوام ، كانوا يحلفون اشد الحلف ويقسمون بأعظم الايمان ويقولون والله الحي القديم وبالله الحق العظيم لو اظهر محمد آية أي معجزة لتؤمنن به ، وكرروا الحلف واصروا على اليمين فأجابهم الله تعالى بأن الآيات عند الله يعني انه تعالى قادر على اظهار المعجزات ، الا انه لو اظهر معجزة لا يؤمنون بها، لانه تعالى يقلب افئدتهم وابصارهم ويتركهم في حال العمه والترديد مثل حالهم قبل صدور المعجزة المطلوبة ، فيمتنعون عن الايمان والاذعان كامتناعهم قبل ظهور البرهان ، وسبب ذلك ما قلنا ان المعجزات لا دلالة لها ذاتا على الرسالة والنبوة، ولا رابطة بين ادعاء النبوة والقدرة على ما هو خارج عن الامكان في العادة ، الا ان الناس بأجمعهم الا قليلا ممن ايقظ الله فؤاده بروح النباهة واوقد في مشكوة قلبه مصباح اليقظة كانوا غافلين عن هذه النكتة جاهلين بعدم الارتباط بين الرسالة والقدرة على اظهار المعجزة ، غريقين في بحار الاوهام الموروثة عن الجاهلية القديمة ، ولذا كانوا يقترحون المعجزات على رسلهم بلا ترو ولا تأمل اولا ، فلو فرض ان النبي اجاب مسؤولهم واظهر لهم الآية المطلوبة والمعجزة المقترحة ، ينتبهون بفطرتهم الى عدم الدلالة وفقدان الرابطة فينكرونها ويكذبون بها ويحملونها اما على السحر والشعوذة او غيرها من الامور الموهومة الباطلة ، فيتحتم حينئذ

(١) سورة الانعام الآية ١٠٩ــ١١١



عليهم الهلاك وينزل عليهم العذاب لما نقضوا من ايمانهم وحنثوا في حلفهم ونكثوا من عهودهم، كما اخبرنا عن الامم الغابرة الجاحدة والملل الدائرة البائدة ، وهذا معنى ما علل الله تعالى عدم ايمانهم بتقليب افئدتهم وابصارهم اي تبديل افكارهم وانظارهم وتغيير مجاري ادراكهم واشعارهم ، فاذا قلب الله تعالى افئدتهم وابصارهم الى الالتفات بعدم الدلالة لفقدان الرابطة بقوا ولا شك في حالتهم الاولى من الشك والترديد ، اذ ليس الايمان الا اطمئنان القلوب ولا يطمئن القلب الا بالبرهان المرتبط ولا ارتباط بين الرسالة وما كانوا يطلبون ، فصح ان الله تعالى يذرهم في طغيانهم يعمهون اي يترددون .

ثم ان الله تعالى اخبر رسوله الكريم عليه السلام انه لو اظهر المعجزات الهائلة والآيات الكبيرة الخطيرة من قبيل نزول الملائكة الى هؤلاء وقيام الموتى وتكلمهم مع الاحياء وحشر كل شيء ظاهرا عيانا على تلك الامة العمياء لا يؤمن الكفار بها اي لا تؤثر هذه المعجزات في هدايتهم ولا تنجيهم من ضلالتهم ، لان الهداية موقوفة بارادة الله تعالى ومشيئته وموكولة الى اذنه وقدرته لا الى ظهور تلك الآيات ورؤية شيء من المقترحات ، وسببه ظاهر عند اهل البصارة ، لان الهداية والضلالة تابعتان لما اكتسبته القلوب في النشأة الاولى والديانة السابقة من الرقة والقسوة والنور والظلمة والنقاوة والكدورة لما قررناه ان الديانات بأجمعها شرعت باذن الله وانشأت وحفظت وبقيت الى امد معلوم واجل مسمى بكلمته ، وكلها طرق للوصول الى الغاية القصوى وابواب للدخول في الجنة العليا ، فالتخطي عنها بالضرورة يوجب الضلالة والسلوك فيها يوصل الى الهداية ، فلا تجزى نفس الا بما اكتسبت يداها في طي هذا البرزخ البعيد

والامد المديد وما ربك بظلام للعبيد • ومنها قوله تعالى **« قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين، وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين »**(١) . هذه الآيات الكريمة نزلت حينما كانت الاحزان احاطت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتدت به الاحوال وضاقت عليه المذاهب من كثرة ما اقترحوا عليه من المعجزات وكذبوا واستهانوا بالآيات ، حتى كانوا ينسبون آيات القرآن الى الشعر والافتراء واساطير الامم الاولى وحتى غلا بعضهم في التثريب وبالغ في التكذيب وقال ودعا **«اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم»**(٢) ، مشعرا بأنه قاطع مستيقن في تكذيبه غير شاك وغير مريب في انكاره ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات تسلية لنبيه عليه السلام مشعرة بأنه جل وعلا يعلم مقدار ما احاطت به من الاحزان واستولت عليه من الاشجان ، ونبأه بأن هؤلاء الظالمين لا يكذبون رسول الله بل هم في الحقيقة يجحدون بآيات الله مشيرا الى ان تكذيب الرسول كأنه ليس بشيء في مقابل جحود الآيات ومعارضة الكتاب ، وفيها من شديد التهديد ومخيف الوعيد ما لا يخفى على ذي النظر الثاقب والبصر الحديد ، فانه ما من جبار انكر الكتاب واستهان بالآيات وجاحد بالبينات الا وقصم الله ظهره وفلّ حده وكسّر انيابه واذل اعقابه ، فقطع دابره واهلك ناصره حتى تضرب به الامثال ويعتبر

(١) سورة الانعام الآية ٣٣–٣٥
(٢) سورة الانفال الآية ٣٢



به في القرون والاجيال ، ثم ذكر نبيه عليه السلام بمن مضى من كبار الانبياء وسبقه من البررة الاصفياء بأنهم كُذّبوا وأوذوا قبله فصبروا على مضض البلاء وتحملوا شدائد الابتلاء حتى اتاهم نصر الله وغلبوا على اعداء الله ، فلا بد له ان يصبر كما صبروا ويتحمل الاذى كما تحملوا ، لان كلمة الله لا تتبدل وسنته في كيفية ارسال الرسل وتشريع الشرائع لا تتغير ، ولقد اخبره الله تعالى بقصص الاولين وحكايات السابقين ليكون على بصيرة من امره وواثقا بربه ومتيقنا بغلبته ونصره ، ثم خرج من مقام التسلية والتعزية الى مقام التشديد والتنديد فقال جل ذكره وجلت عظمته ما معناه ، انه لو صعب عليك الصبر على تكذيب الكفار واستهزاء الاشرار فاطلب ان استطعت نقبا في الارض او سلما في السماء ، لعلك تظفر بمعجزة وتأتيهم بآية ليسكتوا عن تكذيبك ويكفوا عن مخاصمتك ، ثم نبه رسوله الكريم بأن الله تعالى لو شاء ليمكنه ان يجمعهم على الهدى ويهديهم جميعا الى شريعته المثلى ، أليس الذي هدى وجهاء العرب وزعماء القبائل الى محجة الايمان وموهبة الاذعان ، مع ما هم معروفون به من شدة العصبية والانفة العربية والنخوة البدوية والصلابة الجاهلية قادرا على هداية الجميع ؟ أليس الذي بدل عداوة الأوس والخزرج بالاخوة الدينية والمحبة الروحانية بعدما اهرق بينهم من الدماء ورسخت فيهم العداوة والبغضاء قادرا على جمع كلمة العرب على الايمان وترك الخصومة والعدوان ؟ ولكن لو فعل لبطل حكم التمحيص والتخليص ولا يفرق بين الطيب والخبيث ولضاعت فوائد الامتحان والابتلاء وخفيت حقائق الاشياء ، وخلاصة القول انه لو تدبر بصير فيما اودع الله تعالى في هذه الآيات المذكورة من التسلية والتعزية والحث على الصبر والتذكر بما وقع في الامم الماضية والملل السابقة ، ثم التوبيخ والتنديد في حب اظهار المعجزة لكفاه علما بمواقع الآيات

وتتائج طلب المعجزات كما هو معلوم عند اولي الالباب ومن عنده علم الكتاب .

ومنها قوله تعالى في سورة البقرة « **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون**»(١) . يعني قال الذين لا يعلمون معنى الدليل والبرهان ولا يعرفون نتائج طلب المعجزات وتأثير المقترحات ، لو كان محمد رسولا من الله لِمَ لا يكلمنا الله تعالى كما كلم بني اسرائيل في ايام موسى او يظهر معجزة كما اظهرها السابقون من الانبياء؟ فأجابهم الله تعالى بأن هذا القول شبيه بما قاله الكفار من قبل ردا على الانبياء وجحدا لرسالتهم ، ومماثلة اقوالهم دليل على تشابه قلوبهم . فان الاقوال تنبعث من القلوب وكما قال عيسى عليه السلام « **من الاثمار تعرف الاشجار** » ، فاذا كان اقتراح المعجزات من السابقين دليلا وموجبا للتكذيب والانكار وجالبا للهلاك والدمار ، كذلك سيكون في اللاحقين الى ان ترجع الحقائق الاولى في يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كما اشير اليه في قوله تعالى « **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين**»(٢) .

ومنها قوله تعالى في سورة آل عمران « **الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين** »(٣) . وتحرير الخبر ان اليهود قابلوا سيدنا النبي عليه السلام وقالوا كانت

(١) سورة البقرة الآية ١١٨
(٢) سورة الحجر الآية ١٢-١٣
(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٣



سنة الله تعالى في تمييز الحق عن الباطل ، انه اذا ادعى نبي انه رسول من الله وعارضه قوم كانا يقربان قربانا الى الله تعالى فتنزل نار من السماء وتأكل قربان النبي الصادق لتكون علامة له وحجة على خصمه ؛ اشارة الى ما وقع بين هابيل وقابيل ابني آدم وبين ايليا النبي اي الياس عليه السلام والانبياء الوثنيين في زمان احاب ملك اسرائيل ، كما هو مذكور في الفصل الثامن عشر من كتاب الملوك الاول من كتب العهد العتيق ، فطلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يظهر لهم هذه المعجزة ليروها ويؤمنوا به ، ولكن الله تعالى امر النبي عليه السلام ان يجيبهم ويرد عليهم بأن الانبياء والمرسلين جاؤوا من قبل بالبينات وبهذه المعجزة المطلوبة فلم قتلوهم وكذبوهم، ان كانوا صادقين في قولهم انهم يؤمنون به بعد ما اظهر لهم هذه المعجزة ويصدقونه بظهور تلك الآية ، الا ان اليهود دهشوا من هذا الجواب وتحيروا في توجيه هذا الخطاب لأن السامريين انكروا الياس النبي عليه السلام لا اليهود ، واليهود الذين طلبوا تلك المعجزة من النبي عليه السلام لم يكونوا موجودين في زمان الياس حتى يؤخذوا بجريرتهم ويؤآخذوا بانكارهم وتكذيبهم ، لان الياس كان قبل النبي عليه السلام بأكثر من الف وخمسمائة عام فلا يصح ولا ينطبق عليهم توجيه هذا الملام ، فلما اخطأوا المرمى وجهلوا المعنى حسروا لثام الانكار والتكذيب وابدوا صفحة الاستكبار والتثريب جهلا منهم بكيفية الخلقة والانشاء وغفلة عن الحقائق المقصودة من الموت والحياة والرجعة ، فتم فيهم قوله تعالى في محكم تنزيله « **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** »(١) .

ومنها قوله تعالى في سورة القصص « **فلما جاءهم الحق**

(١) سورة يونس الآية ٣٩

**من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل ، قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ، قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين»(١)** . ومنها قوله تعالى في سورة الرعد **« ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب . الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب»(٢)** . الى كثير من امثال هذه الآيات الصريحة والبيانات الواضحة الدالة على ان الله تعالى ابى عن اظهار المعجزات حين اقتراح المكابرين واحتجاج المجربين ، ولا يرى في الانجيل المقدس ولا في القرآن العظيم ادنى استدلال بالمعجزات واقل اشارة في اجابة طلب المقترحات ، وليس ذلك الا لعدم التعلق والرابطة وفقدان التأثير والفائدة وجهل الناس بمواضع الدليل والحجة ، فظهر مما ذكرناه وفصلناه واطلنا الكلام فيه ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استدل على صدق ادعائه بالكتاب ، لما جعل الله فيه من النور والهداية والرحمة وابى عن اظهار المعجزات المقترحة لما فيها من الهلاك والضلالة والنقمة ، فينتج مما تقدم ان ما روي من المعجزات في السير والاخبار ان لم يكن فيها منافاة مع صريح القرآن يمكن ان يعتمد عليها وتتخذ من الادلة التأييدية والبراهين الثانوية ، وان وجدت فيها مخالفة مع صريح القرآن والانجيل فلا صحة فيها ولا يستدل بها ، وليست في فهم هذه المسألة صعوبة واشكال ان لم تكن في القلوب اكنة واقفال ، والقاعدة الكلية المعتبرة عند اهل العلم والحكمة هي ان من المعجزات ما يرجع الى كلية الروح المقدس واحاطتها وقوتها ، فهي حق لا ريب

---

(١) سورة القصص الآية ٤٨–٤٩
(٢) سورة الرعد الآية ٢٧–٢٨



فيها كما ثبت لدينا من السابقين ورأينا وشاهدناه من اللاحقين ، وما سواها فأباطيل واضاليل واوهام واحلام برقها خلب وغمامها جهام ، هذا ما بدا لنا من حجية المعجزات وقد بسطنا القول فيها بالدليل العقلي المنطبق على الكتاب الالهي مما فيه كفاية لطلاب الهداية وغنية لارباب الدراية .

فلنتكلم في مسألة حجية الكتاب واعجاز الوحي السماوي ، فانها ايضا من المسائل التي كثرت فيها الاقوال وتشعبت فيها الآراء وانتهت الى الجدال بين العلماء ، فالتبس الامر عليهم وضاعت الحقيقة من بينهم لبعدهم عن معين الحياة واكتفائهم بالملح الاجاج عن العذب الفرات .

فاعلم ايها السيد السند سقاك الله من الرحيق الطهور وقربك الى مطلع النور ومشرق الظهور ، انه لا كلام ولا نزاع بين الامم في حجية الكلام الالهي والوحي السماوي ، وانما النزاع والكلام في العلامة التي بها يعرف كلام الخالق عن كلام المخلوق ويفرق بها بين الوحي الالهية والخواطر البشرية ، ونحن وان اشرنا اليها آنفا بما يكفي لانتباه اولي البصائر ، الا انه بسبب اجماله واختصاره لا يفي غالبا بالمرام بما تراكم على افئدة الطلبة من صدا الاوهام ، واستهوتها ملفقات العقائد وزخارف الكلام ، فنكتب آراء الامم اولا في هذه المسألة ثم نتبعها بما هو رأينا فيها ، ونترك الحكم لاصحاب الاذواق السليمة والافكار المستقيمة ، متوكلين على الله ربنا ورب العالمين ومقصودنا ومقصود من في السموات والارضين ، اما الامة الانجيلية من الامم النصرانية كما بينه وقرره القس الفاضل فاندر النساوي في كتاب ميزان الحق وغيره في غيره تعتقد ان كل كلام اسكت اقتضاء الروح في طلب النجاة فهو الكلام الالهي والوحي السماوي ، اذ لا شك ان الروح بطبيعتها

مقتضية وطالبة للوصول الى الطمأنينة بالنجاة الحقيقية والحيوة الابدية واللذة الدائمية ، فاذا وجد كلام اطمأنت به الروح في الوصول الى هذه الدرجة المطلوبة والغاية المرغوبة فلا يبقى فيه شك انه كلام الله ، وهذه العلامة مخصوصة بالانجيل المقدس دون كتب سائر الملل مثل كتب الامة الاسلامية والامة البوذية والامة البزهمية وغيرها ، هذه هي خلاصة تقريرهم في معرفة كلام الله وتمييزه عن كلام البشر ، الا ان العالم النبيه يلتفت ويدرك ان هذه العلامة ليست علامة ظاهرة يفحم بها المكابر ويقطع بها حجة المجادل ، بل هي عين الدعوى وموضع المسألة اذ كل امة وخصوصا علماؤهم يدعون ويعتقدون ان هذه الفائدة مخصوصة بكتابهم دون غيره ، أليس القرآن الشريف يصرح وينادي **الا بذكر الله تطمئن القلوب** ، أليست الامة البوذية تعتقد بكتاب كنفوشيوس مؤسس دينهم وشارع قوانينهم بانه هو سبب النجاة ومأخذ الحياة وموجب لاطمئنان القلوب وسبب لانشراح الصدور ؟ أليست الامة البرهمية تعتقد بكتاب ويد والامة الفارسية بكتاب اوستاوزند بمثل ما تعتقد الامم النصرانية بالانجيل واليهود بالتوراة ؟ بل وكثيرا ما انجذبت وتنجذب قلوب الامم واطمأنت وتطمئن بكتب دون الكتب السماوية في دياناتهم كانجذاب الصوفية بكتب مشايخهم والدروز والغلاة بكلمات اكابرهم ، فما هو الفارق اذاً بين هذه الدعاوى الطائلة وما هو المرجح بين تلك الكتب المتباينة ؟ فثبت ان هذه العلامة التي قررها ذلك الفاضل ليست من العلامات الظاهرة والفروق الواضحة .

واما علماء الاسلام فبعد ما رأوا ان في القرآن الشريف تصريحات بأنه هو الحجة الالهية والآية السماوية ، ولا يمكن لاحد الا الله تعالى ان يأتي بسورة من مثله ولا يأتي الباطل بين يديه ولا من خلفه ، فاختلفوا في سبب هذا الامتناع وعلة هذا الاعجاز ، اذ من المعلوم ان مجرد



تصنيف كتاب او تلفيق عبارات ولو كان المصنف اميا لا يعد معجزة ولا يتخذ برهانا ، فذهب بعضهم ان نفس سياق الآيات القرآنية وسبكها معجزة لا يمكن لاحد ان يرتب كلمات بهذا السبك المخصوص او يسبك المعاني في قوالب الالفاظ بهذا الترتيب المعين ، وقال بعضهم ان اشتمال القرآن على الاخبار بالامور الآتية هو سبب اعجازه كاخباره عن غلبة الروم على الفرس في بضع سنين ، يعني قبل اكمال عشر سنوات من نزول الآية ، وكثير من امثاله مما لا يمكن ان تدركه العقول البشرية قبل وقوعه او تبلغ اليه افكار الناس قبل حصوله ، وبطلان هذين القولين وضعف الاحتجاج بهما لا يحتاج الى مزيد تكلف وما اعتبرهما اكثر العلماء شيئا في مقام الاحتجاج ، اذ من المعلوم ان نفس سوق الالفاظ والكلمات بهذا السياق ليست من الامور المستحيلة عادة مهما كان سبكها وترتيبها ، وكذلك القول في الثاني فان الآية حجة بنفسها قبل ان تتحقق الاخبار المندرجة فيها ، ولو كان الايمان موقوفا بتحقق ما اخبر به في الآيات لكان الناس معذورين في بقائهم على الكفر والانكار الى زمان تحقق الخبر ، وهذا امر ظاهر البطلان ولا تستقيم به الاديان .

نعم لا شك ان في القرآن المجيد وسائر الكتب المقدسة السماوية كثير من الاخبار عن الامور الآتية ، مما تهم الامم معرفته ويرتبط به نجاتهم وهلاكهم كمجيء الساعة التي عبرت عنها في كتب الله تعالى بأسماء عظيمة واوصاف شتى من قبيل يوم الله ويوم الرب ويوم القيامة ويوم الحسرة ويوم التلاق وامثالها مما فسرته الاحاديث النبوية بيوم ظهور المهدي وقيام روح الله ، حتى جاء في الكتاب الكريم ذكر جميع حوادث هذا اليوم الفخيم ومجيء النبأ العظيم بجزئياته وكلياته واشراطه وعلاماته ومطلعه وميقاته كما عرفه اهله وادركه حملته ، ولا شك ان

الاحاطة بعلم تلك الامور العظيمة المزمعة ان يلدها عالم الكون والاخبار عنها مؤرخا معينا مشروحا مفصلا من اعظم العجائب واكبر العظـائم التي لا ينكرها الا الجاهل المكابر او المجادل المتعنت ، فيمكن والحالة هذه ان يعتبره العاقل من هذه الجهة معجزة كبيرة وآية عظيمة ، والى هذه النكتة اشار من خصه الله بافضل الرغائب واعظم المواهب امير المؤمنين علي بن ابي طالب في كثير من خطبه البليغة وكلماته النفيسة ، منهـا ما اورده ابن عبد ربه في العقد الفريد رواية عن الحارث الاعور الهمداني انـه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم مـا بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله، هو حبل الله المتين والذكر العظيم والصراط المستقيم خذها اليك يا أعور » . فثبت مما قلنا ان في القرآن الشريف من الاخبار عن الامور الآتية ما لا يمكن ان تدركه العقول البشرية قبل وقوعها ، الا ان موهبة فهم تلك الدقائق وادراك هذه الحقائق من بطون آيات الكتاب ليست من المواهب العامة والمطالب المكشوفة الظاهرة حتى تدركها كل نفس ويفهمها كل شخص ، فتتم الحجة على الكل وتكمل البينة على الجميع ويصير القرآن من هذه الجهة حجة بالغة ومعجزة دامغة ، كيف لا وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها اي معانيها الاصلية المقصودة لا تظهر الا في اليوم الاخير ، يعني يوم قيام روح الله ومجيء مظهر امر الله واشراق آفاق الارض مشارقها ومغاربها ببهاء وجه الله ، وقبل مجيء ذلـك اليوم الرهيب العظيم وقيام الرب القديم فالحقائق الاصلية المقصودة من البشارات مستورة مختومة بختم الله والابواب دون فهمها مسدودة



مردومة بقدرة الله ، ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة الى نزول البيان تافهة باردة عقيمة جامدة بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة، وقد اشار الرسول عليه السلام الى هذه الحقيقة في الحديث المشهور حيث قال : « سيأتي زمان على امتي لا يبقى عندهم من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه يدعون الايمان وهم ابعد الناس عنه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان اشر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة واليهم تعود » . وهذا الحديث الشريف صريح في اختلال التفاسير وبعدها عن الحقيقـة اذ لو كان التفاسير الموجودة عندنا على كثرتها على شيء من الحقيقة لما يتم قوله عليه السلام « ولا من القرآن الا رسمه » . ولقد اعجبتني في هذا المعنى خطبة من خطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب المندرجة في نهج البلاغة نأتي بها تذكرة لاصحاب الضمائر المطهرة والبصائر المنورة ، فانها على وجازتها بلغت في حسن البيان والانطباق على الحديث والقرآن ومـا عليه الامة الاسلامية في هذا الزمان مبلغا ليس وراءه بعـد كلام الله ورسوله مطلع لناظر ولا مرتقى لخاطر ، وهي هذه حيث قال في اثنـاء خطابته : « وانه سيأتي عليكم زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله ، وليس عنـد اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ، ولا انفق منه اذا حرّف عن مواضعه ، ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر ، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته ، فالكتـاب واهله يومئذ طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو ، فالكتاب واهله في ذلك الزمان في النـاس وليسا فيهم ومعهم ، لان الضلالة لا توافق الهدى وان اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب امامهم،

فلم يبق عندهم الا اسمه ولا يعرفون الا خطه وزبره ، ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية ، وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة ، وانما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة والنقمة » المراد بالموعود في الخطبة الشريفة هو من وعد الله تعالى كل امة ان يظهره في آخر اجلها وانقضاء امدها ، كالمهدي في الامة الاسلامية والمسيح في الامة الموسوية وقيام الروح لجميع الامم حيث تنتهي الآجال وتنقضي الايام في يوم ينزل الرب في ظلل من الغمام ، لا كما فسره بعض الشراح بالموت ، فان موت الاشخاص ليس سبب هلاك الامم ولا يختص بأمة دون أمة ولا بنفس دون نفس ، ولا يغلق باب التوبة على أمة بأسرها بهلاك افرادها بالموت العادي ، بل يغلق باب التوبة على امة بأسرها حين ظهور الموعود وانقضاء الاجل المحدود ، كما اشير اليه في الحديث المشهور « لا يغلق باب التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

وخلاصة القول انه اذا تدبر وتعمق الانسان النبيه فيما اخبر به كل رسول في كتابه عن مجاري حالات امته وكيفية ادوارها وصعودها وهبوطها الى انقضائها وسقوطها ، يعرف بُعد التفاسير الموجودة عندها عن حقيقة مقاصد كتابها ، كما صرحت به الاحاديث والاثار النبوية في حالات الامة الاسلامية وكررته وشرحته الخطبة العلوية ، فلا يبقى شك عند من لا يريد ان يغرر بنفسه ، ان تلك التفاسير على ضخامتها وتطويلاتها وشقوقها وتفننها في اساليب البيان ، بعيدة عن المقاصد الاصلية زائغة عن الحقائق المودعة في الكتب الآلهية مبعدة الامم عن الموهبة الاخيرة الكبرى والمنحة الجليلة الخطيرة العظمى التي صرح ونادى بها الانبياء في البشارات النبوية وتضمنتها وحفظتها جميع



الصحف القديمة السماوية ، ويكفي في اثبات شدة غموض تلك المعاني اي الاخبار الواردة عن الامور الآتية ، انه مع اشتمال الكتب على جميع جزئياتها وكلياتها وميعادها وميقاتها انكرتها الامم وجهلها اهل العالم الا من خصهم الله بنور اليقظة وايقظهم بروح النباهة ، وهم قليلون معدودون بل كما قال الامام هم متروكون مطرودون ، واما الاكثرون فجهلوا معانيها حتى ظنوا ان القيامة غير يوم قيام روح الله والساعة غير ساعة مجيء مظهر امر الله ، فخلقت اوهامهم وظنونهم في معنى هذا اليوم العظيم امورا مستحيلة مجهولة وحوادث عجيبة غير معقولة ، فكتبوا في تفاسيرهم في معاني الصراط والميزان والحساب والكتاب والحشر والنشر وامثالها ما يتحير منه العالم اللبيب ويدهش منه النبيه الاريب ، وناهيك في بعدهم وغفلتهم عن حقائق الكتاب ان ابن خلدون المغربي شك في صحة اخبار ظهور المهدي الموعود وظن ان خبر ظهوره متروك في القرآن وما نزلت به آية من آي الفرقان ، وكفى ذلك جهلا منه بمعنى القيامة وحقيقة الرجعة والمقصود من الساعة[1] والمفهوم من الطامة والمستفاد من الراجفة وما يتبعها من الرادفة ، فان كل تلك المفاهيم العظيمة حقائق فسرتها الاحاديث النبوية بظهور المهدي ثم قيام روح الله وتجديد العالم وانقضاء آجال الامم واشراق الارض بنور الرب الكريم وخشوع الاصوات لدى ارتفاع ندائه العظيم ، ومن مضحكات العجائب بل من مبكيات الغرائب ان جماعة ممن ظهروا بعد ابن خلدون وهم من المعتقدين بحجية الاجماع أتبعوه في هذه المسألة التي كادت ان لا توجد مسألة اجماعية مثلها في الامة الاسلامية ، فانك لو تصفحت جميع الكتب المصنفة قبل وجود ابن خلدون لترى العلماء

(١) اي الساعة الصغرى .

الماضين رحمة الله عليهم اجمعين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم مجمعين متفقين في صحة ظهور المهدي ، وانه من الامور المحتومة والقضايا المبرمة حتى سموه بالقيامة الاولى والساعة الصغرى ؛ ولا ترى في مدة سبعة قرون وأزيد من لدن وفاة النبي عليه السلام الى ولادة ابن خلدون احدا من العلماء تجرأ على انكار ظهوره وانبرى على تضعيف جميع اخباره ، فخالفوا الجمهور وخرقوا هذا الاجماع المشهور وافسدوا أكبر رجاء اهل الصلاح وقطعوا على الامة حبل الفلاح وسدوا على وجوههم ابواب النجاح ، ولذلك ترى اكثر فقهاء اهل السنة والجماعة في حالة عجيبة من اليأس عن عواقب الامة وامكان صعودها الى مدارج العزة والرفعة واثقين بالتقهقر والهبوط والانحلال والسقوط ؛ والى هذا اشير في الحديث « ان المهدي لا يخرج الا حين الأياس والقنوط » . وأعجب من هذا وذاك انهم بعدما شكّوا في ظهور المهدي وضعفوا جميع اخبار ظهوره ايقنوا بنزول عيسى عليه السلام وصححوا احاديث نزوله ، فلو تسألهم عن مصادر هذه الاخبار[1] في المصحف المجيد حيث صرح ان فيه تبيان كل شيء ، وفيه تفصيل كل شيء ، لتراهم عاجزين عن الجواب مبهوتين في الخطاب جاهلين حقائق ما وعدوا به في الكتاب ، لا يعرفون من آيات القرآن الا رسومها ولا يذوقون من

(١) ان العلماء في زماننا اذا سألهم سائل عن خبر مجيء عيسى عليه السلام في القرآن يستدلون بقوله تعالى ( وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ) مع ان هذه الآية لا تخبر بمجيء عيسى بل تخبر بايمان اهل الكتاب به قبل موته وانما المطلوب خبر مجيئه . على انه يجوز ويحتمل ان يكون مرجع ضمير (موته) لفظ أهل الكتاب أي وما من أهل الكتاب الا ويؤمن بعيسى عليه السلام لوضوح حجته وظهور حقية دينه اذ ليس هناك دليل على ان مرجع ضمير موته هو عيسى عليه السلام .



اثمار الفردوس الا قشورها ، فصح فيهم قول الامام وتم عليهم نبأ الرسول عليه السلام .

فاذا عرف المقصود مما جمح به القلم وجرى بنا في موضوع وعر خشن صعب قبوله على الامم ، ثبت ما ذكرناه ان موهبة فهم الحقائق المودعة في الكتاب من الاخبار الآتية ليست من المواهب العامة حتى يدركها الكل وتتم الحجة على الجميع ، بل هي من المواهب الخاصة التي خص الله بها اصفياءه وألهم أولياءه واحباءه ، فلا يصح والحالة هذه ان يسمى القرآن من هذه الجهة حجة بالغة ومعجزة كافية ، وكثير من العلماء خصوصا في القرون الوسطى ذهبوا الى ان سبب اعجاز القرآن هو فصاحة آياته وبلاغة عباراته ، حيث عجزت الامم عن مجاراته وقصرت قوة اهل العالم عن مباراته ، وسبب حدوث هذا الرأي ان علماء القرن الثاني والثالث والرابع الاسلامي راجت وانتشرت بينهم علوم اللغة العربية ونبغوا وتقدموا في الفنون الادبية ونالوا الرتب العليا والحظوة الكبرى في الخلافة العباسية والفاطمية والاموية ، فأورقت وازهرت بينهم فنون الكتابة والخطابة وبسقت واثمرت غصون الفصاحة والبلاغة ، وجلهم ان لم نقل كلهم كانوا منهمكين في شهواتهم منغمسين في غمرات لذاتهم كما يشهد به صريح مصنفاتهم وينطبق به تواريخ ادوار حياتهم ، وهذه لا شك مما يعمي بصيرة الفؤاد ويبعد المرء عن سبيل السداد ويضله عن طريق الهداية والرشاد ، فلما وجدوا بلاغة آيات القرآن في الدرجة العليا وحسن نظمها ولطف ترتيب الفاظها في الحد الاسمى ، ووجدوا نفوسهم عاجزة عن مباراتها واقلامهم قاصرة عن مجاراتها ، اعتقدوا بأن صفة الفصاحة والبلاغة هي سبب اعجازها وموجب امتيازها ، فانتشرت هذه العقيدة بين الامة واقبل اليها اكثر افاضل الملة وروجها العلماء في جهاتهم ودونوها في مصنفاتهم ، حيث

كانت هذه هي رأي الكتاب والوزراء وعقيدة اكابر دار الانشاء الذين كانت بيدهم السلطة العليا في الخلافة العظمى ، وقد قيل ( الناس على دين ملوكهم ) اذ كان الاكثرون يتبعونهم في آرائهم وسلوكهم، وخلاصة تقرير الدليل على رأيهم هي ان الرسول عليه السلام تحدى بالقرآن وصرح في مواضع منه ان العرب اذا لم يذعنوا بأن القرآن من الله تعالى فليأتوا بسورة من مثله ، واخبر وصرح بأنه لا يمكنهم ان يأتوا بمثله ولو اتفق جميع من على الارض وساعد واعان بعضهم البعض ، وكذلك اخبر وصرح بأن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، يعني لا يتمكن الدعاة الكذبة والذين يدعون النبوة والرسالة بدون اذن من الله ان يلفقوا كتابا مثل القرآن وينسبونه الى الله فيروج في العالم ويثبت وينتشر بين الامم •

ومن المعلوم ان امراء العرب ورؤساء هذه الامة المعروفة بالصلابة والخشونة وشعراؤهم وخطباؤهم على ما اظهروه في مقاومة النبي عليه السلام حتى بذلوا كل مرتخص وغال واقتحموا الشدائد والاهوال في محو امره وتوقيف دينه وقهر اتباعه ومحاربة اشياعه ، عجزوا عن اتيان مثل القرآن وافحموا بهذا البرهان ، اذ لولا عجزهم لجاؤا بمثله وما احتاجوا الى تقحم الاهوال وبذل الدماء والاموال في مقاومة دينه ، فنتج مما تقدم ان الامة العربية عجزت عن اتيان مثل القرآن وافحمت في مقاومة هذا البرهان ، فاذا ثبت عجز فصحاء العرب وخطبائهم على ما هم معروفون به من فصاحة اللسان وبلاغة البيان ، يثبت عجز سائر الامم بالضرورة والبداهة اذ لا يعقل من الاعجمي الذي لا يعرف من اللغة العربية شيئا ان يأتي بكتاب عربي عجزت عن مثله فصحاء القبيلة القرشية وفحول رجال الامة العربية ، فثبت مما تقدم عجز اهل العالم



وافحام الامم من العرب والعجم وهذا هو معنى المعجزة الظاهرة والآية السماوية الباهرة •

هذه هي خلاصة احتجاجهم وغاية استدلالهم في اثبات اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وقد استهوتهم طلاوتها الظاهرة وغفلوا عما ينجم منه في الآخرة ، فملأوا منها الدفاتر والصحف وافردوا لها الرسائل والكتب ، وناهيك كتاب الباقلاني في اعجاز القرآن فانه أطنب وأسهب وبزعمه أطرب وأعجب حيث وشحه بنفائس مقالات آل أبي سفيان واردفه بجلائل خطب بني مروان ، كأن خطب زياد وحجاج تزيد في قوة الدليل واتقان الاحتجاج ، ولكن من امعن في الفحص وتعمق في البحث واوتي البصيرة فيالنظريات وسلامة الذوق فيالعقليات، يرى ضعف حجتهم ووهن استدلالهم هذا من وجوه شتى ، نذكر هنا طرفا منها لعل الله تعالى يحفظ بفضله اهل زماننا من عثرات الاولين وينهضهم من كبوة المتقدمين ويشيلهم من صرعة السابقين :

**الوجه الاول** انه لو كان سبب اعجاز القرآن فصاحته وبلاغته ، لما يصدق عليه انه هو الحجة البالغة ولما يوجد فرق بينه وبين سائر المعجزات ، لان الفصاحة والبلاغة وصفان لا يدركهما الا علماء هذا الفن ، ومن المعلوم انهم قليلون جدا بالنسبة الى غير العالم بهما ، فالامم العظيمة مثل عامة العرب والفرس والترك والهنود والصينيين واهل اروبا وامريكا وافريقيا ممن لا يعرفون من اللغة العربية شيئا لا سبيل لهم الى معرفة اعجاز القرآن ، ولا يمكنهم ان يذعنوا لحجيته الا بقبول قول تلك النفوس المعدودة القليلة من علماء هذا الفن ، وهذا هو عين التقليد وقبول قول الغير من غير دليل كما قبلت كل امة قول افراد قليلين في صدور خوارق العادات عن الانبياء والمرسلين بل وعن المشايخ

والمرتاضين ، فما بقي اذاً فرق بينه وبين سائر المعجزات وخوارق العادات مما ترويه الامم عن اكابرها ومشائخها وينتهي بلا شك الى تناقض الحجج وتصادم البراهين وضيق المخرج كما لا يخفى على المتبصرين والمنصفين ، هذا اذا ثبت اتفاق علماء البيان في مسألة عجزهم عن اتيان مثل القرآن وانه فوق طاقة البشر في حسن النظم والاتقان ، واما اذا لم يثبت هذا الاتفاق فلا يبلغ القرآن اذاً حد سائر المعجزات فضلا عن كونه حجة بالغة ومعجزة دامغة ، ومعلوم عند أرباب العلم والاطلاع ان فصحاء الامة العربية من لدن ظهور النبي عليه السلام الى زماننا هذا ما اتفقت على هذه المسألة في قرن من القرون ، وما انقضى قرن الا وكان فيه من العلماء من لا يعترف بأن القرآن بلغ حد الاعجاز في فصاحة الكلام وبلاغة البيان ، كما سنذكر لمعا من عباراتهم ونشير الى نبذ من انتقاداتهم ، وهل يشك عاقل ان كبار اهل التصنيف والتأليف مثل بطرس البستاني صاحب محيط المحيط والعلامة الشهير الشيخ ناصيف اليازجي صاحب مجمع البحرين ونجله المحقق الشيخ ابراهيم وغيرهم من كبار الفصحاء وأئمة اللغة ممن يضيق نطاق الرسالة عن ذكر اسمائهم ومصنفاتهم من الامة النصرانية لا يرون من القرآن الشريف ما تراه الامة الاسلامية ولا يعترفون بأنه بلغ حدّ الاعجاز في الفصاحة والبلاغة كما اعترف به اهل الملة المحمدية ، والسبب العقلي لاختلاف الفصحاء في هذه المسألة هو ان صفة الحسن في المحسنات المحسوسة كحسن البيان وحسن الصوت وحسن الخط وحسن الخَلق وأمثالها انما هي من الامور الاعتبارية التي ليس لها حدود معينة ومراتب محدودة وكمية معلومة ، حتى يحكم العقل بتاتا بأن الدرجة الفلانية انما هي الحد الفاصل ومنتهى ما تبلغ اليه الطاقة البشرية ، وينتج من هذه المقدمة ان العالم بفن الفصاحة لا يمكنه ان يعين هذه الدرجة ويحكم بها فكيف



الجاهل بها ، ولذلك ترى ان فصحاء العرب وزعماء قريش مثل نضر ابن الحارث وعتبة بن ربيعة وابي سفيان بن حرب وشيبة بن ربيعة وكعب بن الاشرف كانوا يستخفون بالقرآن الكريم ويستسهلون الاتيان بمثله وينادون ويقولون على رؤوس الاشهاد « **لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين** »(١) ، ولكن الامين من المسلمين مثل سلمان الفارسي وبلال الحبشي ومقداد وابي ذر ممن لا يشار اليهم بالبنان ولا يعدون من فرسان مضمار البيان اعترفوا وأذعنوا بأن القرآن هو كلام الله النازل من السماء والحجة الكافية لجميع من في عوالم الانشاء ، وذلك لان ادراك حلاوة الذكر ولذة الخطاب متسبب عن نقاء القلب وصفاء الفؤاد لا عن معرفة فنون البلاغة وحسن الانشاد .

**والوجه الثاني** انه لو كان سبب حجية القرآن فصاحته وبلاغته ليلتزم التصديق به معرفة هذا الفن ويجب على من أراد الايمان به ان يتعلم العلوم العربية من اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وامثالها ، لان التصديق بشيء قبل معرفته هو عبارة عن التصديق بالشيء المجهول ، وهذا لغو بالضرورة وايجاب التعلم بالعلوم المذكورة على طالب الهداية ينتهي الى الحرج وصعوبة المخرج بالبداهة وهذا باطل باتفاق ارباب العقول ، ولتوضيح المسألة نأتي بمثال واضح فنقول مثلا اذا دعا حضرة الفاضل احدا من الامة النصرانية او الهنود البرهمية الى الشريعة الاسلامية والديانة النبوية كما هو مأمور به في قوله تعالى « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** »(٢) ، وقوله جل وعلا « **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير** »(٣) ، فهو بالبداهة يطلب من

(١) القرآن الكريم سورة الانفال الآية ٣١
(٢) القرآن الكريم سورة النحل الآية ١٢٥
(٣) القرآن الكريم سورة آل عمران الآية ١٠٤

حضرة الفاضل برهانا على صحة مبدأ الاسلام وصدق النبي عليه السلام، فاذا استدل الفاضل بالمعجزات المأثورة في الاخبار هو يردها بصريح آيات القرآن كما شوهد في كثير من الاحيان ، ولا يفيد هناك انتقاض قوله بما ورد في الانجيل المقدس ايضا من رد المعجزات وعدم اجابة سيدنا عيسى عليه السلام شعب اليهود حين اقترحوا الآيات ، لان تقليد الآباء في الاديان الوراثية لا يستلزم التقليد الاعمى من غير دليل في الديانة الاجتهادية ، فأخيرا تنتهي بالبداهة هذه المناظرة الى الاستدلال بالقرآن العظيم والكتاب الكريم ، حينئذ يرد على حضرة الفاضل بأن تصنيف كتاب ولو كان المصنف اميا لا يستلزم ان يكون نبيا ، فما هي العلامة المخصوصة بالقرآن لنتيقن بها انه نزل من لدن ربنا الرحمن ، فيجيبه حضرة الفاضل بأن القرآن العظيم بلغ في مراتب الفصاحة والبلاغة الى درجة لا يمكن لجميع افراد البشر ولو اجتمعوا وتظاهروا واتفقوا وتعاونوا ان يأتوا بسورة من مثله ولو من السور الصغرى ، كما لا يمكنهم احياء الموتى وقلب العصا بحية تسعى والصعود الى السماء وغيرها من الآيات الكبرى ، فلو أجاب الرجل حضرة الفاضل بأنك احسنت التبيان واتقنت البرهان فامهلني برهة من الزمان لأتعلم علم المعاني والبيان لاكون على بصيرة في امر الدين ولا أكون من الجاهلين ، حينئذ بالضرورة تسقط حجة حضرة الفاضل ولا تفيده المجادلة بالباطل ، وهو محق في خطابه مصيب في جوابه ، وهب انه في مدة عشر سنوات او اكثر تعلم اللغة العربية وتقدم وبرع في الفنون الادبية حتى صار فصيحا بليغا وخطيبا منطيقا فمن يضمن لنا بعد طول هذه المدة انه يعترف مثل علماء الاسلام بان القرآن بلغ حدّ الاعجاز في الفصاحة والبلاغة ولا يعتقد مثل اكابر قريش في صدر الاسلام وعلماء النصارى في هذه الايام بأنه من أساطير الاولين وليس له مزية على تصانيف كبار



الكتاب والمصنفين ؟

**الوجه الثالث** انه ليس في القرآن الشريف ذكر ولا ادنى اشارة الى انه حجة ومعجزة من حيث الفصاحة والبلاغة ، والحال انه تعالى وسع في هذا الكتاب المبين مجال الادلة ونطاق البراهين على حقية رسالة النبي عليه السلام وصدق القرآن بجميع انواعها واقسامها مما يعرفه العلماء وحوته صدور الاصفياء الذين طابت سرائرهم واطمأنت ضمائرهم ، ويجهله الاغبياء ويستنكره الجهلاء الذين اكتفوا من الاسلام باسمه ومن القرآن برسمه ، وقد نزل في وصف القرآن الشريف كما ذكرناه سابقا ان فيه تبيان كل شيء وقال تعالى شأنه « **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** »(١) ، وقال جل وعلا في سورة يوسف « **ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** »(٢) ، وهذه الآيات صريحة في ان الله تعالى ما ترك شيئا يتعلق بالديانة الالهية والشريعة النبوية اصولا وفروعا وحجة وبرهانا ومصدرا ومآلا الا وفصله وبينه واظهره واعلنه في هذا السفر المجيد والكتاب العزيز الحميد ، حتى قيل في وصفه انه لا تزيغ به الاهواء ولا يشبع منه العلماء ، ومن تركه قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ، ولا يصح هذا الوعد والوعيد والتشويق والتهديد الا بعد اتمام النعمة واكمال الحجة وتوضيح البينة وايضاح المحجة ، فهل يعقل بعد ذلك كله ان الله الذي فصل كل شيء في كتابه أجمل في كيفية الاستدلال به وترك بيان سبب اعجازه واوهم وابهم في ذكر علة حجيته حتى يحتاج الى ان يفصله العلماء ويكمله الادباء

---

(١) سورة الانعام الآية ٣٨ .
(٢) سورة يوسف الآية ١١١ .

ويستشهدوا له بخطب بني مروان ويزينوه بمناقب آل أبي سفيان ؟ فلله در من قال :

امور تضحك السفهاء منها    ويبكي من عواقبها اللبيب

هذه هي بعض وجوه ضعف الاحتجاج بالفصاحة ووهن الاستدلال بالبلاغة جئنا بها تذكرة لأولي الابصار وتوسعا لمجال الافكار في حقائق الآثار ، وليس المقصود مما ذكرناه أن القرآن الكريم والسفر القديم لم يبلغ الدرجة العليا في الفصاحة والبلاغة أو يمكن لأحد من دون الله أن يأتي بمثله في اللطافة والرشاقة حاشا ثم حاشا ، فان اهل البهاء والمتمسكين بالكلمة المباركة العليا يعتقدون ان مظاهر امر الله جميع اوصافهم ونعوتهم ومناقبهم وشؤونهم معجزة للخلق مفحمة للخصم مقدسة عن الاشباه والامثال منزهة عن النظائر والاعدال ، لا يشابههم أحد في وصف من الاوصاف ولا تضاهيهم نفس في عمل من الاعمال ، فيتفرع مما ذكرناه ان الرسول عليه السلام كما فاق الناس بأجمعهم في جوده وسخائه وجماله وبهائه وصبره وشجاعته وعلمه وحكمته وحلمه ورأفته ، فاقهم ايضا في فصاحة لسانه وبلاغة بيانه ، ولذا نزل في غير موضع من البيان بأنه لا يمكن لجميع البشر ولو تمسكوا بكل الاسباب ان يأتوا بمثل آية واحدة من آيات الكتاب ، الا ان الفصاحة والبلاغة ليست من الامور الظاهرة الواضحة التي يدركها بالسهولة كل انسان ويعرفها كل نفس لتكون الحجة بالغة وذريعة الاعتذار مقطوعة ويكون العدل شاملا لجميع افراد الناس والدليل ظاهرا والسبيل واضحا لكافة أصناف البشر ، بل هي من الاوصاف الدقيقة الغامضة ومقولة بالتشكيك على اصطلاح المنطقيين لها مراتب غير محصورة ودقائق غير مكشوفة ، حتى على فرسان مضمار الخطابة واعلام اصحاب



الكتابة ، ولذلك قلنا ان علماء الفن وجهابذة البيان عجزوا عن تحديد حد معلوم يفرق به من حيث البلاغة والفصاحة بين كلام الخلق وكلام الرحمن وفيه كفاية لأهل العرفان .

وأما أهل البهاء وأصحاب السفينة الحمراء الذين نبذوا أعباء التقليد وتسنموا أعلام التحقيق ، يعتقدون ان كلام الله تعالى يمتاز من غيره بالنفوذ والغلبة في هداية الخلق وانشاء امة مستقلة وابقاء شريعة جديدة ، ويعبرون عن هذه العلامة في مصطلحاتهم بالخلاقية والقاهرية ويعتبرونها علامة كافية في معرفة الكلمات الالهية والآيات السماوية ، وخلاصة تقرير الدليل ان الكلام الذي يتحدى الداعي به وينسبه الى الله اذا ظهر منه التأثير التام في هداية النفوس المستعدة الطالبة وقهر الامم المنكرة المانعة ، فأوجد امة مستقلة نامية وشريعة جديدة باقية ، فلا يبقى ثمة شك انه هو كلام الله النازل من السماء والقدرة الظاهرة منه هي القدرة التي منذ القديم ظهرت من المرسلين والانبياء ، والى هذه النكتة اشير المصحف المجيد حيث قال الله تعالى « **يريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** »(١) وقال ايضا جلّ وعلا « **الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد** »(٢) ، وهذه العلامة لا توجد الا في كتب الله تعالى ويتمكن كل انسان ان يدركها ويفهمها منها ، سواء كان عالما او اميا ، عربيا او عجميا ، شرقيا او غربيا ، فمن الذي يشك ان بني اسرائيل ما خرجوا عن ظلمات الجهل الى نور الايمان وعن ذلة العبودية الى عز الاستقلال الا بسبب التوراة ؟ ومن

(١) سورة الانفال الآية ٧ .
(٢) سورة الشورى الآية ١٦ .

الذي يجهل ان الامم الاروبية ما بلغوا الى رتبة التوحيد بعد الشرك وما وصلوا الى عبادة الله تعالى بعد عبادة الاوثان الا بواسطة الانجيل؟ ومن الذي لا يعرف ان الامم الكبرى من حدود الشرق الاقصى الى أقاصي افريقيا ما خرجوا عن ربقة الوثنية وعبادة النار الى التوحيد وعبادة الله الا بهداية القرآن العظيم ؟ وما تحرروا عن اغلال العقائد الفاسدة والاعمال القبيحة وما وصلوا الى الاخلاق الفاضلة والعقائد الصحيحة الا بنور هذا السفر الكريم ؟

نعم قد ينتقد من لا يعرف الحقائق ان الديانة الاسلامية نفذت وغلبت بسيوف امراء العرب لا بالكلمة الالهية والغلبة الروحانية ، كما ينتقد اليهود وغيرهم من البوذية والهنود على النصارى بعين ما ينتقد النصارى على الديانة الاسلامية ، ويقولون ان ديانة النصارى انتشرت بساعدة قياصرة الروم وجبابرة اروبا واقيمت بالسيف والنار واجريت في سبيل انفاذها من الدماء أنهار ، كما تشهد وتنادي به تواريخ الكنيسة في جميع الاقطار ، وهذا الانتقاد كما يعرفه اهل الحق وهم باطل لا يعبأ به أهل النباهة ولا يتمسك بحبله الموهون الا ارباب السفاهة ، لأن الدين الاسلامي انتشر ونفذ بين العرب قبل الهجرة كما ان الديانة المسيحية انتشرت ونفذت قبل تنصر قسطنطين الكبير ، ولعمر الله ان السيوف التي سلّت في اعلاء منار الحق ونشر كلمة الايمان لولا الانجيل ولولا القرآن لسلّت في نصرة الشرك وعبادة الاوثان ، فهذه السيوف المسلولة والجيوش الجرارة والدول القوية ايضا وجدت وتمهدت وتشكلت بتأثير كلمة الله وارادته واذنه ومشيئته ، ولولاها لما وجدت هيئة اجتماعية تحت اسم النصرانية او الاسلامية ولما حصلت تلك القوة التي ليست وراءها قوة في العوالم البشرية ، ولقد قدر الله تعالى في



سابق علمه وبالغ حكمته ان يرسل الرسل ويبعث الانبياء من الاميين البسطاء المحتاجين الفقراء ، مطرودين مضطهدين من الملوك والسلاطين والمترفين والمستكبرين حتى ومن عشيرتهم الاقربين ، منزهين عن كل ما يمكن ان يسود الانسان بسببه من العلوم الكسبية او الغنى والثروة المالية او المنعة والعزة المكتسبة من العصبية القومية ، ليعلم كل منصف حتى الفلاسفة متتبعي الاسباب والعلل ان تلك القوة والقدرة الظاهرة من نفوذ كلامهم وغلبة دينهم واعلاء كلمتهم وبقاء شريعتهم ليست مسببة من تلك الاسباب المذكورة التي كانت متوفرة عند اعدائهم ومقاوميهم، بل مسببة عن الارادة الالهية ومستمدة من القوة الغيبية السماوية، والى هذا المعني اشير في قوله تعالى **« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها »**(١) ولقد فسر في الايقان المقدس لفظ السموات بالديانات ، فعلم منه ان الله تعالى رفع سموات الاديان بارادته الصرفة ومشيئته الخالصة لا بعماد من المال والثروة او الملك والسلطة او العزة والمنعة او العلم والفلسفة مما يراه ويعتبره الناس عمادا في تأسيس المقامات الرفيعة الدنيوية والرتب السامية الملكية ، فاستعير لفظ السماء للديانة لسموها ورفعتها وعلوها ومنعتها ، ولفظ العماد للاسباب المذكورة لأن بناء كل مقام رفيع شاهق من المقامات الرفيعة الملكية البشرية من السلطنة والامارة والرياسة والعزة وامثالها انما يبنى ويستقر عليها ويسند ويتوكأ عليها ، فهي استعارة في غاية البراعة والرشاقة وتعبير في نهاية الحسن والبلاغة ، ولا يمكن ان يفسر لفظ السماء في الآية الكريمة بالسماء الظاهرة فان من له المام بالفلكيات يعرف انه لا يمكن ان يكون للسماء الظاهرة عماد ، اذ لا يعقل ولا يتصور مرتكز لهذا العماد سواء نعتمد في الفلكيات على الهيئة القديمة البطليموسية او الهيئة الجديدة الاروبية .

(١) سورة الرعد الآية ٢ .

وخلاصة القول ان اهل البهاء يعتقدون ان هذه العلامة أي هداية النفوس وايجاد الديانة الجديدة .... وتبديل العوائد العتيقة هي العلامة الظاهرة المميزة بين الكلمات الالهية والمصنفات البشرية،ويعبرون عنها كما ذكرناه بالخلاقية والقاهرية ، حتى ان اول نفس اذعنت بحقية رسالة رسول وصدق شريعته لو لم تعرف في نفسها هذه الهداية ولم تشعر في ذاتها بهذه المغلوبية لما كانت اول من صدقه ولباه واتبعه وآساه، فان محبة الدين القديم الموروث راسخة في جميع النفوس والخوف من تبديل اركانه وآدابه متمكن في اعماق القلوب ، فالهداية اظهر علامة في صدق النبوة والرسالة اذ هي صفة الفعل ومرتبطة بالدعوى كالابراء للطب ومعرفة السطوح للهندسة والبيع والشراء للتجارة وصنع الاسرة والابواب وغيرها للنجارة ، اما سمّي الانبياء بالنبوة والرسل بالرسالة والشارعون بالشارعية بهذا الوصف العظيم والاسم الكريم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ، واذا تصفحت القرآن المجيد تجد ان الله تعالى استدل بها في مواضع متعددة ووصف القرآن بأنه حجة بما اودع فيه من الهداية والرحمة ، ولا ترى موضعا واحدا وصفه بأنه افصح الكتب وابلغ الصحف فانظر في سورة القصص حيث قال جلّ وعلا **« فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى أولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين »** (١) لترى ان الله تعالى افحمهم بقوله **« فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما »** ، وما قال فأتوا بكتاب من عند الله هو أفصح منهما أو أبلغ منهما ، وكذلك في سورة العنكبوت لما انتقدوا

(١) سورة القصص الآية ٤٨-٤٩ .



على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدم صدور معجزة منه فقال الله تعالى **« وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »**(١) ، فبين الله تعالى مزية القرآن على سائر المعجزات وكفايته عن غيره بأن فيه الذكرى والرحمة وما قال ان فيه الفصاحة والبلاغة ، وقال الله تعالى في اول سورة البقرة **« الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »** وما قال ان فيه فصاحة وبلاغة يعجز عن مثلها جميع العالمين ، الى كثير من امثالها مما هو غير خاف على من اوتي علم الكتاب وعرف معنى الحجة وفصل الخطاب ، ولو كانت الفصاحة او البلاغة هي العلامة الواضحة والآية المميزة الظاهرة فهلاّ اشعر بها الله تعالى ولو في آية ؟ ولولا نبه عليها وصرح بها ولو في موضع من كتاب ما غادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وما ترك من حجة وبينة الا ذكرها وجلاها ؟ فهل اخل بها وتركها للباقلاني ليكملها ويصيب مرماها ؟ وما وقع القوم في هذا الغلط وجاؤا بهذا السقط وما عثروا هذه العثرة الفاضحة وهفوا هذه الهفوة الواضحة ، الا بسبب انهم هجروا ظلال غصون الشجرة المباركة النبوية وتركوا اثمارها اللطيفة الجنية وتمسكوا بفروع الشجرة الموصوفة في القرآن فما جنوا الا ثمار الخسران وما اوتوا منها الا باشواك الهذيان، فتمادوا في غيهم واصروا على باطلهم وتاهوا في ضلالتهم وترددوا في جهالتهم وعموا في سكرتهم وانهمكوا في غوايتهم وقست القلوب وطال الامد حتى ظهر في عالم الوجود من نتائج الغفلة والجهالة والنشوز عن الحق ما كان الائمة الهداة ينذرون الامة منه ويخوفونهم به ويحذرونهم عنه ، وتتج

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٠ ـ ٥١ .

منها ما يرى سوء عاقبته كل نبيه بصير ولا يراه وان لاحت لوائحه العمه الضرير من خذلان الامة واحاطة الغمة وظهور الزلازل والدواهي المخيفة وتتابع الفتن المظلمة العنيفة وتفرق القلوب وتخاذل الاولياء وتألب الخصوم وتكالب الاعداء بما ولدتها الاحقاد القديمة واورت زنادها الاحن الكامنة في صدور الامم العتيقة واثارت نقعفتنها القلوب المريضة، والقوم هم غافلون وعن عواقبهم ذاهلون وعن سفينة النجاة التي وعدوا بها معرضون ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا فقد طلع الصبح الذي كانوا به يوعدون .

ولا يخفى على اهل الفضل أن أكابر قريش في مبدء الامر لما نزلت الآية الكريمة **فأتوا بسورة من مثله** وامثالها ظنوا وتوهموا أن الرسول عليه السلام استدل بفصاحة القرآن وبلاغته ، فأرادوا ان يقاوموه بفصيح كلماتهم ويقطعوا حجته ببليغ خطاباتهم فسموه معاذ الله شاعرا مجنونا وظنوا كلام الله تعالى هزلا ومجونا ، فقالوا ساخرين ونادوا مستهزئين «**لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين**»(١) فلما نبههم الرسول عليه السلام بوجه الدلالة وأبان عن سبب الحجية وافحمهم بما أودع الله تعالى في القرآن من الهداية والرحمة وقوة انفاذ الكلمة وتأسيس الامة انقطعت أنفاسهم واطفئت نبراسهم ، فأزمعوا على مقاومة الرسول بالقوة والسطوة فبدلوا القول بالسيف والحجة بالحرب وقاموا على المحاربة وشمروا للمكافحة ، فتحارب الفريقان وتصافت الفئتان حتى وهنت القوة الباطلة وانكسرت شوكة الفئة الظالمة وطفئت جمرة الوثنية وانفصمت عروة الجاهلية ، فانقطع الحجاج واللجاج في فصاحة القرآن وبلاغته الى ان جدد علماؤنا الاحتجاج بها في مصنفاتهم وشرحوها في افاداتهم وتذرعوا بها في مناظراتهم ، خصوصا

(١) القرآن الكريم سورة الانفال الآية ٣١ .



في القرون الاخيرة التي زادت فيها اختلاط الملل وتألفت فيها القبائل والامم وكثرت الروابط بين عموم الناس وسهلت وسائل الاخذ والعطاء بين كافة البشر ، وبالطبع كثرت بينهم المباحثات الدينية وانتشرت المناقشات العلمية وتفاقم الامر في المناظرات المذهبية ، فانبرى علماء النصارى لدحض حجج المسلمين وتوهين أدلتهم في اثبات حقية الاسلام بفصاحة القرآن وبلاغته واعجاز عبارته وبراعته ، وكتبوا فيها مقالات وفصولا وخلبوا بزعمهم ألبابا وعقولا ، ومما لا شك فيه أنه بسبب ما بيناه وذكرناه من خفاء معنى البلاغة والفصاحة على عامة الامم وصعوبة ادراكها ودقة مدركها على اكثر الملل لا بد من ان تؤثر شبهاتهم في كثير من النفوس الساذجة وتوجد تشكيكاتهم شكوكا في القلوب البسيطة ، ولو مشى علماؤنا في اثبات اعجاز القرآن مشي السابقين الاولين وسلكوا مسلك الائمة الهداة الراشدين ، لنبهوا الامة وسدوا هذه الثلمة ولأناروا الابصار واطمأنت بهم الضمائر ، ولكن الله تعالى بسابق علمه ومحتوم قضائه ودقيق حكمته وخفي تمحيصه ابى الا ان يتم فيهم ما انذرهم به الرسول عليه السلام ويذيقهم بعض ما كسبت ايديهم في سابق الايام ، فقد رووا في صحيح احاديثهم عن أبي داود والترمذي عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « اذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنها الى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من امتي المشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الاوثان ، وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي الله » الى آخر الحديث ونقلوا عن دلائل النبوة رواية عن أبي داود والبيهقي عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الاكلة في قصعتها ، فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل انتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء

كغثاء السيل ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت » ،الى كثير من امثال هذه الاحاديث الصحيحة التي أخبر فيها الرسول عليه السلام عمّا يأول اليه حال اهل الاسلام وصدّقه تتابع الليالي والايام واظهره كرور الدهور والاعوام ، فطوبى لنفس عرفت آخرتها واولاها وألهمت فجورها وتقواها ، طوبى لقلوب اهتزت من نفحات يوم الله ، طوبى لعيون تنورت من مشاهدة آيات الله ، وشامت تألق برق الهدى من حمى معهد اللقاء ، وتشوفت الى رياض البقاء من مشهد الفداء . أولئك هم الراسخون الثابتون . أولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المفلحون .

ونحن نورد هنا بعض ما كتبه علماء النصارى في رد استدلال علمائنا بفصاحة القرآن ، ثم نردفه بملاحظاتنا عليه افادة للطلاب وتكميلا لما تستلزمه الحجة في هذا الباب ، ونسأل الله تعالى ان يؤيدنا بروح منه انه هو ولينا في والمبدأ والمآب .

ومن أعجب ما رأيناه في هذا الباب كتاب صنفه جرجيس صال الانكليزي وسماه ( مقالة في الاسلام ) وترجمه هاشم الشامي احد نصارى بر الشام وذيّله بتذييل مفصل باللغة العربية وطبعته الجمعية الدينية الامريكية في عام ١٨٩١ من الاعوام الميلادية ونشرته في القاهرة المعزية حاضرة البلاد المصرية ، ونحن نورد في هذه الوجيزة ايرادات كل من المصنف والمترجم والبادي والمذيل فيما يتعلق بفصاحة القرآن وعدم فصاحته حيث يوجد بينهما تناقض واضطراب وتباين واختلاب ، شأن كل من يرد على الله ويعترض عليه وليس له مبدأ يتمسك به ويسند اليه ، وها هي بنصوصها وحروفها :



قال الفاضل الانكليزي في صفحة ١٢١ : « وعبارة القرآن حسنة ومنسجمة في أكثر المواضع ولا سيما حيث يحاكي اسلوب الانبياء ويتقيل نمط التوراة ، وهي موجزة وغالبا عويصة مستغلقة يزينها انواع من الكنايات والاستعارات بحسب ذوق المشرقيين ، ولكلامه رونق وزخرف وتحبير وفيه كثير من الجمل البليغة في ايجازها ، ثم انه في مواضع كثيرة سنيّ رائع ولا سيما حيثما يأخذ في ذكر عزة الله وقدرته ، وهو وان كان قد كتب نثرا فلجمله وفقراته رويّ كثيرا ما ينقطع من اجله المعنى قبل ان يتم ويتكرر اللفظ تكرارا سخيفا لم يكن له لولا الرويّ من ضرورة ، وهو في النقل اشد سخافة منه في الاصل لانه يفقد في النقل حلية التسجيع التي جيء به من اجلها ، لكن العرب مولعون بهذه الطنطنة أعني التسجيع جدا ، حتى انهم يجيئون به في أهم مصنفاتهم واكثرها تحريرا . ثم يحلونها بآيات مقتبسة من القرآن وباشارات اليه ، حتى لا تكاد تفهم ما يكتبونه ما لم تكن مطلعا اطلاعا كافيا على القرآن .

ولعلّ ما ظهر للعرب في هذا الكتاب من سلاسة العبارة وحسن الرصف هو مما حداهم الى قبول الدين الذي جاء به ، ولعله قوّى في القرآن حججا ما كانت لتقوم بسهولة لو جيء بها عارية عن هذه الحلية من البديع وفن الخطابة ، فكم وكم من قصة تحكي عما لزخرف القول من التأثير وسحر العقول اذا احسن قائله اختيار الالفاظ وتلطف في سبكها وتنضيدها على ما يوافق غرضه فتفعل في الالباب فعل الموسيقى، ولذلك صار مصاقع الخطباء يعزون الى هذا الباب من فن الخطابة تأثيرا لا ينقص عن تأثير غيره من الابواب ، ولعمري ان من لا تشجوه فقرة متزنة اللفظ حسنة السبك فبئس السمع سمعه ، وما كان محمد يجهل

ما لزخرف الخطابة من فعل السحر وسلب الالباب ، فلذلك لم يهمل شيئا من بهرج البيان وزخرف الخطابة فيما ادّعاه من الوحي ، هذا مع افراغ جهده في المحافظة على سمو عبارته حتى يكون خليقا بالاله الذي نحله اياه ونسبه اليه وبذل وسعه في محاكاة اسلوب الانبياء انبياء التوراة ، فنجح فيما تجشمه أتم النجاح وخلب قلوب مستمعيه بزخرف قوله حتى خيل لخصومه انه سحر كما نراه يشكو من ذلك احيانا » .

واما المترجم والمذيّل فانه قال في صفحة ٧٠ من تذييله على ذلك الكتاب :

« واعلم اننا لسنا ننكر ان القرآن فصيح في بعض المواضع ، وانما ننكر دعواهم انه من حيث الفصاحة معجزة تفوق قدرة العباد ، كما انكر ذلك قبلنا بعض فرقهم ، اما فصاحته في بعض المواضع على طريقة فصاحة العرب فمسلّم بها ولا غرو ان يكون فيه شيء منها لأن مصنفه من قريش افصح قبائل العرب ونشأ فضلا عن ذلك في بني سعد وكانوا في الفصاحة كقريش ، فاجتمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة وروتق كلامها ، وهذا ما حداه الى ان يقول متبجحا أنا أفصح العرب وأعطيت جوامع الكلم ، ثم انه اقام في تصنيف كتابه ثلاثا وعشرين سنة يختار في اثنائها من كلام قبيلته واظاره أبلغ اساليبهم ويتلقف افصح الفاظهم ويعبر بها عما يقع في خلده كلما تهيأ له ذلك ، فجاء كتابه فصيحا في كثير من المواضع لكن لا يلزم من هذا أنه معجزة كما أن اشعار زهير وخطب قسّ بن ساعدة والفاظ سحبان لا تعد معجزة ، مع انها من البلاغة والفصاحة والنصاعة بحيث لو قيس بها القرآن لفاقته بمراحل ، ولو كان القرآن كلام الله نفسه وكان الله يروم ان يتحدى العرب بفصاحته ، لكان ينبغي ان يكون افصح مما



نراه وأحسن نظاما بكثير ، ولوجب ان يتنزه عما نراه فيه من اللحن والخطأ والركاكة وغير ذلك من معايب الكلام التي ما قدر الله حق قدره من نسبها اليه » .

ثم شرع المذيل في ذكر مواضع كثيرة من القرآن الشريف زعم ان فيها ما يخالف الفصاحة والبلاغة واثبت فيها بزعمه عيوبا جمة ظاهرة من الخطأ واللحن والركاكة ، من قبيل مخالفة القياس والكلام المبتور والزيادة المخلة بالفصاحة المحيلة الى غير مراد قائله والالتفات من الغيبة الى الخطاب والخطاب الى الغيبة وتكرار اللفظ الواحد في الجملة الواحدة وتنافر الحروف والمعاياة وفساد المعنى وغيرها من معايب الكلام، مما لو أمعن محقق نظره في انتقاداته ، ليرى انه ما فلتت من سهام رده وانتقاده الا آية الكرسي حيث اعترف بعلو فصاحة هذه الآية الكريمة ، لئلا يقال انه جاهل بالفصاحة والبلاغة او اعماه الغرض والتعصب بحيث لا يرى الحقيقة ، ولا بد من ان يطلي الى تلك الشبهات كثير من اصحاب الاحلام الضعيفة ويميل بها عن الحق ارباب القلوب المريضة ، لان الناس بطباعهم متزلفون الى الفئة الغالبة ميالون الى الشبهات الباطلة متملقون لأرباب الجاه والسلطة الزائلة ، فكم رأينا من الناشئة الحديثة من ابناء صميم العرب من يتعمد الرطانة في كلامه وعجمة في نطقه وتحريفا في لهجته ، تقليدا لاهل الغرب وتشبها بدعاة التمدن الحديث وتزلفا الى أهل الجاه ، وما نتجت تلك الشكوك والشبهات الا بسبب انحراف المفسرين عن الصراط المستقيم في بيان كيفية حجية القرآن وتفسير آياته، فلو أثبتها العلماء من طريقها وفسروها على وجوهها لما انتهى الامر الى المناقشات السخيفة والانتقادات الباردة ، وذلك لما اشرنا اليه سابقا ان الفصاحة والبلاغة من الاوصاف الخفية الغامضة الدقيقة التي تختلف فيها الاذواق وتتشعب فيها الآراء والانظار وتسهل فيها المناقشة والمغالطة

وتنطبع الشبهة فيها على القلوب البسيطة والعقول الضعيفة ، خصوصا اذا ساعدتها العاطفة الدينية والرابطة الجنسية والعصبية الجاهلية ، وقلّ من يعرف حقيقة بلاغة البيان وفصاحة الكلام من مهرة الكتاب وحملة الاقلام، والا لكان كل كاتب مصنفا بليغا وكل متكلم خطيبا مصقعا منطيقا، فما اسهل المناقشة فيها على المستأجرين وما اسهل قبولها على المستضعفين، ولكن ما ظهر من الرسول عليه السلام بسبب نزول القرآن عليه من العلم والقدرة على هداية الامم وازالة اسقام أهل العالم وتأسيس الشريعة الالهامية وايجاد الامة الاسلامية رغما للامم الكبرى ومباينا للديانات العظمى أمر ظاهر محسوس تصعب فيه المناقشة ولا تفيد معه المغالطة ، فمن الذي يمكنه ان ينكر الامم العظيمة كالعرب والفرس والخزر والترك والهنود والصينيين واهالي افريقيا خرجوا من ظلمات الشرك وعبادة النار والاوثان وانكار الانبياء ودخلوا في نور التوحيد وعبادة الله وحده والايمان بأنبيائه ورسله وملائكته وكتبه ؟ فان تلك الامم العظيمة كانوا من عبدة النار والاوثان قبل نزول القرآن وكانوا لا يعرفون موسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام ، فتلك الامم اهتدت واسلمت وآمنت بسبب السابقين الاولين من المسلمين، والمسلمون انشئوا ووجدوا بسبب الاسلام، والاسلام شرّعه واوجده النبي الكريم والنبي عليه السلام صار نبيا بما نزل عليه من القرآن العظيم ، وهذا سر ما افحم الله به المكابرين المكذبين بقوله « **فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين** »(١) . نعم كثيرا ما رمى الاسلام بأنه نشر بالسيف وقام بالاجبار لا بالدعوة والحجة والاختيار، وقد فندناه واجبنا عنه سابقا ونكرر الكلام في هذا المقام اثباتا للمطلوب

(١) سورة العنكبوت الاية ٥١ .



وتثبيتا للقلوب ، فانه لو تصفحنا تواريخ المسلمين وقفّينا على آثارهم وتتبعنا أخبارهم لا نجد فيها ادنى اشارة بأن النبي عليه السلام او الخلفاء وملوك الاسلام اجبروا امما على اعتناق الديانة الاسلامية ، بل نرى بالعكس فيها ان الخلفاء الامويين والامراء المروانيين المعبر عنهم في الكتب المقدسة بالتنين الهائل او الوحش الصاعد من الهاوية ، كانوا يمنعون الناس عن الدخول في الديانة الاسلامية خوفا على الضرائب وتكثيرا للجزية لحرصهم على جمع الاموال وصرفها في الشهوات الخبيثة واللذات الدنيئة ، حتى كتب عمر بن عبد العزيز ذلك الملك الموصوف في كتبهم بالعدل والزهد الى احد الامراء توبيخا له على منع الناس من الاسلام « ان محمدا عليه السلام بعث هاديا وما بعث جابيا » وهذا مما ينبه العاقل الى كيفية انتشار الاسلام ويكفينا مأونة البحث والتطويل في هذا المقام ، واما الديانة النصرانية على ما نعتقد فيها من انها ديانة الهية وشريعة سماوية ، لو تصفحنا تواريخها وتتبعنا تصاريفها لنجدها ملطخة بالدماء مخبرة عن افظع الانباء مملوءة من ذكر اجبار الامم على اتباع دياناتهم بقتل النفوس وحرق الاحياء ، فكم اهرقوا دماء واحرقوا احياء وارملوا نساء وايتموا اولادا وابادوا امما واعدموا اقواما ترويجا للتثليث وانتصارا للصليب ، ومن شاء الاطلاع على بعض ما ذكرناه فليراجع تاريخ الكنيسة تأليف الفاضل يعقوب مردوك الامريكاني المطبوع في القاهرة حاضرة بلاد مصر ...

وقد علم مما ذكرناه سابقا ان اعتقادنا في القرآن انه حجة بالغة ومعجزة دامغة بسبب ما اودع الله فيه من القدرة والهداية ، لا ينافي

ان نعتقد فيه بأنه بلغ حدّ الاعجاز ايضا من جهة الفصاحة والبلاغة ، لأنّا اثبتنا ان مظاهر امر الله عموما والسدرة المباركة والكلمة الاولية خصوصا كما فاقوا الناس في جميع خلال الشرف واوصاف الكمال من العلم والحلم والحكمة والشجاعة والصبر والعزم والحزم وغيرها من الاوصاف والخلال ، فاقوهم ايضا في جمال الصورة واعتدال القوام وبلاغة البيان وفصاحة الكلام بحيث لا تضاهيهم نفس في وصف من الاوصاف ولا يماثلهم احد في خلق من الاخلاق ، غاية ما في الباب هي ان تلك الخلال ليست مما يدركه كل انسان ويبلغ الى كل قطر وينتهي الى كل جيل لتكون الحجة بالغة والمعجزة شاملة ، فاذاً والحالة هذه يجب ان نفي بما وعدنا به من ابداء ملاحظاتنا على ما كتبه الفاضل الانكليزي في فصاحة القرآن وتفنيد ما زعمه وتوهمه في سبب انتشاره ونفوذه بين الملل والاديان فنقول متوكلين على الله المستعان •

قال صاحب كتاب مقالة في الاسلام : « وعبارات القرآن حسنة منسجمة في أكثر المواضع ، ولا سيما حيث يحاكي اسلوب الانبياء ويتقيل نمط التوراة وهي موجزة وغالبا عويصة مستغلقة » الى آخر كلامه •

( ونقول في جوابه )

يوهم ان عبارات القرآن غير حسنة وغير منسجمة في بعض المواضع ، الا انه • • • • ابى عن تعيين تلك المواضع



وتركها تحت الاجمال ، علما منه أنه سيصادف صعوبات من حملة الاقلام واشياع الحق وانصار العلم وحماة الخطابة والكتابة واعضاد الفصاحة والبلاغة ، فأوقع في شركه ذلك المسكين الشامي فعين بزعمه بعض تلك المواضع مما اوجب افتضاحه كما سيوضح ان شاء الله تعالى ، ثم أوهم ان عبارات القرآن الكريم في حمد الله وثنائه ونعمه وآلآئه كأنها منتحلة من التوراة الجليل وتقوّله النبي عليه السلام من كتب انبياء بني اسرائيل ، ونحن لا نفند ما زعمه وتوهمه بما نزل في نفس القرآن حيث قال جل وعلا « **واو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين** »(١) ، ولا بما جاء في الاصحاح الرابع عشر من كتاب حزقيال حيث قال الرب الجليل « **واذا ضل نبي وتكلم بكلام فانا الرب قد اغويت ذلك النبي وسأمد يدي عليه وابيده من بين شعبي اسرائيل** » ، لأن مراتب قدرة الله تعالى وقوته على تنفيذ ارادته وغلبته وقاهريته فوق عباده ، ومراقبته واحاطته على خلقه هي مما لا تراه الاعين العمشة ولا تدركه البصائر المطموسة ولا تفهمه القلوب المطبوعة ، ولذلك لا يخشاه الا العلماء ولا يهاب سطوته الا النبهاء ولا يامن بأسه الا الجهلة والاغبياء ، ومن المقرر ان ما لا يعتبره المغرورون شيئا في زماننا ، انما هو ارادة الله ومشيئته واحاطته وقدرته ، بل نقول لو اصغى الانسان الى امثال هذه الشبهات ليلتزم ان يكذب جميع الانبياء ويترك كل الديانات الكبرى ويرجع متقهقرا الى الوثنية بل الهمجية الاولى ، لان الامة النصرانية تقول ان محمدا تقوّل القرآن على الله وانتحلها من الانجيل ، واليهود

(١) سورة الحاقة الآية ٤٤—٤٧ .

يقولون ان عيسى انتحل تعاليمه من كتب انبياء بني اسرائيل، والزردشتية اي الفرس الاولى تعتقد ان موسى وانبياء بني اسرائيل لفقوا كتبهم مما انتحلوه من كتب انبياء الفرس ، والصابئة تقول ان المتأخرين جميعا نهبوا الاولين وانتحلوا لانفسهم فضائل الاقدمين ، قال احد كبار الزردشتية في كتاب سُدْره وكُشْتي ما ترجمته : « ان داود الحداد اخذ عبارات الحمد والثناء والتوحيد والتفريد لله تبارك وتعالى من كتاب اوستا ومزجها بالاغاني التي انتحلها من فصحاء الفرس ولفقها باسم مزامير ونشرها بين رعاة آل اسرائيل » وقد تبين لك مما ذكرناه ان المتأخر يقول في رد مظاهر امر الله عين ما قاله المتقدم واللاحق يمشي على اثر السابق ، والعاقل المحقق لا يرجح قول امة على غيرها من غير مرجح ، والمرجح مفقود كما يعرفه اللبيب ، فاذا جاز لأحد ان يشك في القرآن باحتمال انه ربما انتحله النبي عليه السلام من كتب انبياء بني اسرائيل بسبب ما يوجد فيهما من صفات الله تعالى ، فلم لا يجوز له ان يشك في الانجيل مع ما يرى جميع تعليماته في كتاب كنفوشيوس نبي الامة العظيمة الصينية وشارع الديانة البوذية ؟ وهذا سر ما قلنا ان الا عتناء بهذه الشكوك ينتهي الى عبادة الاوثان بل يوجب هدم صروح جميع الاديان ، وهل يوجد دين من الاديان الا وقد وصف الله تعالى شارعه في كتابه بالوحدانية والفردانية والعزة والحكمة والقوة والقدرة وغيرها من اوصاف الكمال ونعوت الجلال ؟ ثم وأيّ مشابهة توجد بين ما جاء في القرآن المجيد من اوصاف التقديس والتنزيه وما جاء في كتب انبياء بني اسرائيل من نعوت الحلول والتشبيه ؟ هل يوجد في القرآن انه ترآءى له الرب تعالى كريح عاصف وفي وسطه اربعة



حيوانات ولكل واحد اربعة أوجه ولكل واحد اربعة اجنحة وارجلها ارجل مستقيمة واقدامها كقدم العجل وهي تبرق بريق النحاس الصقيل الى آخر ما جاء في اول كتاب حزقيال في اوصاف الرب الجليل ؟ وهل يوجد في القرآن الكريم انه ترآءى له الرب تعالى قضيبا ساهرا كما جاء في اول سفر ارميا ؟ وهل يوجد في القرآن العظيم انه ترآءى له الرب جالسا على عرش رفيع واذياله تملأ الهيكل ومن فوقه السرّافون قائمون لكل واحد ستة اجنحة باثنين يستر وجهه وباثنين يستر رجليه وباثنين يطير كما جاء في الاصحاح السادس من كتاب اشعيا ؟ الى كثير من امثالها ، وليس المراد مما ذكرناه اهانة الكتب المقدسة معاذ الله والحطّ من مقامها لاننا اظهرنا اعتقادنا في وجوب اعتبار القسم الالهامي منها آنفا ، بل المقصود اثبات عدم المماثلة والمشابهة بينها وبين ما جاء في القرآن الشريف كما تحمله ذاك الفاضل وغيره من اصحاب الرد والتشكيك والتكذيب والتثريب • ومن عجيب ما يرى النبيه في كتب هؤلاء المكذبين هو تناقض ايراداتهم وتخالف شبهاتهم ، فان فاندر النمساوي رد على القرآن الشريف في كتاب ميزان الحق بأنه لا يشابه كتب انبياء بني اسرائيل في مقامات الحمد والثناء والاخبار والانباء وهذا الفاضل الانكليزي يرد عليه بحكم انه حذا حذوهم وحاكى اسلوبهم ، فسبحان من قسم العقول والاحلام وفرق بين المدارك والافهام •

وقال المصنف ايضا :

« وهو وان كان قد كتب نثرا فلجمله وفقراته رويّ كثيرا ما ينقطع من اجله المعنى قبل ان يتم ويتكرر اللفظ تكرارا سخيفا لم يكن له لولا الرويّ من ضرورة ، وهو في النقل اشد سخافة منه في الاصل لانه يفقد في النقل حلية التسجيع التي جيء به من اجلها ، لكن العرب

مولعون بهذه الطنطنة اعني التسجيع جدا حتى انهم يجيئون به في اهم مصنفاتهم واكثرها تحريرا ثم يحلونها بآيات مقتبسة من القرآن وباشارات اليه حتى لا تكاد تفهم ما يكتبونه ما لم تكن مطلعا اطلاعا كافيا على القرآن » .

طالما رأينا ان كتّاب الامة الانكليزية يندون على اهل الشرق ويلومونهم في استعمال علم البيان وتحبير كلامهم بتنميق عباراته وترصيف الفاظه وتسجيع جمله ، كأن ملاحظة تقاطيع الكلام وتزيينه بالرصف والترصيع والتسجيع وغيرها من فنون البديع سيئة لا تمحى وذنب لا يغفر ، وحقا ان هذا من سقم الرأي وجحود الحق بل هو عين التمويه والمخرقة ، ولم أدر لماذا يستحسنون الترتيب والترصيف وملاحظة حسن التقاطيع في آثارهم ومصنوعاتهم ، لا في الصنائع والآثار التي تدوم دهورا واحقابا كالابنية والجسور والقناطر العظيمة فحسب بل وفي المصنوعات الجزئية والآثار الطفيفة ايضا كالثياب والاحذية والمناطق وامثالها مما تبلى وتنعدم في سنة او سنتين ، فانهم يتفننون في اتقان صنعها وتزويقها وترصيف ازرارها وتطبيق زواياها غاية التفنن ويهتمون بها كمال الاهتمام ، فاذا كان هذا حالهم في الصنائع الزائلة والمهن الطفيفة لِمَ لا يجوزون لأهل الشرق ان يستعملوا الرصف والتنميق والسجع والترصيع في النطق والبيان الذي هو احسن مزايا البشر واعلى خصائص الانسان ؟ فان الانسان به يمتاز عن سائر اصناف الحيوان ومنه يصنف الكتب وتبقى الآثار الدينية والعلمية وتخلد الفضائل النقلية والعقلية وبه تهذب الاخلاق والاعمال ويتحلى الانسان بكرائم الاوصاف والخلال ، أليس هذا من الشطط الفاضح والتمويه الكريه ؟

وليس هذا التنديد والتثريب الفارغ الا لأن لغتهم خالية من كل



مزية وعارية عن كل لطف وسلاسة ، وعلم البيان انما هو هندسة الكلام كما ان معرفة السطوح ونسبة بعضها الى بعض هو هندسة الاجسام ، نعم يجب ان يكون الكاتب والخطيب بصيرا بحسن الترصيف والترتيب عالما بمواضع الترصيع والتسجيع عارفا بمواقع الاستعارة والتشبيه لئلا يختل به المعنى ويفسد به التركيب ، فيذهب بطلاوة الكلام ويخلّ بفائدة البيان ، كما انه يجب على الصانع ان يكون بصيرا بحسن ترتيب اجزاء المصنوع ليظهر على هيئة ظريفة وهندسة مقبولة .

وقد قلنا في سائر رسائلنا ان المحسنات البديعة في الكلام انما هي بمنزلة الملح في الطعام قليله نافع وكثيره مضر ، وقلنا ان الفصاحة في الكلام هي بمنزلة الحسن الاصلي في الانسان ، فان الفصاحة في الحقيقة ليست الا حسن ترتيب اجزاء الكلام وانتقاء الالفاظ المناسبة له كما ان الحسن الاصلي في الانسان ليس الا اعتدال القوام وتناسب الاعضاء ، وتحسين الكلام بالمحسنات البديعية انما هو مثل تزيين الانسان بالحلى والحلل الخارجية ، فاذا لم يكن في الانسان حسن الخلق الاصلي لا يحسّنه التزيين الخارجي ، كما انه لو افرط في تلك الحلل الخارجية لتستر حسنه الاصلي واعتدال قوامه الذاتي ، ولذلك لا يرى في عبارات الحريري والهمذاني والخوارزمي وغيرهم من أئمة البيان وكبار الكتّاب من اللطف والرقة والطلاوة وحسن السبك واتقان الوضع ، ما يرى في خطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ورسائله وخطب سائر الائمة والخلفاء ، مع ان عبارات الحريري وبديع الزمان اكثر تصنعا واوفر تسجيعا واتقن تقطيعا لانها صنفت بالتكلف والتفكر والتروي والتدقيق، بخلاف خطب الائمة فانها جاءت طبعا وارتجالا من غير تكلف وتفكر وتروّ وتأمل كما هو عادة اهل الانشاء والتأليف ، ولذلك قالوا « الطبع

أملك » ، وهكذا النسبة بين كلام الله وعبارات الائمة ، فانه ألطف وارق واحلى كما هو ظاهر عند ارباب البصائر والنهى .

وما توهم المصنف من انقطاع معاني الآيات بسبب التزام الرويّ متسبب عن جهله بتلك المعاني كما شكى منه أولا حيث قال « وهي موجزة وغالبا عويصة مستغلقة » ، وليست صعوبة ادراك معاني الآيات السماوية وبعدها عن افهام العامة خاصة بالقرآن العظيم وحده ، فان كلمات الانبياء بأجمعها صعبة مستصعبة مختومة مكتومة عويصة على القلوب المقلوبة ، بعيدة عن العقول الضعيفة خاب من رامها قبل مجيء ذاك اليوم الرهيب العظيم ، وضلّ من فسرها قبل ان يفك ختمها الرحمن الرحيم ، وقد قرأنا في كتب انبياء بني اسرائيل نقلا عن الله تعالى **«اني اريد ان افتح فمي بالامثال وانطق بمكتومات منذ تأسيس العالم»(١)**، فلو كانت معاني كلمات الله ظاهرة مكشوفة سهلة مفهومة يفهمه كل بعيد ويدركه كل غبي ، لم يبق من ثم مكتوم حتى يفتح الله فمه به في الامثال ويختمه انبياؤه في سابق القرون والاجيال ، واظهر دليل على صعوبة فهم آيات الكتب السماوية هو ان علماء اليهود اتفقوا على عدم انطباق بشارات التوراة على عيسى عليه السلام ، فاتخذوها اقوى دليل على تكذيبه وعلماء النصارى اجمعوا على انها منطقبة على ظهوره تمام الانطباق فاستدلوا بها على تصديقه ، أليس هذا اظهر حجة واقوى دليل واتم برهان على ان كلمات الانبياء بأجمعهم عويصة مستغلقة صعبة مستصعبة ؟ على ان علماء اليهود اخذوا تفاسير الكتب بزعمهم عن آباء الكنيسة وورثوها كابرا عن كابر وحافظوا عليها جيلا بعد جيل ، ومن هم آباء الكنيسة ؟ هم الانبياء العظام اشعيا وارميا وزكريا وامثالهم

(١) انجيل متى الاصحاح ١٣ .



عليهم السلام ، وحقيقة الامر ان الامة الاسرائيلية جهلت معاني بشارات التوراة ولذلك انكرت عيسى عليه السلام وتبعتها الامة النصرانية واقتفت آثارهما الامة الاسلامية كما تشير اليه الكلمة النبوية « لتسلكن سنن من قبلكم شبرا فشبرا وذراعا فذراعا » .

وقال المصنف ايضا : « ولعل ما ظهر للعرب في هذا الكتاب من سلاسة العبارة وحسن الرصف... الى آخر ما اوردناه في الصفحة ٩١ .

لا يخفى على اهل العلم ان لكل مزية ومنحة من المزايا والمنح العالية المغبوطة من قبيل العزة والثروة والملك والسلطنة والعلم والفضل والفصاحة والبلاغة وحسن الصوت وحسن البيان وغيرها مما يمكن ان تنفذ به الكلمة وتنجذب اليه القلوب قوة ظاهرة وغلبة وتأثيرات معلومة ، الا انه لا يعقل ان تبلغ قوة تلك المؤثرات الى حد تنشأ بها ديانة جديدة وامة مستقلة تبقى قرونا واحقابا بدون اذن من الله تعالى ، والا لتسقط حجة الديانات الحقة ويخفى طريق معرفة الشرائع الالهية وينهدم منار الحق وتنطمس اعلام الهداية ، اذ لا يبقى ثم مميز بين الحق والباطل والهادي والمضلّ ولا فارق بين الهداية والضلالة والرشد والغواية، وقد بيّنّا فيما مضى من مقالاتنا مقدار دليلية المعجزات وحجية العجائب واثبتنا بالبراهن الواضحة انه ليست لها دلالة تامة مستقلة على صدق دعوى المدعي وحقية شريعة الشارع ، ولذلك ابى السيد المسيح وامتنع الرسول الكريم صلوات الله عليهما عن اجابة طلبة العجائب واسعاف مأمول مقترحي المعجزات كما تشهد به مواضع من الانجيل وتنطق به آيات من القرآن ، والامم بأجمعها شرع(١) في رواية المعجزات عن شارع دينهم واسناد العجائب الى مؤسس شريعتهم بل

(١) شرع اي سواء .

الى شيوخ طرقهم وممهدي مذاهبهم بل الى اتربة اوليائهم ومضاجع اصفيائهم ، وقد وضع الله تعالى للحق اعلاما لا تشتبه وبنى له منارا لا ينهدم وقدر له امارات وآيات لا تنطمس ، اعظمها واوضحها واجلاها تلك القوة الملكوتية التي لا تشاركه فيها نفس والقدرة الالهية التي لا يأتي بمثلها احد ، وهي قوة انفاذ الكلمة البديعة والقدرة على ايجاد الديانة الجديدة ، وهي القوة الوحيدة التي تغالبها قوة العالمين فتغلبها وتقاومها قدرة العلماء والامراء في شرق الارض وغربها فتسقطها ، فان محبة الدين المألوف القديم سجية راسخة في قلوب العالمين وكراهية الدين المستحدث الجديد شنشنة معروفة في الجبابرة والمتكبرين ، والى هذه القوة الملكوتيـة والقدرة اللاهوتيـة اشار السيد المسيح بقولـه **« من الآن ترون ابن الانسان جالسا عن يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء»**(١) وجاءت في ام الكتاب « **لو يسترونني في طبقات التراب ليجدونني راكبا على السحاب** » واليها اشير في المصحف المجيد بقوله تعـالى « **ان جندنا لهم الغالبون** »(٢) ، فلو فرض سقوط هذه الحجة الواضحة وصرف النظر عنها بشكوك واهية باردة ، بم تثبت حقيـة الانبياء وكيف يفرق بين الحق والباطل والثابت والزائل ؟

فاذا عرفت هذا يظهر لك بطلان ما توهم المصنف من ان العرب ربما اذعنوا للقرآن الشريف بسبب فصاحة آياته وطلاوة عباراته ، ثم اقسم بذاته وخاطر بحياته بان من لا تشجوه فقرة متزنة اللفظ حسنة السبك فبئس السمع سمعه ، وفاته ان فتح باب امثال تلك الشبهات يضر بدينه اكثر مما يضر بغيره ، ويثلم سياج الديانة النصرانية قبل ان تنثلم

---

(١) انجيل متى الاصحاح ٢٦ الآية ٦٤ .

(٢) القرآن الكريم سورة الصافات الآية ١٧٣ .



به الشريعة الاسلامية ، فان اليهود يرمونهم بأنهم سلبوا عقول السذّج بزخارف الدنيا من الصفراء والبيضاء في اول ما قامت قيامة هذه الديانة في أقطار آسيا وازوبا ، ولعمر الله ان من ينجذب الى الفضة الوضاحة وينخدع من الذهب الوضاء اكثر بكثير ممن تشجوه الفقرات الموزونة والاغاني المطربة ، خصوصا اذا اختلق له اهل التمويه اعجوبة تنخلع منها القلوب البسيطة وتهلع لها النفوس الساذجـة ، راجـع الفصل الخامس من كتاب اعمال الرسل لترى العجب العجاب مما يسلب العقول ويأخذ بمجامع الالباب ، والامة الانكليزية ادرى الامم بمحبة المـال وفعله في النفوس مما لو قيس به من تأثيرات الاغاني والانغام لفاتها بمراحل ، فاذا اعتبرت امثال هذه الشبهات الواهية فـلا تتوقف دون الاسلام وقل على جميع الديانات السلام .

نعم لكل من الثروة والقوة والسلطة والخطب والاشعار والاغاني والانغام آثار لا تنكر وافعال لا تستر ، ولكن كل تلك المؤثرات كانت عند منكري القرآن اوفر واكثر وكان تأثيرها في ابقاء النفوس عـلى دياناتهم الاصلية وطريقتهم الموروثة اقوى واسهل ، وكان في العرب ممن انكروا رسالة سيدنا الرسول وحاربوه وناصبوه العداوة كأبي جهل وابي سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابني ربيعة ونضر بن الحارث وكثير من امثالهم من مصاقع الخطباء ومشاهير الفصحاء ممن خلد ذكرهم في متون الكتب وصفحات التاريخ ، فاذا كانت الفصاحة والبلاغة بهـذه الدرجة مؤثرة ونافذة فهـلا اثرت تلك الالسنة الطليقة والخطب البليغة والجمل الموزونة والنغمات الشجية في ابقاء العرب على دياناتهم الاصلية ؟ وقبولها اسهل على النفوس من قبول ديانة جديدة غير موروثة وطريقة غريبة غير مألوفة ، أليس ذلك لانقدرة الله فوق قدرتهم ومشيئته فوق

مشيئتهم ؟ وان اسباب السماوات قد تقطعت بها الاسباب وان الديانة لا تنشأ بتخليب العقول وسلب الالباب ؟ اما صرح زميله الشامي ان في القرآن الشريف كثيرا مما يخل بالفصاحة حتى كاد ان لا تفلت من سهام ردوده واعتراضاته الا آية الكرسي ؟ فأين هذه الفصاحة التي خلبت بها عقول القوم وسلبت بها ألباب العرب؟ ولقد قال صاحب التذييل ان خصوم محمد لم يروا شيئا من المعجز في هذه المعجزة ( أي في كلامه ) فردوها عليه وهم انما كانوا عربا فصحاء ، وقال ايضا ان اشعار زهير وخطب قس بن ساعدة والفاظ سحبان . . . الى آخر كلامه الذي اوردناه في الصفحة ٩٢ ، فهدم المذيل الشامي ما شاده استاذه الانكليزي في اصل المقالة ، ولعمر الله لا يعقل ان الامة العربية التي كان فيها من الشعراء والخطباء من لا تنكر فصاحتهم وبلاغتهم وكانت عندهم من خطب قس وأشعار زهير ما فاق القرآن الشريف بزعمه لتسلب عقولهم وتخلب ألبابهم بالقرآن الذي قال فيه كمال توهمه من الركاكة واللحن والخطأ ما لا يستر ولا يخفى ، فاذا كان القرآن الشريف في مراتب الفصاحة والبلاغة بدرجة اذهل الباب فصحاء العرب واعجزهم عن مقاومته حتى خلعوا قميص دياناتهم الاصلية وتقمصوا بحلة الشريعة الجديدة الاسلامية ، فقد ثبتت صحة ما قاله علماء الاسلام ان فصاحة القرآن وبلاغته فوق طاقة البشر ، واذا لم يكن فيه من الفصاحة والبلاغة ما يفوق فصاحة العرب وبلاغتهم فقد ثبت بطلان ما توهمه الفاضل الانكليزي من ان محمدا سحر الباب العرب بتزويق الكلمات وحسن ترتيب الآيات وصح ان هذا السفر الكريم والكلام القديم انما غلب اهل العالم بقوته الالهية وقدرته السماوية لا برصف الكلمات وتسجيع العبارات ، والانسان لا يملك نفسه من الضحك حينما ينظر في تعريض ذاك الفطن الشامي حيث قال « ان خصوم محمد لم يروا شيئا من المعجز



في هذه المعجزة فردوها عليه » فهل رأى خصوم سائر الانبياء شيئا من المعجز في معجزاتهم وهل لم يردوها عليهم ؟ أليست الامة اليهودية اقرب الامم الى المسيح عليه السلام ترد عليه جميع معجزاته بعد انقضاء اكثر من الف وثمانمائة عام ؟ أيجوز على اهل العلم ان تغلب عليهم العواطف الدينية او العصبية الجاهلية بدرجة تخرجهم عن حد التعقل والاعتدال فيعترضون على شارع الديانة الاسلامية بما لم يسلم منه نبي في سابق القرون والاجيال ؟

ونوجه انظار اهل الاستبصار الى الثورة الفرنساوية التي حدثت في سنة ١٧٩٢ من السنين الميلاديه ، فان فلاسفة فرنسا بعدما نشأت فيهم روح الحرية وقاموا لقلب السلطنة المطلقة الاستبدادية وازمعوا على رفض العقائد المجهولة الوراثية ، رأوا ان بقاء الامم الاروبية على العقائد الراهنة في الديانة المسيحية بعد تقدمهم في المعارف الطبيعية والرياضية والفلكية ضرب من المحال، فأرادوا ان يشرعوا لهم دينا تكون عقائده الاصولية وشرائعه الادبية ابسط واقرب الى العقول والاذواق من تلك العقائد العتيقة التي يمجها الذوق السليم ويأباها العقل المستقيم، فشرعوا دينا اساسه ان يعبدوا الله وحده وجعلوا الكنائس محلا للعبادات ، وكان دستور ايمانهم بسيطا حاويا لقضيتين كبيرتين ، **الاولى** الاعتراف بوجود الباري جل وعلا **والثانية** الاذعان بخلود النفس أي بقاء الروح جوهرا مدركا قائما بنفسه بعد الموت ، وشرائعهم الادبية ايضا مؤسسة على اصلين كبيرين **الاول** محبة الله تعالى ، **والثاني** محبة الخلق ، وجعلوا مناسكهم مشتملة على صلوات واذكار وتسبيحات رتبها لهم بعض فلاسفتهم ، وقرروا لدياناتهم هذه بعض شعائر بسيطة ايضا كوضع اطباق من الاثمار والرياحين على المذابح

واستعمال الموسيقى بالآلات والاصوات في المجامع ، وبعد ما اكملوا واتقنوا اركان هذه الديانة واسسوها وشادوها بزعمهم على اساس متين عين وزير الامور الداخلية جماعة من كبار الكتّاب والخطباء وارسلهم الى جميع بلاد فرنسا ليدعو الناس الى قبول هذه الديانة الجديدة، فجدّوا كل الجدّ في ادخال دياناتهم في كل مدن فرنسا وانتشرت مقاصدهم الى بلاد اخرى ، قال نوفل بن نعمةالله بن جرجس نوفل الطرابلسي في كتاب زبدة الصحائف في سياحة المعارف بعد نقل هذه الحادثة « وقد اتبعت هذه الديانة بعض انفار في باريس وغيرها ولكن لم يلتفت اليهم ثم بعد برهة يسيرة انقرضوا وطفى خبرهم » .

فاذا كانت الفصاحة والبلاغة ورصف الكلمات وتسجيع العبارات تؤثر على عقول البشر بدرجة تذعن للديانة الباطلة وترضخ وتخضع للشريعة المختلقة فهلا أثرت بلاغة هؤلاء الفطاحل الافاضل وفصاحتهم في نشر دينهم الذي شرعوه بسامي عقولهم وقوة فلسفتهم وكان فيهم من كبار الكتّاب وأئمة البيان من يضرب الامثال بسحر الفاظهم وقوة اقلامهم وطلاقة ألسنتهم وحلاوة عباراتهم من اضراب فولتير واقران جان جاك روسو ؟ وقد استعملوا العقل والتدبير والعلم والفضل والفصاحة والبلاغة واستخدموا القوة والسلطة والثروة والموسيقى بأجمعها لنشر الديانة التي شرعها واخترعها بزعمهم اسمى عقول بني الانسان من النوابغ والفحول وكبار الفلاسفة الذين قلّما يجود الزمان بمثلهم ، وقد أطاعهم جم غفير من قواد الجيش وزعماء الامة حيث نجحوا بهم تمام النجاح في تبديل السلطة الاستبدادية بالسلطنة الدستورية .

ولكن الله تعالى اظهر عجزهم واضل سعيهم وخيب آمالهم وبدد جمعهم في أمر الديانة التي قدر تشريعها وابقاءها خاصة لمشيئته ومنوطة



باذنه وارادته لا بسائر الوسائل والاسباب ، فكم اظهر الله تعالى ضعف مدارك البشر وضعة افهامهم وسخافة عقولهم وخفة احلامهم فيما زعموا ان تشريع الاديان من نتائج العقول البشرية ونشرها واعلاءها ممكن بالوسائل الملكية ، وكم أبطل غرورهم واوهن قوتهم وقصم ظهورهم واستأصل شافتهم واحل بهم بأسه ومثلاته وانزل بساحتهم نقمه وسطواته بما ارادوا ان يشرعوا دينا بغير اذنه وحاولوا ان ينشؤا شريعة بلا سابقة من ارادته ، فان في قصص ارغون خان المغولي وسعد الدولة اليهودي في ايران وعلاء الدين الخلجي في هندوستان وفلاسفة فرنسا في اروبا عبرة لأولي الالباب وذكرى وموعظة لاهل الكتاب ، وقد قلنا آنفا انه اذا فتحت أبواب هذه الشكوك ليدخل الانسان منها في سبيل الشك في جميع الانبياء ولينتهي الامر الى هدم كل الاديان ، وسببه واضح عند من له المام بالبراهين العقلية والقياسات المنطقية ، وذلك لأن الاحكام العقلية في القضايا الكلية لا تقبل التخصيص ، ويطرد الحكم العقلي في جميع جزئياته وينطبق الكلي على افراده طبعا ويلتفت العقل الى هذا الاطراد فطرة ، ولا يمكن ان تحول العوارض الخارجية كالحب والبغض والميل الى العصبية الملية او الجنسية وامثالها حين النظر دون هذا الالتفات الطبيعي الفطري ، لانها عوارض خارجة عن ذات القضية فيلتفت العقل اليه عند عدمها وبعد زوالها بحكم النظر عند وجودها ، فاذا طرأ الشك في قضية اثبات حقية دين الاسلام بحكم ان شارع هذا الدين ربما طبع افكاره على عقول القوم بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه وجوز العقل امكان نشر الأديان بمجرد ذلاقة اللسان وسحر البيان ، فيطرد هذا الشك عقلا في ديانة من سبقه من شارعي الشرائع ومؤسسي الاديان بأنه ايضا ربما استخدم هذه القوة او غيرها من القوى والوسائل لبث آرائه وطبع افكاره على القلوب الساذجة والعقول

البسيطة من صيادي الاسماك ورعاة الاغنام ، ويتقوى هذا الشك كلما يتقادم عهد الشارع اذ تساعده حينئذ ظلمة التواريخ القديمة التي لا ينفذ شعاع النظر الثاقب طبقات ظلماتها لبعْد عهدها واندراس مهدها وكثافة طبقاتها وتراكم شبهاتها ، ولذلك عزّ وصعب عليهم اثبات وجود شارعي بعض الاديان العتيقة من حيث التاريخ فكيف الطريقة التي اتخذوها وسيلة لنشر اديانهم وبسط آرائهم ؟ ولعمر الحق لو جاز لاحد ان يشك في الكتاب الذي هو ابعد الاشياء عن السحر ، وفي الكلام الذي هو اشرف مزايا الانسان بشبهة انه ربما سحر المتكلم ألباب الناس به ، فكم بالاحرى يجوز له ان يشك في العجائب التي انتحلوها لانبيائهم وهي من جنس السحر المزعوم وبينهما مماثلة ظاهرة ومشابهة واضحة ، ايظن الفاضل البريطاني ان فلاسفة مصر الذين حملوا معجزات موسى على السحر والشعوذة كانوا اقل نباهة واقصر نظرا منه ومن امثاله ؟ وهم الذين تشد الرحال في كل سنة من اروبا وامريكا لمشاهدة اعمالهم الهائلة التي تشهد بسعة معارفهم وسمو افكارهم ، وتتحمل الاهوال وتصرف الاموال لزيارة آثارهم المدهشة التي تنطق بعلوّ مداركهم ودقة انظارهم .

والاذعان بالسحر بالمعنى الذي تزعمه العامة انما هو من بقايا ظلمات أوهام العصور المظلمة الغابرة التي مزقت ستائرها انوار طلوع شمس العلم وازاح كثافة تراكمها بزوغ نير الحق ، ومعنى السحر حقيقة كما يدل عليه اخبار أئمة اهل البيت الواردة في كتاب بحار الانوار انما هو يساوق معنى الباطل ، اذ لا بد لكل امة انكرت حقية رسالة رسول ان تحمل آياته وبيناته على الاباطيل لا على الحقائق كالصابئة في تكذيب موسى واليهود في تكذيب عيسى والنصارى في تكذيب سيدنا



الرسول عليهم السلام وهلمّ جرّا ، وأئمة اهل البيت عليهم السلام بصرف النظر عما منحهم الله تعالى من رتبة الولاية المساوية لنبوة انبياء بني اسرائيل كما يدلك عليه قول الرسول عليه السلام : « علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل أو أفضل من أنبياء بني اسرائيل » ، انما هم من صميم العرب ونقاة قبائلها وهم اعلم بموارد استعمال الفاظ اللغة العربية ومعانيها الحقيقية من المتطفلين على موائدها والدخلاء في نواديها بعد ما اخنى الدهر عليها وهدمت ادوار القرون معالمها ومباديها ، فينتج مما تقدم ان فاتح ابواب أمثال تلك الشكوك يهدم بها اركان دينه الذي يعتقد صحته قبل ان تضرّ شكوكه بسائر الاديان ، ولذلك ترى انها اضرت بالديانة الطاهرة المسيحية اكثر مما اراد ان تضرّ بالشريعة المقدسة الاسلامية ، وكثرت وزهت بين النصارى من الشيع المادية والدروينية والاشتراكية والفوضوية جمعيات تنكر جميع الانبياء وتستهزء بكل الاديان ، حتى ارتاعت عقلاء اروبا من نماء هذه الشيع وهالهم تقدمها السريع ، ويدلك عليه ما قاله بعضهم للوزير الشهير غلادستون حينما رآه واجفا في نفسه خائفا على عواقب قومه فسأله قائلا : « أتخاف ان يهدم العلم لشدة سيره اسس اللاهوت التي هي أس الهيئة الاجتماعية » ، وما قاله القس الشهير لوازون الخطيب الفرنساوي حينما خطب في مرسح الخديوي بين جماعة انافت افرادها على الفين من أفاضل المسلمين والنصارى من كبار العلماء والامراء وقناصل الدول والاذكياء من أهل مصر ، فان ذاك الخطيب الطائر الصيت قال في جملة خطاباته : « ولقد ادهشني في مصر اثران لمعنى ليس في قبور الفراعنة ولا هياكلهم ، وهما الجامع الازهر وتمثال ابراهيم ، هذان يشيران الى المستقبل وتلك تحدث عن الماضي ، فالجامع الازهر بعشرة آلاف من

طالبي العلم الوافدين عليه من اقاصي البلاد بين مراكش والصين خليق بأن يسوج بالعالم الاسلامي فاحفظوه احفظوه فان به تأييد كلمة الله التي اخذت الآن تتقلص عن آفاق اروبا ، ويخشى اذا هي زالت بالمرة ان تقع في همجية اشد من همجية احقر طبقات المتبربرين » .

وكيف لا يأخذ الهلع والروع بقلوب امثال لوازون ومكلم غلادستون ممن يهمهم عواقب قومهم ؟ وهم يرون بأعينهم انه يخرج في كل سنة من مدارس اروبا جيش عرمرم من الشبان متلقدين سيوف العلوم الطبيعية مدججين بأسلحة العقائد الدروينية هاجمين على المعتقدات الدينية ساخرين بالشرائع الالهية مستهزئين بالصحف السماوية قادحين في كل سيادة روحانية ، اذ لا يجدون مخرجا من دائرة علومهم ومعارفهم المكتسبة فان اصولها ومبادئها مبرهنة عندهم بالبراهين الحسية القطعية ، ولا يعرفون طريقا لتوفيقها وتطبيقها على ما جاء في الكتب السماوية فانها رموز واشارات نبوية مختومة والغاز واستعارات خفية معلومة ، مثلا كيف يمكن للفلكي الذي عرف بالبراهين حقيقة الكرات الدائرة في الفضاء التي هي غير متناهية من جميع جهاتها بأنها شموس ثابتة في مراكزها وسيارات دائرة حول تلك الشموس واقمار سائرة حول تلك السيارات ، وانه ليست هناك اجسام صلبة شفافة غير قابلة للخرق والالتئام ، ان يعترف بما جاء في التوراة والانجيل والقرآن من انفطار السماء وتزعزعها وطيها وتبدلها وتجديد السماء والارض واحتراق عناصرها وظلمة الشمس والقمر وانتثار الكواكب على الارض وامكان الصعود الى السماء والنزول منها وغير ذلك مما هو مباين للاصول المقررة في المعارف الفلكية والطبيعية تمام المباينة ، وهو لا يعرف من تلك الالفاظ النازلة في الكتب السماوية الا ظواهرها



ولا يخطر بباله انه ربما يكون لتلك الالفاظ معان هو جاهل بها وحقائق هو غافل عنها كما هو منصوص في الكتب السماوية ومصرح به في الكلمات النبوية ، نعم يوجد في الامم الاروبية عموما والامة الانكليزية خصوصا كثير من اهل الفضل والبر والكرامة والديانة الا ان مقتضى سير العلوم الطبيعية وتقدمها السريع في مقابل لاهوتهم المظلم الضعيف ينتهي بلا شك الى سقوط هذه الفئة الفاضلة وسيادة الفئة الطبيعية ، فيقعد حينئذ على منصة الحكم والرياسة طائفة ممن يوصف بقساوة القلب والفظاظة بمقتضى زوال خشية الله عن قلوبهم التي لا تلين بذكر الله ، فيجترحون كل اثم ويرتكبون كل محظور باسم الحضارة والمدنية كما ارتكبه قبلهم رؤساء الامم الشرقية ، فتنتقض بهم الهيئة الاجتماعية وينهدم اساس الديانة والانسانية الحقيقية كما اشار اليه مكلم غلادستون ولمحت اليه خطابة لوازون ، فثبت مما بسطنا الكلام فيه مبرهنا ان هؤلاء المشككين ثلموا بشبهاتهم سياج الديانات والحضارة والانسانية كلها ثلمة لا يسدها الا ما وعد الله به في الكتب المقدسة من تجديد الخلق وتبديل السموات واشراق الارض بنور ربها وازاحة ظلمات الاوليات ، وتلك وعود محتومة ظهرت طلائعها وبدت علائمها وتلعت نهارها وحانت اوانها لو كانت ثمة قلوب تدرك مفاهيمها وتفهم معانيها ، فنختم جواب الفاضل المنتقد بتلاوة الذكر الحكيم حيث قال العزيز العليم « **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** »(١)، هنا نضع القلم ونطوي

---

(١) سورة غافر الآية ٨٣ـ٨٤ .

الكتاب آملين من الله تعالى ان يلهمنا ما هو خير لنا ولاخواننا في المبدا والمآب ، وقد تم تنميقه بقلم مؤلفه الفقير الى الله الكبير ابي الفضل الجرفادقاني الايراني في غرة ربيع الثاني سنة ١٣١٦ من السنين الهجرية في القاهرة المعزية .

# الحجج البهية

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الابرار اني احمد اليكم ربنا البهي الابهى ، واتحف افضل التمجيد والثناء على جماله الانور الاقدس العلي الاعلى ، واصلي واسلم على الفرع الكريم ، المنشعب من الدوحة العلياء ، السدرة المباركة المغروسة في قطب جنة المأوى مولى الورى ومليك قلوب اولي النهى ، لا زالت قلوب الاخيار متوجهة اليه ورقاب الابرار خاضعة لديه ، ما دامت الشمس بازغة من السماء وطيور القدس مغردة بأناشيد الحمد والثناء .

وبعد فقد صدر مثال كريم من الساحة المقدسة ان اصنف لكم كتابا في حل رموز الكتب المقدسة السماوية ، وتفسير غوامض آيات الصحف المطهرة الالهية ، فأكشف عن مخبآتها وأبين معاني استعاراتها وافتح ختومها ورموزها واظهر مخازنها وكنوزها ، لتتلألأ جواهر اسرارها وتتجلى فرائدها وابكارها . فلعمركم ايها البررة الكرام لقد هزني واطربني ذلك الخطاب المجيد ، وقواني وشجعني وصول هذا المثال الحميد على القيام بامتثال هذا الامر المبارك الرشيد ، وتذليل صعوبات جمة تحول دون تحقق هذا العمل الخطير السديد ، فان تلكم الزّبر والاسفار والصحف والآثار جميعها اناشيد تغردت بها طيور القدس في محامد ربنا الابهى ، ومزامير تغنت بها ورقاء الانس في علائم ظهوره الاحلى ، ومثاني وآيات نطقت بها ألسنة الانبياء في اشراط ساعة قيامته الكبرى، واغان شدت بها في مجامع اهل التقديس للتنصيص على مشرق انوار عهده وميثاقه الاعز الاعلى ، فما اطيب

ذكرها وتقديرها والذ حلها وتفسيرها وما ابهى رسمها وتحبيرها واحلى شرحها وتعبيرها ، اذ هي ميقات انقضاء الدهور واشراق آفاق الارض مشارقها ومغاربها بأنوار الرب الغفور ، وتبديل الظلمات بالنور والاحزان بالسرور والحبور ، وبها تفرح القلوب وتطمئن النفوس وتقر الاعين وتنشرح الصدور ، فها نأخذ القلم ونشرع في المقال متكلين على الله تعالى في جميع الاحوال ، ونتضرع الى حضرته العلية ان يسهل علينا ختم هذا الامر الجليل ، واتمامه في اسرع حال واكمل مثال ، ونقدم بين يدي احبائنا مقدمات لتكون لهم عونا على فهم تلك المعاني المخزونة المكنوزة والمقاصد المختومة المرموزة من قديم الدهور والاجيال .

## المقدمة الاولى

( في بيان معنى يوم الله وتحقق الساعة الكبرى على وجه الاجمال )

يا اهل البهاء واصحاب السفينة الحمراء ، اعلموا ايدكم الله تعالى بروح منه انكم لو سرحتم انظاركم في الكتب السماوية وامعنتم التبصر في بشارات الصحف المقدسة الالهية لترونها متفقة في التبشير بمجيء يوم الله والاخبار بورود ساعة يتجلى فيها وجه الله فيتنور بمجيئه اقطار الارضين والسماوات ، ويتبدل بقيامه جميع الاوليات وتزول وتمحى به كافة المحن والبليات ، وخلاصة ما جاء في تلك البشارات هي انه لما عمّ الجور والظلم في جميع العالم ، واشتد الحرج والضيق في جميع الامم واتسعت وتفاقمت اختلافات المذاهب والاديان، وتضعضعت وانفطرت سماء عبادة الرحمن واشتد كلب الناس في اغتصاب النفوس والاموال وعمت الشدائد والاهوال ، حينئذ يقوم مبشر الهي وينزل روح مقدس سماوي ، فينادي باقتراب ظهور الرب الموعود ويبشر



بقرب طلوع نير جماله المحمود ، فيمهد الطريق ويقرب القلوب ويشفي الصدور ويزيل الكروب ، ثم يقوم الرب المجيد وينادي نداء يزلزل اركان هذا الصرح المشيد ، ويصرخ صراخا يملأ ارجاء هذا الفضاء الرحيب ، ويدعو الامم في شرق الارض وغربها الى الله العزيز الحميد ، ويشرّع لهم الشرع الجديد وينهج لهم المنهج الواضح السديد .

ثم بعد غروب شمس جماله وركود نسيم وصاله يقوم الفرع الكريم المنشعب من دوحة ذاته ، ويطلع البدر الساطع من افق سماء افضاله ويجلس على كرسي جلاله وينشر انوار دياناته ، ويبني هيكل عبادته وينفذ كلمته المقدسة في جميع الآفاق ، ويتم اشراق الارض بنور ربها في يوم التلاق . فبقيام تلك النفوس الالهية واشراق تلك الانوار السماوية ، تنقشع سحب العقائد الخرافية وتتجلى دراري الحقائق العلمية فيزول به اختلاف الاديان وتتحد الامم على عبادة الرحمن ، وتمحق وتمحى به عبادة الشيطان ويجدد الرب يومئذ كل الاشياء ، فتتغير به الامور في جميع الانحاء فتبتهج بـه اقطار الارض ، وتعم المعارف والعلوم والمهن والفنون بين جميع الخلق ، وتتقارب ابعاد العالم وتتآلف القبائل والامم فتزول الاحن والاحقاد الكامنة في الصدور ، وتعم المحبة والولاء والتقرب والاخاء بين الجمهور وتبتهج النفوس من مرور نفحات السرور وتطرب القلوب بهبوب نسائم الحبور ، ويبيد الرب بقدرته آثار الظلم والجور والطغيان وينشر مآثر العدل والانصاف والاحسان ، فيقضي بين الامم وينصف للشعوب ويهذب النفوس ويؤلف بين القلوب ، فينصرم عهد الغارات وتنقضي ايام الحروب ، فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل ، فلا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يثير قوم على قوم حربا .

وخلاصة القول انه تمر نفحات النشور وتهب نسائم الحياة فتحيا الاموات ، وتزول الظلمات الاوليات وتتألق أنوار الفضائل الحقيقية وتسمو المعالم الانسانية في جميـع الجهات ، وتشرق اقطـار الارض مشارقها ومغاربها بأنوار رب الارضين والسماوات ، هذه هي بعض خصائص يوم الله والمـآثر المحتومة في عصر ظهور الله ، تلوناها عليكم واتحفناها اليكم . ولو تنظرون اليها بنظر التبصر والامعان لترونها حقيقة واضحة منصوصة في جميع الصحف والاسفار ، مكتوبة بقلم الله تعالى في سابق القرون والاعصار ، والعقل المنير يحكم ايضا بوجوب تحقق تلك الوعود وبلوغ العالم الى غاية الصعود ، فان عالمنا هذا كما انه كرويّ من حيث الصورة والخلقة والحركة الوضعية، كذلك كرويّ بحركته الطبيعية من حيث الصعود والنزول والتقدم والتأخر والترقي والانحطاط الى ان يأذن الله له بالزوال ويقضي عليه بالاضمحلال ، وهذا هو ما عبر عنه المتألهون بقوسي الصعود والنزول لدائرة الانشاء ، والفلاسفة بناموسي الانحطاط والارتقاء .

فلما كان العالم في دهرنا هذا على سلم الارتقاء كما هو مسلم عند الفلاسفة والحكماء ، فلا بد له من الوصول الى نقطة الاعتدال وصعوده الى اعلى درجـات الكمال ، وحاشا الحكمة الالهية والقدرة الباهرة الربانية من ان تترك اوراق كتـاب الكون منثورة ، وصحيفة الخلق مبتورة وارض القابليات بائرة واشجار الانسانية غير مثمرة ، فلا بد من بلوغ نوع الانسان الى المقصد الاسنى والغاية القصوى والرتبة العالية والمقام الاعلى ، وهذا ما عبرت عنه الحفظة بالنشأة الاخرى .

ثم لو سرحتم انظاركم يا أهل البهاء الى آفاق الخلق لترون ان اقطار العالم القديم بأجمعها من مـدة مجهولة الابتداء كانت مغمورة



بالعبادات الباطلة الوثنية من صابئة وبوذية وبرهمية ، وكانت ظلمات الاوهام والخرافات مستولية على كل الانحاء ، وغبرة العقائد والعوائد الباطلة متراكمة على جميع الارجاء ، لان الامم المذكورة لما جهلت المعاني المقصودة الاصلية من الالفاظ الواردة في الكتب السماوية مـن قبيل الصعود والنزول والعود والرجوع والسماء والارض والشمس والقمر والنجوم والبعث والحشر والموت والحياة وكثير من امثالها مما دارت على ألسنة الانبياء منذ القدم ، ولهج بها لسان الله منذ تأسيس العالم وحملوا تلك الالفاظ على المعاني الظاهرية ، وقعوا في وهدة العقائد الخرافية والعوائد الباطلة الوثنية ، من قبيـل تناسخ الارواح وتبدل الاشباح وعبادة النجوم والحيوانات والاشجار واستخدام الجن وتسخير الارواح وغيرها من الاعمال المهلكة والعقائد المدمرة ، كما هو معلوم للمؤرخ البصير والمتفحص الاثريّ الخبير ، فكأنما كانت ظلمات العقائد الوهمية الخرافية مستولية اذ ذاك على كل الاطراف ، وغمام العوائد المهلكة وقتام الافعال المدمرة متكاثفة على جميع الآفـاق ، وستائر الشبهات مسدولة على كل الاكناف ، فكانت الارض في الطول والعرض مغمورة بظلمات بعضها فوق بعض ، لذا عبر الانبياء عليهم السلام عن تلك المدة الطويلة بالليلة الليلاء وعن مدة زوالها بالضحى والنهار اذا تجـلى .

وكان السيد العظيم موسى الكليم اول من قام في ذاك الليل المظلم البهيم ، وبشر شعب بني اسرائيل بانقضاء هذا الليل الطويل وورود يوم الله الجليل ، وعرّفهم وحدانية الله وعلمهم كيفية عبادة الله ورسم في قلوبهم انتظار مجيء يوم الله ، وبيَّن لهم آثاره وآياته واشراطه وعلاماته ، وظهر في تلك الايام الغابرة ابراهيم الملقب بزردشت في اقطار

ايران وعلّم الامة الفارسية عبادة الرحمن ، وازال من بينهم عبـادة الاوثان وبشرهم بورود الساعة ، وذكرهم بمجيء القيامة وبين لهم علائمها واشراطها واظهر لهم ميعادها وميقاتها ، الا انه صرح لهم بأن شمس جمال الموعود تطلع من الآفاق الشرقية والشجرة المباركة انما تنبت من الدوحة الاثيلة الفارسية ، ولكن لما كانت الظلمة اذ ذاك غالبة على النور وساعات الليل البهيم بعيدة عن مطلع الظهور ، دخلت العقائد الباطلة الوهمية والعبادات المهلكة الوثنية ايضا بين الامة العبرية والملة الفارسية ، فهذه مزجت عبادة الله بعبادة النار وتلك خلطت ديانـة التوحيد بعبادة الاوثان ، فامتزجت ملوك يهوذا وافرائيم بالامم العريقة في الوثنية ، كالامم المصرية والفينيقية والآشورية والكلدانية واليونانية حسب استيلائهم على بلاد فلسطين وسكانها ، فانقاد العبريون لقوانين تلك الدول واطاعوا سلطانها واتبعوا شيطانها وعبدوا اوثانها ، الا ان انبياء بني اسرائيل كداود واشعيا وارميا ودانيال وزكريا وأمثالهم عليهم السلام ، كانوا في مدة ألف وخمسمائة عام يذكّرون الشعب بمجيء يوم الله ويجددون في قلوبهم آمـال ظهور الله ، فكانوا في دورهم كنجوم بازغة متألقة في اقصى افق السماء او كسرج مشتعلة مضيئة في الليلة الكالحة الظلماء ، وتتابعت الاجيال على هذا المنوال الى ان قام المنقذ المخلّص الجليل ، وطلع النجم الدري من أفق بلاد الجليل وتألق كوكب الابن بين احفاد الخليل ، وارتفعت نغمات الانجيل واقـترب حلول المصائب على بني اسرائيل فقام سيدنا عيسى له المجد والعلى ، ونادى بأعلى النداء « **توبوا فقد اقترب ملكوت الله** »(١) تنبهوا واصحوا فقد دنت ساعة مجيء سلطنة الله ، « **طوبى لاصحاب القلوب النقية فانهم**

(١) انجيل متى الاصحاح الرابع الآية ١٧ .



**يعاينون الله ، طوبى لصانعي السلام فانهم يدعون ابناء الله** »(١) . وهكذا مدة ايام حياته كان يذكّرهم بقرب ورود اليوم الموعود ويجدد ويقرر ما بشر به انبياء بني اسرائيل من علائم ظهور جمال المعبود ، الا انه بشرهم بأنه يومئذ يجلس على يمين عرشه ، ويتولى انفاذ امره ويستولي على كرسي مجده ويصير راعي اغنامه باذنه، فكان اله المجد مناديا باقتراب الساعة العظمى والقيامة الكبرى ، الى ان صعد الى الرفيق الاعلى فقام القديسون على انفاذ امره واعلاء كلمته ، حتى تنورت من انوار امره الاقطار الاروبية وتطهرت تلك الارجاء عن ادران الوثنية ، وتتابعت الايام نحوا من ستماية عام الى ان انفجر ضياء الصبح مـن الآفاق العربية ، وانتشر نور الفلق من الاقطار الحجازية فظهر اعظم اشراط الساعة وتجلت اكبر آيات القيامة ، فقام خاتم الانبياء وسيد الاصفياء عليه التحية والثناء والنور والبهاء ، ونادى بأعلى النداء « **اتى أمر الله فلا تستعجلوه** »(٢) وارتفع صوت من السماء « **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** »(٣) ، فصرح بانقضاء الليلة الليلاء واقتراب طلوع شمس الحقيقة من الافق الاعلى ، فاهتدى بنور كلمته وقوة رسالته امم عظيمة وشعوب كبيرة من اقاصي افريقيا الى الشرق الاقصى مـن الذين كانوا لا يعرفون شيئا من التوحيد ، ولم يذوقوا رشحة من معين التفريد وكانوا ينكرون الانبياء ويكذبون الاصفياء ، فأخرجتهم الكلمة المحمدية والشهادة النبوية من ظلمة الوثنية الى نور عبادة الله ، ومن انكار الانبياء الى الايمان بهم من آدم الى عيسى روح الله ، وبشرهم بمجيء يوم الله واخذ منهم عهد نزول الروح من سماء امر الله ، ولكنه

(١) انجيل متى الاصحاح الخامس الآية ٩ـ١٠ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل الآية ١ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة الانبياء الآية ١ .

عليه السلام صرح ونص على ان المهدي الذي يقوم قبل نزوله ، ويهيء له الطريق قدام مجيئه انما يظهر من العترة الطاهرة النبوية ويتولد من السلالة الكريمة العلوية ، فيملأ الله به الارض قسطا بعدما ملئت ظلما وينور به الآفاق عدلا بعد ما أظلمت جورا ، فدونت به كتب الاخبار والبشارات وملئت الصحف من العلائم والامارات ، ودارت ارض المعارف على هذا المحور مدة ألف ومائتين وستين عاما الى ان دنت الساعة وجاء الميقات فطلع نجم الهدى واشرق كوكب التقى وانفجرت ينابيع العلم في أطيب ارض من الاراضي الشرقية واشتعلت سدرة الفضل في مدينة شيراز حاضرة المملكة الفارسية ، فقام الباب الاعظم وبشر القبائل والامم ونادى بانقضاء الليل البهيم واخبر وصرح بورود يوم الله الرهيب العظيم ، فارتفع النداء بين الارض والسماء بشرى بشرى فقد تنفس صبح الهدى وعسعست الليلة الليلاء وحان طلوع جمال الله الابهى ، وجاء ربيع رجوع الحقائق في النشأة الاخرى ، فاضطربت الآفاق من هذا النداء الاحلى وقامت القيامة من هذا النبأ الاعلى ، فهبت عواصف الظلم وهاجت زوابع الحقد في صدور اهل العلم ، فأطفئت الشعلة النورانية وانقطعت النفحة الروحانية واستشهد جمال الرحمان في مدينة تبريز حاضرة آذربايجان بفتوى نفس اثيمة شيطانية ، فبدت مصائب ومحن وظهرت احقاد واحن واشتدت اعاصير الفتن ، حتى جاء الميقات وبدت آيات ورود « **يوم الله** » في كل الجهات ، حينئذ طلعت شمس جمال الموعود واشرق واضاء نيّر وجه المعبود ، واتت الساعة وقامت القيامة ونفخ في الصور ولاح فجر الظهور ، فقام بهاء الله الابهى وظهر جمال الله الاعلى ونادى بنداء ملئت منه الآفاق وارتعد السبع الطباق ، قد اتى الرب الموعود وظهر الجمال المعبود ، وطلع يوم الله المعهود وجاء أمره المبرم المحمود ، ونزل الرب في ظلل



السحاب واشرقت الارض بأنوار وجه ربها الوهاب ، وامتد الصراط ووضع الكتاب وزال الحجاب وكشف النقاب ، فهطلت امطار الآيات وازهرت واورقت غصون العلم في كل الجهات وقام الاموات وحشرت الرفات ، فجرت من قلمه الاعلى انهار المعارف والعلوم وفك بأصابعه الكريمة ختم الرحيق المختوم ، فبيَّن في ألواحه المقدسة حقائق كلمات الانبياء وكشف في صحفه المكرمة معاني استعارات الاصفياء ، حتى انفض جميع اختام المرسلين وظهرت لاصحاب القلوب النقية حقائق مقاصد النبيين ، وشرع شرعا جديدا تجتمع عليه القبائل والملل ، وابدع امرا مجيدا تآلف به اصحاب الاديان والنحل ، فأمر اولياءه واحباءه بمحبة كل الامم وحثهم على خدمة جميع اهل العالم ، وشرع لهم كيفية العبادات من قبيل الصوم والصلوة والحج والزكاة وغيرها من المناسك والعادات ، ونهاهم عن المعاصي والموبقات من قبيل القتل والزنا والسرقة والغيبة والكذب والافتراء وغيرها من المنكرات والمكروهات ، وامرهم بالرضوخ لقوانين الدول فحرضهم على اطاعة الملوك والامراء واحترام الخيرة من العلماء ، وحثهم على تعميم المعارف وتربية اولادهم من الاناث والذكور ، ونهاهم نهيا اكيدا عما يحدث الجفاء والنفور بين الجمهور ، فمنعهم عن السب واللعن والشتيمة والنزاع والجدال وعن كل ما يوجب تشتيت القلوب وتتكدر به النفوس ، حتى نهاهم عن حمل السلاح بدون اذن الحكام وعن كل ما يحدث الخلل في النظام .

وفي اواخر أيامه كتب بأنامله الكريمة « **كتاب العهد** » ونص وصرح فيه على مركز الميثاق ، وهدى الشعوب الى نير الآفاق وحرض اولياءه فيه ثانيا على محامد الاوصاف ومكارم الاخلاق ، حتى اوجد في أوليائه نفوسا طيبة مهذبة ، واظهر في سماء امره نجوما بازغة مشرقة،

وهكذا هطلت غيوث آياته وتتابعت امطار ألطافـه الى ان دنا أوان الاغتراب وتوارت شمس الحقيقة في حجاب الغياب ، وصعد الرب الى مقر عزه الاقدس الاعلى وغابت حقيقته المقدسـة في هويته الخفيـة القصوى ، وكانت هذه الحادثة القاصفة والنازلة القاصمة في ثاني شهر ذي القعدة من سنة ١٣٠٩ من السنين الهجرية والتاسع والعشرين شهر ايار من سنة ١٨٩٢ من السنين الميلادية . فلما غربت شمس الهدى وسكن حفيف سدرة المنتهى ، طلع نير الميثاق وبدا بدر العهد في غاية السطوع والاشراق ، وقام الفرع الكريم ، المنشعب من الاصل القديم لانـفاذ كلمة مالك يوم التلاق ، وهو يصيح وينادي في جميع الآفاق اتى اتي أمر الله اجيبوا اجيبوا داعي الله ، اسمعوا اسمعوا نغمات الله تعرضوا تعرضوا لنفحات الله ، تنوروا تنوروا من انوار وجه بهاء الله ، قد تم وعـد النبيين وكملت بشارات المرسلين وجـاء « **يوم الدين** » وقام الناس لله رب العالمين .فلما هبت نسائم العهـد وارجت وفاحت نفحات الميثاق ، وتطايرت الصحف المطهرة وانتشرت وتناثرت في جميع الآفاق انتثار اوراق الورد في الربيع وانتشار النور في الاشراق ، فأحييت النفوس وانشرحت الصدور وآمنت الربوات والالوف وقام من في القبور ، حينئذ بدت علائم النقض في وجوه اهل النفاق ، وظهرت طلائع النكس في صفوف اصحاب الشقاق ، فالتفت الساق بالساق وغارت الاعين في الاحداق وطالت الاعناق بالنعاق ، فسقطت نفوس واقتضبت غصون في هذا المساق فامتازت اصحاب الشمال من اصحاب اليمين وتميز السجّين من العليين ، وافترق اصحاب الشبهات من اهل اليقين فطوبى للفائزين وبشرى للموقنين .



ثم لو سرحتم انظاركم يا اهل البهاء واصحاب الوفاء مرة اخرى في نفس بشارات الانبياء وكلمات الاصفياء ، لترون ان جميع من ذكرنا اسماءهم قبل ظهور بهاء الله من سيدنا موسى الى الباب الاعظم ما ادعى احد منهم ان ظهوره هو ظهور الله المزمع ان يأتي ويصالح العالم ، ويومه هو يوم الله الموعود لاتفاق القبائل والامم ، نعم ان الانبيـاء والرسل كما سنوضحه في مبحث التوحيـد ان شاء الله تعالى كلهم مظاهر حقيقة واحدة ، الا ان المناط في خصائص كل نبي او مظهر من مظاهر امر الله انما هو مشخصاته الخصوصية وهو مقام الظهور لا البطون ، ومقام التجلي لا مقام الذات حيث ان الذات غيب في حقيقتها غير مدركة في كنهها وماهيتها ، فلا بد من ان ينظر الطالب المجاهد في فهم هذه المسألة فيما اظهره كل نبي لبيان مقامه في كتابه وخصص لنفسه من اسمائه والقابه ...

## المقدمة الثانية

( في بيان معنى التوحيد واختلاف الملل في فهمه وطريق اثباته )

يا اهل البهاء نوّر الله بصائركم بالانوار الساطعة من بهاء وجهه ، اعلموا ان الامم بأجمعها اتفقت في الاعتراف بوحدانية ذات الله تعالى وان اختلف العلماء في فهم معناها وبيان مفهومها ، فان الامم الوثنية معترفة ومعتقدة بوحدانية الله تعالى وفردانيته ، كما تعتقد وتعترف بها الامم اليهودية والنصرانية والاسلامية ، فانكم لو تسألون اي بوذي او برهمي او صابئي من الامم الوثنية عن الله تعالى ليجيبكم بلا تأمل وتلعثم بأن له الها واحدا جامعا لجميع اوصاف الكمال ، منزها مقدسا عن جميع صفات النقص ، وان اوثانهم ومعبوداتهم ليست الا مظاهر

تلك الذات المقدسة، ومطالع تلك الحقيقة الواحدة، ووسائط الاستفاضة من الفيوضات الالهية ، وروابط العبادة للهوية الغيبية ، وتلك الاوثان والمعبودات كما يعرفه علماء الآثار والاكتشافات ليست الا رسوم رجال قاموا في الازمان الغابرة وشرعوا دينا او عملوا عملا جليلا لتلك الامم العتيقة ، وقد وضعت فلاسفتهم وعلماؤهم او كهنتهم وفقهاؤهم اولا تلك الرسوم والتماثيل في معابدهم وبيوتهم تذكارا لهم وتخليدا لذكراهم ووفاء لحقوقهم واكراما لنفوسهم ، فانتهى الامر اخيرا الى ان ادخلوا زيارتها واحترامها في عباداتهم وصارت عبادتها ركنا عظيما في دياناتهم . ثم اختلقت بطول الازمان اوهامهم لها ولعبادتها امورا عجيبة وخواصا عظيمة من الآثار والكرامات ، كما هو الشأن عند عوام كل المذاهب والديانات ، وخلاصة القول ان تعدد الالهة عند الوثنيين لا ينافي اذعانهم بوحدة ذات الله تعالى ، كما ان تعدد الاقانيم عند النصارى لا ينافي اذعانهم بوحدانية الله تعالى وفردانيته ، فان الامم النصرانية متفقة على الاذعان بوحدة ذات الله تعالى مع اذعانهم بتعدد الاقانيم واختلافها في الاسماء والمفاهيم .

ويظهر من الكتب المقدسة ان الصابئة الاولى كانوا يعبرون عن الرجال الروحانيين عندهم بالالهة ، وبعبارة اوضح ان من يعبر عنه النصارى بالقديس والمسلمون بالولي كانت الصابئة تعبر عنه بالالهة ، فالمقصود والمعنى من لفظ الالهة عند الوثنيين هو عين معنى لفظ القديسين عند النصارى واولياء الله عند المسلمين ، ويدل على ذلك ما جاء في الاصحاح الثامن والعشرين من كتاب اعمال الرسل ان حية التفت بيد بولس الرسول في جزيرة مالطة ، فلما لم يتضرر بولس من لسعتها قال فلاحو الجزيرة هو اله ، يعنون انه ولي من اولياء الله او قديس من



القديسين ، حيث شاهدوا منه هذه الكرامة الواضحة او الاعجوبة الظاهرة كما هو الشأن عند اهل القرى والارياف في ازماننا الحاضرة . ويشير الى هذا المعنى ما جاء في الآية الاولى من مزمور ٨٢ من مزامير داود حيث قال **« الله قائم في مجمع الله في وسط الالهة يقضي »** يعني ان الله تعالى يقوم ويحكم ويقضي في مجمع القديسين ، وهذا منطبق تمام الانطباق على ما جاء في مواضع شتى في الكتب المقدسة من ان الله تعالى يظهر في ربوات قديسيه كما سيوضح ان شاء الله ، وكذلك ما جاء في الآيتين السادسة والسابعة من هذا المزمور **« انا قلت انكم آلهة وبنوا العلي كلكم ، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون »** ، وهذه الآية ايضا صريحة في ان المراد بالالهة هو القديسون ، فان تفسيرها هو ان الله تعالى اراد ان يكون الذين اصطفاهم لنفسه من اهل التقوى والتقديس ، واختارهم ليكونوا من اوليائه واصفيائه ، الا انهم سقطوا في الامتحانات بسبب انهماكهم مثل سائر الرؤساء في المهلكات والموبقات ، والمراد من الآية المباركة رؤساء الفئة الناقضة وقادة اصحاب الشمال الى هاوية الضلال ، فانهم دعوا ابناء الله واصطفاهم ربهم لنفسه في يوم الله الا انهم سقطوا في عهد الله ، وانما تكلم داود عليه السلام في هذا المزمور للاخبار عن حوادث ظهور الله ، ونزلت آياته في شئون يوم الله كما تدلكم عليه الآية الاخيرة من هذا المزمور حيث قال **« يا الله قم ودن الارض فانك انت ترث جميع الامم »** . فمما بيناه ظهر جليا ان لفظة الالهة عند الاقدمين كانت تطلق على معنى القديسين عند النصارى وعلى اولياء الله عند المسلمين ، وانما دخلت في آيات الكتب المقدسة ودارت على السنة انبياء بني اسرائيل ايضا في بعض المواضيع كما ذكرناه من عبارات

الزبور ، لانها كانت اذ ذاك من اللغة الغالبة والمصطلحات الشائعة بسبب غلبة الامم الوثنية والملة الصابئية ، وكلمات الله تنزل دائما على لسان القوم لتعميم الفائــدة كما هو ظاهر لاولي الالباب ومن عنده علم الكتـــاب .

والامة الاسرائيلية في اوائل دورتها وبدء نشأتها اطلقت لفظ النبي على رؤسائهم الروحانيين لما كان شائعا اذ ذاك مــن تأويل الاحــلام والاعتماد على ما ألهموا به في المنام ، فان تلك الايام الغابرة كما ذكرناها في المقدمة السابقة كانت من تراكم العقائد الخرافية وظلمات معتقدات الوثنية والبداوة الطبيعية في النشأة الابتدائية كالليل المظلم والديجور الحالك ، حيث كانت الديانات الوثنية مستولية في تلك الايام على جميع الممالك والقارات ، فكانت الظلمات مسدولة على جميع اقطار الارض ما عدا فلسطين من البلاد السورية ، فانها كانت اذ ذاك مغرس دوحة النبوة والرسالة ومبعث نور التوحيد والهداية وبسبب استيلاء الظلمة على جميع اقطار الارض كان الانبياء يعبرون تلك الايام بالليل المظلم من ادوار عمر الدنيا ، فاستعاروا لها لفظة **الليلة الليلاء** واطلقوهـا عليها في كلماتهم في مواضيع شتى ، وبهذه المناسبة ايضا كان الوحي والالهام ينزل عليهم في الرؤيا ، فأخذ تفسير الرؤيا وتأويل الاحلام دورا مهما في تلك الايام حتى اطلقوا على النبي لفظ **الرائي** ، كما يظهر جليا مــن مواضيع مــن الكتب المقدسة فصارت لفظــة **النبي** اسمـــا ولغة شائعة وحقيقة ثانوية لمن كان يرى الرؤيا في الامة الاسرائيلية ، ومنهم انتقلت الى الامة العربيــة وشاع وذاع استعمالها في الديانة الاسلاميــة .

فمما قلنا ظهر جليا ان الفاظ الالهة عند الوثنيين والانبياء عنــد



بني اسرائيل والقديسين عند النصارى والاولياء عند المسلمين ، انما اطلقت واستعملت لمعنى واحد وهو الرؤساء الروحانيون الذين اعتبرتهم الامم المذكورة اقرب الناس الى الله تعالى واكثرهم حظوة وقربا لديه جــلّ وعــلا .

فاذا علم ان الامم اتفقت على وحدانية الله تعالى وان الالهة أو الانبيــاء والقديسين والاولياء على اختــلاف اللغــات والتعبيرات والإصطلاحات ، ما كانوا الا وسائط ايصال الفيوضات الروحانية من الحقيقة الواحدة الالهية ، وبعبارة اوضح ان هؤلاء الرؤساء لم يكونوا الا مظاهر القوة التشريعية السماوية بين الهيئة الجامعة البشرية ، فليعلم ان فرق العلماء من كل امة تفننوا في بيان تلك الوحدة الذاتية للحضرة الالهية ، واختلفوا في طرق اثباتها بالادلة العقلية او النقلية او الالهامية . اما الفلاسفة والحكماء من كل امة فقد اعتمدوا في اثبات وجود الواجب تعالى ثم اثبات وحدانيته وفردانيته على البراهين العقلية والقياسات المنطقية، والمتكلمون واصحاب علم اللاهوت اعتمدوا على الادلة اللفظية والقياسات الخطابية المأخوذة بزعمهم مــن الكتب السماوية كاعتماد احبار اليهود على عبارات التوراة ، واصحاب علم اللاهوت من النصارى على عبارات **الانجيل** ، وعلماء الكلام من المسلمين على عبارات القرآن ، وكذلك سائر الاديان والملل والمذاهب والنحل ، اذ لم يوجد دين من الاديان الا صرحت صحيفته السماوية بوحدانية الله تعالى وفردانيته وعلوه وتقديسه عن مشاركة مخلوقاته ومجانسة مبروآته ، الا ان تلك الادلة العقلية او اللفظية التي اعتمد عليها علماء الملل في اثبات وجود الباري تعالى ووحدانيته وفردانيته ، لو فرضنا ان لها تأثيرا واعتبارا في اثبات مقصودهم وسلمنا بأنها تبرهن على حقية مطلوبهم ، لا تخرج عن حد الدلالة على وجود مطلق غير معين ، وبعبارة اوضح ان تلك الادلة

والبراهين لا تفيد العلم بالله بل تفيد العلم بوجود الله تعالى ، والعلم بوجود الله غير العلم بالله عزّ وجلّ ، والفرق بين العلم به تعالى والعلم بوجوده ظاهر لدى اهل النظر ، والتفاوت الفاحش بين اصحاب هذين العلمين واضح عند اصحاب البصر ، فان مثل العالم بوجود الله تعالى وهو غير عالم بالله انما هو كمثل انسان عالم موقن بوجود حجر كريم اسمه الياقوت ولكنه لا يعرف الياقوت اصلا ولا يميز بينه وبين سائر الاحجار ، ولربما ينخدع هذا ويشتري حجرا دانيا رخيصا او زجاجة ملونة بدل الياقوت ، ومثل العالم بالله كمثل من يعرف الياقوت حق المعرفة ويميز بينه وبين سائر الاحجار حق التمييز ، فلا يمكن ان يغتر بتمويه الاشرار ولا ينخدع من الباعة والتجار ، ولذلك كثيرا ما ضلت اقوام وانخدعت امم فاتخذت الشياطين اولياء وعبدت الطاغوت وكذبت الانبياء ، فانه ما عبد الشيطان قط الا باسم الرب تعالى كما انذرت به الآيات النازلة في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر متى ، وصرحت به العبارات الواردة في الاصحاح الثاني من الرسالة الثانية لبولس الرسول الى اهل تساليا .

واما اهل البهاء واصحاب السفينة الحمراء الذين درسوا فنون حقائق التجريد من آثار القلم الاعلى ، وتلقوا دروس التفريد من حفيف سدرة المنتهى وتعلموا مسائل التوحيد في غرف مدارس الفردوس من ألحان ربهم الابهى ، يعتقدون ان الله تعالى لما كانت ذاته غيبا منيعا وكنزا خفيا ومجردا بحتا في حقيقتها وكينونتها وهويتها ، فلا يمكن ان توصف بشيء من اوصاف الخروج والدخول والصعود والنزول والتحيز والحلول والتستر والظهور والغياب والحضور والتحرك والاستقرار والمواجهة والاستدبار وامثالها من الصفات والنعوت والخصائص



والشؤون ، لان تلك الاوصاف كلها من خصائص المادة والماديات وهي مجردة عنها مباينة بالذات لها مقدسة عن الانصاف بأوصافها منزهة عن التعين بنعوتها ، فلا توصف بوصف ولا تسمى باسم ولا تشار باشارة ولا تتعين بارجاع ضمير ، اذ منزع كل الاسماء والاوصاف والخصائص والنعوت انما هو ما يشاهد بالادراكات الحسية ويدرك بالحواس الخارجية ، اذ لا سبيل للعقل في ادراك الكليات الا استقراء الافراد وتتبع حالات الاشخاص ليتصورها وينتزع منها صورا كلية ومفاهيم عقلية ، والمجرد لا يدرك بشيء من الحواس الخارجية لينتزع منها تلك الصورة الكلية ، فاذا استحال ادراك المجرد بالحواس فيستحيل ويمتنع على العقل ان يعين له رسما مخصوصا ويخصص له اسما او وصفا معلوما ، فيرجع كل ما يتخيل في هذا المقام الى الاوهام الخيالية لا الى الحقائق القطعية والادراكات الواقعية ، ولذا جاء في كلمات بعض أئمة الاسلام من فروع الدوحة النبوية تبكيتا للذين كانوا يتكلمون في الذات الالهية **« كلما ميزتموه بأوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم ومردود عليكم »** ، فاذا ثبت انسداد طريق معرفة الذات واستحالة البلوغ الى ادراك كنهها ، فقد خلق الله تعالى لظهور تلك الذات المقدسة والحقيقة المجردة نفسا كريمة من النفوس البشرية ، وخصص لبروز انوارها وآثارها جواهر نفيسة من الجواهر المقدسة الانسانية ، ليكون عرشا لسلطان ذاته وأفقا لاشراق انوار تجلياته ومظهرا لمكنون حقيقته ومظهرا لغيب هويته ومنزعا لاسمائه وصفاته ولسانا لتنزيل وحيه والهامه ومصدرا لشرائعه واحكامه وصادعا بآياته وبيناته ومبلغا لاوامره ورسالاته ، وبه يظهر في الرتبة الاولى والمقام الاول علم الله وحكمته وقوته وقدرته وسلطنته وعظمته ووحدانيته وفردانيته وارادته ومشيئته وجماله وجلاله وفضله وكماله

ورحمته وافضاله ، فهو المسمى بجميع الاسماء العزيزة النازلة في الكتب الالهية والمقصود من الاناشيد النبوية المضبوطة في الصحف السماوية ، وهو روح الله النازلة وكلمته الغالبة ووجه الله الناظر ويده المبسوطة ولسان الله الناطق وعينه الناظرة ، وهو اللوح المحفوظ والقلم الاعلى والافق المبين والمنظر الابهى ، وهو العرش العظيم والكرسي الرفيع وجنة المأوى وسدرة المنتهى « **واياما تدعوا فله الاسماء الحسنى** »[١].

ولا بد ان يكون هذا الشخص المكرم والانسان المفخم والجوهر المصون والاسم الاعظم كما اتت به الرسل والانبياء موجودا في كل قرن وزمان ودور وأوان ، ليكون هيكل عبادة الله وواسطة معرفة الله لئلا تبطل حجج الله وبيناته وبراهينه وآياته ، ولا يخفى سبيل التوحيد والتفريد ولا ينقطع عرف الانقطاع والتجريد ، ولا ينسد باب الايمان والايقان ولا ينتهي عاقبة نوع الانسان الى الهمجية والخسران ، والعقل الصريح يحكم بهذه الحقيقة ايضا اذ لا يعقل التعطيل في صدور الافعال عن المجردات ويستحيل صدور الفعل عن المجرد الا بآلية الابدان العنصرية ، كما هو ظاهر على من له المام بالبراهين العقلية واوتي بصيرة نيرة في المعارف الالهية والطبيعية ، ولا ينافي الوحدة الذاتية تعدد مظاهرها فلا تتعدد الشمس بتعدد مطالعها كما لا يتعدد روح فرد من افراد نوع البشر بتكثر بدنه وتغيير جسمه وتبديل جوهر اعضائه في ادوار طفولته وشبابه الى كهولته وانحطاطه ، اذ المناط في تحقيق الهوية وثبوت الفردية هو وحدة الروح لا الجسد كما ذكرنا انه ليس للاجساد الا حكم الآلية للذوات ، فلا تتكثر ذات الله تعالى بتكثر التجلي ولا تتعدد الحقيقة الواحدة بتعدد ظهورها في تلك المظاهر العليا ، فالمراد

(١) القرآن الكريم سورة الاسراء الآية ١١٠ .



من التوحيد هو معرفة تلك الذات الواحدة في المظاهر المتعددة ، والمقصود من الايمان والتفريد هو الاستنارة من شمس الحقيقة المنفردة في المشارق المتكثرة ، ولذلك ترى في الكتب المقدسة كثيرا ما اعتبرت تلك المظاهر كنفس واحدة[١] باعتبار وحدة الذات والروح الالهي على تفاوتهم واختلافهم في الاسماء والاجساد والامكنة والازمان ، واعتبرت شرائعهم واديانهم شريعة واحدة ودينا واحدا باعتبار وحدة الشارع والمقنن على اختلافها في الحدود والاحكام والقواعد والآداب ، كما حكم الروح له المجد والاجلال على يحيى بن زكريا عليهما السلام بأنه هو ايليا النبي بهذا الاعتبار ، حيث قال «**وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي. من له اذنان للسمع فليسمع**»[٢] ، ومثله جاء في الاصحاح التاسع من انجيل مرقس ، وامثاله كثيرة في الصحف الاولى والى هذه النكتة يشير ما قاله ذاك الرسول المجتبى والامام المرتضى بطرس الرسول في الاصحاح الاول من رسالته الاولى حيث قال « **وقد فحص الانبياء الذين تنبئوا على النعمة البالغة اليكم وبحثوا عن ذلك الخلاص واستقصوا في ماهية وكيفية الزمان الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم اذ سبق فشهد بالآلام المسيح وبما يتلوها من المجد**» .

فانظروا ايدكم الله كيف صرح بان الروح الناطق في الانبياء هو كان عين روح المسيح له المجد والبهاء ، وهذا اظهر دليل على وحدة تلك الحقيقة الغراء وعدم تكثرها بتكثر اشراقها من تلك المشارق العليا . وبهذه النكتة ايضا تغردت ورقاء الهدى وهدرت حمامة التقى من غصون سورة الشورى بقوله تبارك وتعالى «**شرع لكم من الدين**

(١) كقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر . وقوله تعالى لا فرق بين احد من رسله .

(٢) انجيل متى الاصحاح ١١ الآية ١٤ .

**ما وصَّى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا بـه ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه))** .

فانظروا وفقكم الله كيف اعتبر في الآية الكريمة ديانات الصابئة والزردشتية والموسوية والنصرانية والاسلامية دينا واحدا ، كما اعتبر مؤسسها وشارعها الها واحدا على اختلافها في الاحكام والحدود والآداب ، كاختلاف شارعيها في الاسماء والازمان والانساب ، وليس ذلك الا من حيث ما نوهنا وصرحنا به كرارا من وحدة الحقيقة واتحاد الذات ، وليس هذا من باب التناسخ الباطل والتقمص المضحك الذي زلقت في هاويته اقدام كثير من النفوس الساذجة وتطرفت فيه جماعة من الامم الغابرة والحاضرة ، حيث ان روح الله حقيقة واحدة من جميع الجهات بخلاف الارواح البشرية والنفوس الناطقة الانسانية ، فانها متكثرة بالذات متباينة في الحقائق ، وانما يرجع من الاشياء صورتها النوعية وما يتبعها من الخواص والآثار لا الصورة الشخصية وما يلحق بها من الخصوصيات والمشخصات ، فالمقصود من رجوع الحقيقة المقدسة هو رجوع الذات الواحدة من جميع الجهات وتجلي الهوية المنفردة في كنه الذات وهي الحقيقة العليا والجوهرة الغراء مركز دائرة الاسماء وروح الله النازلة من السماء ، التي بمعرفتها تتبين حقائق الاشياء وتظهر خافية الصدور في عالم الانشاء ، فيمتاز بها المشرك من الموحد والواهم من المحقق والمحق من المبطل والثابت من الزائل ، فاذا تجلت تلك الذات المقدسة في هيكل واشرقت شمس الحقيقة من مشرق وانكرها منكر واعرض عنها معرض او جهل بها جاهل وغفل عنها غافل ، فلا يصدق عليه اسم الموحد ولا يفيده العلم بوجود ذات ما في مقام التوحيد ، اذ لم يخرج ايمانه عن حد الوهم ولا يتعدى علمه بوجود اله ما عن العلم المطلق ، ومن فهم هذه الحقيقة الدقيقة يتبين لكم سبب



عدم صدق اسم الموحد على الامم المتفرقة والاديان المختلفة مع اذعانهم باله واحد ، وكذلك يظهر الفرق بين العلم بالله والعلم بوجود الله كما اشرنا اليه آنفا وبيناه سابقا ، فان افراد تلك الامم المذكورة تنتهي معرفتهم اما الى ما خلقته اوهامهم وافكارهم في تصور ذات الله ان كانوا من العلماء والفلاسفة ، او الى معرفة واحد من تلك المشارق والمطالع الماضية ان كانوا من المقلدة والعامة .

وقد ثبت مما برهنّا عليه ان هذا المقدار من العلم لا يكفي في مقام التوحيد ولا يكتفى به في تحقق العرفان ولا تأمن النفس معه من الوقوع في حبائل عبادة الشيطان ، وكذلك يظهر لكم معنى **الرجعة** التي افتتنت بها الامم وحارت فيها عقول الملل ، اذ لم توجد امة من الامم العتيقة والموجودة الا وتنتظر رجوع نفس او نفوس من الذين كانوا في الازمان الغابرة ، ووعدوا برجوعهم في الآخرة كاعتقاد اليهود برجوع **ايليا النبي** ، واعتقاد الشيعة والمسلمين برجوع **حسين بن علي ومحمد بن الحسن العسكري** ، واعتقاد النصارى واهل السنة برجوع **المسيح** في آخر الزمان ، كما هو المعلوم لدى المطلعين بمعتقدات الاديان ، فالمقصود من الرجعة رجعة ظهور تلك الحقيقة المقدسة ومن القيامة قيام مظهرها ومطلعها بين الخليقة ومن الساعة ساعة طلوعها واشراقها بعد الغيبة .

واما الرجعة والقيامة بالمعنى الذي تعتقده وتنتظره الامم فهي امر غير معقول ، اذ هو مخالف للنواميس الطبيعية ومباين للسنن الالهية ، ولن يجدوا لسنة الله تبديلا ولن يروا للنواميس التي طبع الله الخليقة عليها تغييرا ولا تحويلا .

ويعرف ويتبين ويمتاز هذا المظهر الكريم والانسان العظيم عن

غيره من افراد البشر بظهور صفات الله تعالى منه وبروز سماته وخصائصه به ، فيظهر منه العلم والحكمة والعزة والسلطنة والقدرة والقوة والغلبة والقاهرية وغيرها من خلال الشرف ونعوت الكمال ، من غير ان يكون علمه حاصلا من التعلم والاكتساب في المدارس العلمية ولا قوته وقدرته وسلطانه وعظمته وقاهريته وغلبته مستمدة من السلطة والرئاسة الملكية او من الغنى والثروة المالية او من العصبية والرابطة القومية ، وهكذا جميع صفاته وخلاله وشمائله واحواله بل كل تلك الشمائل والصفات متجلية فيه بذاته ومتحققة بكلماته وآياته ، فيكون في جميع خلاله معجزا لغيره ومفحما ودامغا لمن يقوم بمقاومته ومجاراته ، واخص تلك الصفات واظهرها هي القوة القوية التي تظهر منه في تشريع الشرائع والاديان وانفاذها واثباتها بين اهل الامكان ، وقهر من يقاومها ويعاندها من اولي القدرة والسلطان ، وهذه هي قوة قوية ليست وراءها قوة بين الامم ، وقدرة وسلطنة جلية لا يغلبها ولن يغلبها جميع من في العالم ، اذ طالما صارعتها الملوك المستبدون فصرعتهم وقاومها العلماء والكبراء فقهرتهم ، فان محبة الدين المألوف القديم سجية راسخة في قلوب العالمين والتفاني في حفظه والتهالك في منع زواله وابداله شنشنة معروفة من الامم اجمعين ، فاذا قام فرد من افراد الناس وادعى انه رسول من الله وجاء بكتاب كريم واظهر انه كتاب الله ظهر منه ومن كتابه قوتان ظاهرتان وقدرتان باهرتان :

الاولى علم تزول به اسقام الامم حيث بدل شركهم بالتوحيد وكفرهم بالايمان وجهلهم بالعلم وجفاءهم بالالفة وبغضهم بالمحبة وخياناتهم بالامانة ، وهكذا سائر الاوصاف والخلال والاخلاق والاعمال .



والثانية قدرة يغلب بها على العالم حيث يقاومه الناس بأجمعهم حتى اقاربه وعشيرته وعصبته وقبيلته ، كما قاومت اليهود نشر الديانة المسيحية وقاومت العرب نفوذ الكلمة الاسلامية فضلا عن سائر الملل والامم والقبائل والشعوب ، حينئذ لم يبق شك في صدق دعوته وحقيقة كلمته ووجوب طاعته ولزوم اجابته ، وان قوته وقدرته مرتبطتان بالقوة القدسية ومتسببتان عن القدرة الغيبية ومنبعثتان من الذات الالهية ونازلتان من الحقيقة العلية السماوية ، اذ لا شك ان الديانة الجديدة حادثة ولا بد لكل حادث من سبب وعلة ، فاذا انتفت العلل الملكية التي ذكرناها من قبيل العلوم الكسبية او الملك والسلطنة الظاهرية او الغنى والثروة المالية او المنعة والعزة القومية ، فلم يبق شك عند كل متأمل حتى عند الفلاسفة متتبعي العلل والفواعل انها تنتهي الى علة العلل ومسبب الاسباب وهي الذات الالهية والحقيقة السماوية والرتبة الملكوتية والهوية اللاهوتية ، وهي المعبر عنها بالواجب تعالى شأنه وجلت عظمته ، فهذا الانسان الكريم الذي وصفناه وذكرناه — وهو اجل ّ واعلى من ان يوصف ويذكر — تحكي وحدته عن وحدة الله وارادته عن ارادة الله ومشيئته عن مشيئة الله وجميع اسمائه وصفاته عن اسماء الله وصفات الله ، فمعرفته معرفة الله واطاعته اطاعة الله وانكاره وتكذيبه هو عين انكار الله وتكذيب الله ، وهذا هو التوحيد الحقيقي والعرفان والتفريد الواقعي التحقيقي ، والباقي شرك المشركين واوهام المتوهمين وظلمات خيالات المتفلسفين وسفاسف افكار المنتحلين والحمد لله رب العالمين .

## المقدمة الثالثة

( في بيان الادلة والبراهين المثبتةلحقية الظهورات الالهية )

يا اهل البهاء والثابتين على عهد من طاف حوله الاسماء ، اعلموا احيا الله قلوبكم بمعين مواهبه الفائضة من الحقيقة الغراء ، ان من المسائل المتفق عليها بين الملل انه لم يزل كان في العالم ظهور حق وباطل وقيام هاد ومضل ودعوة صادق وكاذب ونداء رب وشيطان ، وبعبارة اوضح انه قام في الماضي – وربما يكون في المستقبل ايضا – رجال ادعوا انهم ظهروا باذن الله وقاموا بأمر الله ، وكانوا صادقين في دعوتهم محقين في كلمتهم ، ورجال ادعوا عين هذه الدعوى ولكن كانوا كاذبين في ادعائهم مضلين في آرائهم ، فلا بد ان يكون للداعي الالهي وظهور الحق سمة وامارة وآية وعلامة تثبت حقية دعوته ، ودليل وبرهان وحجة وبينة تقرر صدق كلمته ليتميز الحق من الباطل والهادي من المضل ، وليمتاز طريق الهداية من الضلالة وسبيل الرشد من الغواية ويتبين الرب من الشيطان وتتم الحجة على اهل الامكان . ثم اعلموا ايدكم الله اننا ذكرنا واثبتنا في المقدمة السابقة ان مظاهر امر الله كلهم مظاهر حقيقة واحدة وذات واحدة ، وهم جميعهم في حكم انسان منفرد ونفس منفردة اولهم عين آخرهم وسابقهم عين لاحقهم ، وانما يمتازون عن غيرهم بظهور صفات الله منهم وتجلي ذات الله فيهم ، فينتج من هذا ان يكون طريق معرفتهم وبرهان حقيتهم ودليل صدق دعوتهم وحجة اثبات كلمتهم ايضا واحدا ، اذ تلك العلائم والآيات والحجج والبينات ليست الا آثار الصفات الالهية المتجلية فيهم وهي بمنزلة الاشعة والانوار المشرقة من شمس الحقيقة ، فما دامت الشمس واحدة



فلا بد من ان تكون انوارها ايضا واحدة والاشعة الساطعة منها ايضا متشابهة متماثلة ، الا انه كلما كان الظهور متأخرا واقرب الى المنتهى أي القيامة الكبرى والساعة العظمى ، كانت تلك الانوار اشد سطوعا وأجلى ، والادلة والبراهين اظهر واقوى حسب ناموس التقدم والارتقاء، وتتضح هذه النكتة جليا لمن يبحث عن ادلة حقية الاديان التي ظهرت في الازمنة الاولى ، وتلك الادلة والبراهين وان لم تكن محصورة في مفاهيم معلومة–اذ قلنا انها في الحقيقة عبارة عن آثار صفات الله المتجلية في مظاهر امره والانوار الساطعة من شمس حقيقة ذاته–الا ان اظهرها واشهرها ترجع الى اربعة اقسام مما اعتبره اصحاب الشرائع والاديان ، واحتجوا به في مقام الاتيان بالحجة والبرهان . وهي عبارة عن الوحي السماوي أي الكتاب الالهي ، ثم برهان التقرير اي الدليل العقلي ، ثم العجائب والمعجزات ، ثم النبوات والبشارات ، فلنبحث عن حقيقة تلك البراهين وكيفية دلالتها على مظهر امر الله على سبيل الاختصار متوكلين على الله رب الابرار ومقصود الاخيار ومنور البصائر والابصار .

**اما البرهان الاول** أي الوحي السماوي والكلام الالهي فهو عبارة عن المعاني التي تنزل على قلب مظهر امر الله بوساطة روح الله المقدس المتجلي فيه ، ثم تظهر على هيئة الكلمات من لسانه ، وتنسبك في قوالب الالفاظ بنطقه وبيانه ، فيظهر من نفس هذا الحد والتعريف ان الكلمات الالهية والآيات الكتابية هي اول فيض يفاض من الحقيقة الرحمانية واجل واعلى موهبة تنزل وتوهب للحقائق الانسانية ، اذ هي بمنزلة الندى والامطار السماوية النازلة من غمام الهياكل القدسية ، فيلبس العالم المشيب ثوب الشباب القشيب من نزولها وهطولها وهي اشعة شمس الحقيقة الطالعة من المشارق المقدسة ، فتزول ظلمات الجهل

والاوهام من اشراقها وسطوعها ، وهي نسمات ربيع الظهور ونفحات صبح النشور بين الازمان والدهور ، فتفوح بها روائح طيب العرفان بين الامكان وتنفخ روح الحياة في الشرائع والاديان من هبوبها ومرورها ، وهي الانهر الجارية من ينابيع الحكم الربانية في الرياض الغضة الناضرة الروحانية ، فتزول اوساخ التوحش والهمجية وتظهر لطائف الحضارة والمدنية من فيضانها وانحدارها ، ولكلمات الله تعالى مزايا ظاهرة ورجحان وعظمة باهرة على سائر الادلة والبراهين ، اذ هي من الآثار الباقية الخالدة وسهلة التناول على الغائب والحاضر بخلاف العجائب والمعجزات ، فانها من الآثار البائدة الزائلة ولا يمكن ارسالها الى الممالك البعيدة والبلاد النائية ، وهي من اشرف الاشياء لتكون حجة لاشرف الخلق اذ ليس في العالم شيء اشرف واعلى قدرا من العلم ، ومستودع العلم هو الكتاب كما هو ظاهر لاولي الالباب وبها توجد وتتحقق فوائد التربية والتعليم وسن السنن وتشريع الشرائع والقوانين، التي هي أس تنوير الشعوب وتهذيب الامم وحفظ الهيئة الاجتماعية وتمدن العالم ، فهب ان موسى عليه السلام كما تزعمه اليهود فلق البحر وجفف النهر وبدل العصا بحية تسعى واخرج اليد البيضاء وغيرها من الآيات الكبرى ، وان المسيح له المجد احيا ميتا وأبرأ أكمها وشفى ابرصا ، اين تلك الامور من الانجيل او التوراة ؟ فان تلك الآيات لو صحت على الظاهر لم يرها غير نفوس معدودة من الجمهور ، وهذه تضيء انوارها وتتلألأ آثارها وتقرأ اناشيدها وآياتها وتتلى مزاميرها وبشاراتها في كل الممالك والبلاد على ممر الاعصار والدهور ، فيقرؤها كل قارىء ويسمعها كل سامع ويتناولها كل طالب ويستفيد منها كل مستعد وتتنور منها البصائر وتقرّ بها الابصار وتتهذب بها الاخلاق وتحيا بها النفوس وتنشرح منها الافئدة والصدور ، ولا يعرف ولا يمتاز



كلام الله عن كلام البشر بفصاحته وبلاغته ورصف كلماته وتسجيع عباراته وترصيع جمله ولطيف استعاراته كما يدعيه قوم ، ولا بشهادة الآثار العتيقة وبقايا مصنوعات الملل البائدة كما تتمسك به طائفة ولا بالتلقي عن الآباء والامهات والاكابر بالوراثة ، ثم تطمئن به النفوس وتخضع له القلوب تقليدا وتبعية فتحسبه قضية مسلمة ومسألة ثابتة ، كما هو شأن جماعة اذ كل تلك الامور ترجع اما الى علامة خفية يجهلها أكثر الامم ولا يمكن اثباتها لجميع اهل العالم لتكون الحجة بالغة والبرهان تاما ، واما الى التقليد الاعمى واخذ قول الغير من غير دليل يركن اليه اهل النهى .

واما اهل البهاء المتمسكون بذيل من طاف حوله الاسماء ، يميزون كلام الله تعالى عن كلام الخلق بتأثيره التام في هداية النفوس وتنوير القلوب واحياء الامم وتهذيب اخلاق الشعوب وايجاد امة جديدة مستقلة نامية وتشريع شريعة بديعة مهذبة باقية ، وقهر من يقاومه من الامم المستكبرة والغلبة على من يمانعه ويعانده من الملل الجائرة ، ويعبرون عن هذه العلامة في مصطلحاتهم بالخلاقية والقاهرية ، ويفرقون بها بين الآيات النازلة الالهية والكلمات الملفقة البشرية ، اذ لا يخفى على اللبيب النبيه ان ارسال الرسل وبعث الانبياء وتشريع الشرائع وسنّ السنن انما هو لهداية النفوس وازالة اسقام القلوب ، كما ان علم الطب وسننه وقوانينه انما هو لعلاج امراض الابدان وحفظ صحة الشعوب ، فاذا قام رسول وجاء بكتاب من الله فاهتدت به نفوس واحييت به قلوب فتبدل شركهم بالتوحيد وكفرهم بالايمان وعنادهم بالاذعان وجهلهم بالعلم والحكمة وجفاؤهم بالالفة والمحبة ، حتى أوجد امة مستقلة حية باقية وشريعة مهذبة هادية لم يبق شك حينئذ انه هو كتاب الله وان

شريعته هي شريعة الله والمنزل عليه هو قائم بأمر الله منصور مؤيد بروح الله ، اذ ان الهداية صفة مرتبطة بالفعل مثبتة للموصوف كما ان علاج المرضى وشفاء الامراض وحفظ الصحة وتعديل الاعراض صفة مرتبطة بعلم الطب مثبتة لدعوى الطبيب • والى هذه النكتة الدقيقة تشير كلمة سيدنا عيسى له المجد والعلى كما جاء في الاصحاح الثاني عشر من سفر متى **«من الثمر تعرف الشجر»** اذ لا يعقل ان مصدر الكذب والفساد يصدر منه الصلاح والسداد وشجرة الضلالة والغواية تأتي بأثمار السعادة والهداية، وفي الاصحاح الثامن عشر من سفر تثنية التشريع من اسفار التوراة المقدس لما اخبر الله تعالى عن ظهور الانبياء وقيام الدعاة من حق وباطل ، وهاد ومضل ، صرح بأن الميزان الوحيد لتمييز الكاذب منهم عن الصادق والباطل منهم عن المحق هو عدم تأثير كلامه ونفوذ قوله في هداية النفوس وتنوير القلوب واقامة الامم وتهذيب الشعوب ، حيث قال جل ذكره **« وان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه »**(١) .

فانظروا ايدكم الله تعالى كيف جعل الميزان الصحيح الفارق بين الكاذب والصادق هو عدم نفوذ قول الكاذب وانعدام تأثير كلام الباطل، ولم يجعل الفصاحة مميزا او المعجزة فارقا او شهادة الآثار العتيقة مثبتا ، وليس المراد من الآيات المذكورة هو الاخبار عن الامور الآتية كما فسره بعض الشارحين اذ يلزم حينئذ ان يكون الناس معذورين في عدم الايمان قبل تحقق الخبر ، وهذا مما لا تستقيم به الاديان ولا تقوم به الحجة والبرهان ، فالنفوذ والغلبة هما الفارق الوحيد والميزان الفريد

(١) التوراة سفر التثنية الاصحاح ١٨ الآية ٢١ـ٢٢ .



والعلامة الواضحة لتمييز كلام البشر من كلام الرب المجيد ، حتى ان اول انسان آمن بالنبي الصادق واذعن لدعوة المحق لو لم يشعر في نفسه بتلك الهداية الواضحة والغلبة الظاهرة لما آمن بكلامه ولما خضع لمقامه ؛ ومن تأمل في حال الامة العبرية قبل ظهور موسى عليه السلام كيف كانوا في أسوأ الحالات من الذل والهوان والعبودية والخذلان ، وما آلت اليه احوالهم بعد ظهوره ونزول التوراة المقدس حيث تبدلت احوالهم وتغيرت افكارهم فصاروا ملوكا حكاما وأئمة اعلاما بعد ان كانوا عبيدا رذلة ورعاة جهلة ، يمكنه ان يعرف بعض آثار نزول الكلمات الالهية ومقادير تأثيرها في اخراج الامم من الظلمات الى النور ومن الموت الى الحياة ومن الهمجية الى الحضارة والمدنية ، وهكذا ينطق لسان حال جميع القبائل والشعوب الداخلة في ظل الشرائع السماوية من الامم الشرقية والغربية بما اثر فيهم نزول امطار الوحي من غمام عناية الحضرة الالهية ، لو تدبرتم في القصص الماضية وسرحتم انظاركم في الحقائق التاريخية • والى هذا يشير ما جاء في الاصحاح الخامس والخمسين من كتاب اشعيا حيث قال الرب جل وعلا **« ليست افكاري افكاركم • ولا طرقي طرقكم • يقول الرب لانه كما علت السموات عن الارض هكذا علت طرقي عن طرقكم • وافكاري عن افكاركم • لانه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هناك بل يرويان الارض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعا للزارع وخبزا للآكل • هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع الي فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما ارسلتها له »** وبهذه تغردت ورقاء الهدى في رياض القرآن وهدرت حمامة الوحي من غصون التبيان **«وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت**

وربت وانبتت من كل زوج بهيج﴾(١) وفي هـذا كفاية لاهل الايمان وغنية لاصحاب الايقان ، فقد عزّ عليّ المجال وضاقت عليّ الاحوال وتراكمت عليّ الاشغال وعلى الله ربي اتكل واتوسل في المبدأ والمآل .

**واما البرهان الثاني** أي الدليل العقلي فهو عبارة عن تلك القوة القوية الالهية والقدرة الملكوتية السماوية التي اشرنا اليها وبيناها على سبيل الاجمال في المقالات السابقة ، وهي عبارة عن القوة المنفذة للشريعة الجديدة والديانة الحديثة من غير ان تكون هذه القوة مستمدة مـن السلطنة والقدرة الظاهرة الملكية ، او المنعة والعزة والعصبية القومية او الغنى والثروة المالية او المعارف والعلوم الاكتسابية ، فاذا وجدت هذه القوة القوية وانتفت عنها علية تلك الاسباب المذكورة تنتهي بلا شك الى علة العلل ومسبب الاسباب ، وهي الارادة الالهية والمشيئة الربانية والقوة الغيبية الذاتية والقدرة الملكوتية السماوية ، والا ينتهي الامر الى الدور او تسلسل العلل من الامور الباطلةغير المعقولةعند اعاظم الفلاسفة واساطين العلم والحكمة .

وتقرير هذا الدليل على سبيل التفصيل هو ان هذه القوة القوية والقدرة الباهرة التي ظهرت من شارع الدين الجديد لا بد ان يكون لها سبب وعلة عقلا ، والفلاسفة يتتبعون العلل ويسألون عن الاسباب ، فان الديانة حادثـة بالضرورة والديانة الجديدة فضلا عـن الحدوث مكروهة ايضا عند جميع الامم ، تأبى اعتناقها كل نفس بالبداهة ، فكأن القوة المنفذة للديانة الحديثة تقاوم جميع اهل العالم وتغلب وتقهر كل

(١) القرآن الكريم : سورة الحج الآية ٥ .



الامم ، فلا بد ان يكون للحادث من محدث وللمجعول مـن جاعل ، ولهذا الامر الجلل والقوة الباهرة من مبدأ وسبب ، فاذا قيل ان هذه القوة الفاعلة المؤثرة في انفاذ الدين الجديد وابقائه الى امد مديد هي مستمدة من العصبية نرى انها ثمّ منعدمة فلا يمكن ان تكون مصدرا وعلة لظهور هذه القوة القوية ، اما فقدانها في الديانة النصرانية والديانة الاسلامية فأمر ظاهر وقضية واضحة لا تقبل التشكيك ، فان اقارب سيدنا الرسول عليه السلام كانوا اكثر الناس عداء له ، واعمامه وبني اعمامه كانوا من اركان مجلس الشورى في مشاورة قتله ومنع نفوذ امره وكانوا أول القائمين لقتاله وعدائه وافصح الناطقين برده وهجائه ، واقارب سيدنا عيسى عليه السلام وهم اليهود بعدما مضى من الاحقاب والاجيال بقوا أكثر الناس انكارا لدينه واشد الامم عداء لاسمه ، واما في ديانة سيدنا موسى عليه السلام فالتوراة رغما عن ظلمة التواريخ القديمة واختلاف علماء التاريخ في مصنف الاسفار الخمس ، يشهد بأن بني اسرائيل كانوا كارهين لقيام موسى عليه السلام منتقدين على كثير من اعماله ، حتى كادوا ان يرجموه مرارا لكثرة النصب والتعب الذي كانوا يتحملونه من ظلم الفراعنة وعداء الاقباط ، فـلا يمكن والحالة هذه ان تكون تلـك القوة القوية المنفذة للديانـة الحديثة مستمدة من العصبية وحاصلة من المحبة القومية ، وسبب هذا النفور والجفاء الظاهر والتألب والعداء الباهر واضح لاولي البصائر ، فان مرض الوباء العام الديني المعبر عنه بأبدية الدين وعدم جواز تبديل الشريعة شمل كل الطوائف وعمّ واحاط جميع الامم ، فكما ترون ان كلا من اليهود والنصارى والمسلمين يعتقدون ان شريعتهم هي الشريعة الابدية وديانتهم هي الديانة الدائمة لا يجوزون تغيير حكم من احكامها، بل كثيرا ما بذلوا دماءهم واموالهم وتركوا اهلهم واولادهم لحفظ

حدٍّ من حدودها وصيانة نص من نصوصها ، كذلك كانت عند الامم الصابئية وسائر الفرق الوثنية ، ولهذا تنفر كل نفس ويأنف كل انسان من ترك الدين الموروث واعتناق الديانة الحديثة ، ولا فرق في ذلك بين البعيد والقريب والاجنبي والنسيب والخامل والحسيب والمبغوض والحبيب ، وقلما يرى احد ينتبه بنفسه الى ان شارع الدين الجديد أي القائم الموعود انما هو قائم بأمر الله وداع باذن الله ومنفذ لما اراده الله ، وهو يسن الشرائع والاحكام على ما تقتضيه الظروف والحالات ويلائم الامكنة والاوقات لا على ما يوافق اهواء الامم وآراء الملل على اختلاف اهوائهم وآرائهم وتباين عقائدهم وافهامهم .

ومما بيّناه يتبيّن لكم مقدار سخافة ما زعمه ابن خلدون من ان الدعوة الدينية لا تقوم ولا تتم الا بالعصبية القومية ، واستند بحديث مجهول وهو **ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه** ، فظن ان نفوذ الكلمة الالهية وقيام الدعوة النبوية محتاج ومنوط بالعصبية القومية لا بالقوة الغيبية السماوية ، فاستنتج منها ضعف بشارات ظهور المهدي لانحلال العصبة الهاشمية وتشتت الاسر العلوية ، وهذا مخالف لصريح القرآن والانجيل بل مباين لما يشهد عليه التاريخ ، اذ ما جاء في القرآن ذكر نبي من الانبياء الا واردفه بأن قومه كانوا اول المعرضين عنه واشد المعترضين عليه ، وقد صرح بهذا سيدنا المسيح ايضا كما جاء في سفر متى آية ٥٧ من الاصحاح ١٣ انه عليه السلام قال **«ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وفي بيته»** ، فلو كان للعصبية مدخل في قيام دعوة النبي عليه السلام لكانت قريش اول امة قامت لاجابته ، والحال انها اول قبيلة انكرت تلك الدعوة وناصبته العداوة وهيجت زوابع الفتنة واثارت نقع المحاربة ، حتى ركن الرسول الى الهجرة والتجأ الى اهل يثرب وهم



من قحطان من العرب العاربة التي لا تجمعها وبني اسماعيل – وهذه من العرب المستعربة – جامعة نسب الا في سام أي تشعبت وافترقت سلسلة انسابها منذ الفين وخمسماية عام ، وكذلك كان الامر في قيام دعوة سيدنا المسيح له المجد ، فان اليهود وهم مدرك عصبيته ومغرس ارومته كانوا اول الامم انكارا لدعوته وبقوا اشد الملل اصرارا لعدائه وبغضته ، واطاعة اهل اروبا وهم من بني جومر لا تجمعهم واياه له المجد جامعة نسب الا في نوح ، فقاموا لنصرته وتحملوا كل صعوبة لانفاذ كلمته ، حتى نشروا امره المقدس في جميع الاقطار وربحوا تاج المجد والفخار وتتألق وتضيء انوار آثاره الباهرة مدى الدهور والاعصار .

فمما ذكرناه يتبين بطلان ما توهمه ابن خلدون من تأثير العصبية في قيام الدعوة النبوية ، لو لم نقل انها تؤثر بالضد والعكس لتظهر قوة الكلمة الالهية وغناؤها واستغناؤها عن القوى الضعيفة البشرية ، وانما الجهل بهذه الحقيقة والغفلة التي اخبر الله تعالى انها تضرب سرادقها فوق العالم ويحول دخانها وقتامها دون ابصار الامم ، هي التي اعمت ابن خلدون حتى دعته الى الشك في ظهور المهدي الموعود رغما عن نصوص الكتب السماوية والوعود الصريحة الواردة في البشارات النبوية ، واذا قيل ان هذه القوة المنفذة للشريعة المستجدة كانت مستندة من المعارف الكسبية والعلوم التحصيلية ، بمعنى ان شارعي الاديان الالهية تعلموا من كبار اهل العلم فبرعوا في فنون المعارف من قبيل الفلسفة والطبيعيات والهيئة والفلكيات او الهندسة والحساب ورسم الارض وتقويم البلدان وغيرها من فروع المعارف واقسام العلم ، حتى خضعت لهم عنان العلماء وبهرت من معارفهم ابصار الحكماء ، فاتّبعوهم وتبعهم العامة والجهلاء نرى انها ثَمّ منتفية ايضا .

اما انتفاؤها في ظهور موسى عليه السلام ، ولو كان مجهولا بسبب ظلمة التواريخ القديمة وانقطاع يد الكشف والاستقصاء عن حقيقتها ، فهو واضح كمال الوضوح في ظهور سيدنا المسيح له المجد ، اذ لم يعهد منه تعلم في المدارس الموجودة اذ ذاك في بلاد اليونان ومصر ولا اهتمام منه بتحصيل تلك العلوم ، ولم يبق اثر ولا كتاب منه في تلك المعارف ولا يشهد أثر ولا تاريخ بأنه عليه السلام كان في عصره معدودا من العلماء ولا عدّ من الفلاسفة والحكماء ، على انه لا مشابهة بين المعارف المشرقة من المظاهر القدسية وبين تلك المعارف البشرية التحصيلية ، اذ هي روحانية تحيي الارواح والنفوس وتشفي اسقام الافئدة والقلوب ، وهذه جسمانية ترجع فوائدها الى مواد معلومة ومواضيع محدودة متعلقة بالاجسام ، كفوائد الهندسة الراجعة الى معرفة السطوح وفوائد الحساب الراجعة الى الاعداد ، وفوائد الطب الراجعة الى صحة الابدان وهكذا سائر الفنون والعلوم كما هو واضح ومعلوم ، ومن المعلوم ان فلاسفة مصر واليونان ، وحكماء الفرس والكلدان الذين كانوا في تلك القرون مصادر هذه الفنون ، عجزوا عن اخراج نفوسهم وجيرانهم واهالي مستعمراتهم من اغلال العقائد الفاسدة وتطهيرها من ادران الاعمال القبيحة من قبيل ذبح الاطفال عند الاصنام وعبادة الحيوانات والاشجار والانهار وهتك اعراض الحرائر في سبيل اله الجمال وشرب بول الابقار وغسل وجوههم بها ووأد البنات واحراق الاحياء مع الاموات وتقديس النار وتحريم الحرف والصنائع المستلزمة لها وجفاء الغريب والامتناع عن مس الغير بالرطوبة والاكل معه ولو كانوا من جنس واحد ووطن واحد وديانة واحدة الى كثير من امثالها مما لا سبيل الى تفصيلها واستقصائها ، بل ان الفلاسفة والعلماء كانوا اذ ذاك يدافعون عن تلك العقائد الباطلة والاعمال القبيحة ، ويتهالكون في



حفظها عن التغيير والتبديل او الزوال والاضمحلال . فسرحوا انظاركم نوّر الله تعالى بصائركم وابصاركم الى الامة العربية ، وتصاريف حالاتها قبل ظهور الديانة الاسلامية وبعد ظهورها ، لعلكم تتنبهون الى بعض ما اشرنا اليه من الفرق الواضح بين العلوم الالهية والمعارف الفلسفية في احياء النفوس البشرية وازالة الاسقام الروحانية ، فان فلاسفة مصر واليونان جيران العرب على غزارة علمهم وسعة معارفهم وتوفر الاسباب لديهم ومساعدة الدول لهم ، عجزوا عن نشر المدنية بين الامة العربية مع ان جميعهم كانوا ابناء ديانة واحدة صابئية وعلى طريقة متحدة وثنية ، وهي اسهل من ازالة الاسقام الروحانية ومعالجة الامراض الدينية ، ولكن قيام ذلك الانسان الامي وحده فك اغلال الجهل من اعناقهم وحل عقال التقييد والتقليد من ارجلهم ، وايقظهم من اغماء السبات ونفخ فيهم روحا جديدا من الحياة ، فنشطوا وطاروا ، واستناروا فأناروا ، حتى نشروا انوار العلم والمدنية وبسطوا فضائل الحضارة والانسانية ، لا في الممالك العربية وحدها بل في جميع الممالك الواسعة الشرقية ، وازالوا تلك العقائد والعوائد المهلكة المدمرة من الامم المجوسية والوثنية .

فاذا عرفتم ايها السادة الاجلاء هذه النكتة الظاهرة والحقيقة الباهرة ، يمكنكم ان تعرفوا ان الله تعالى انما خص تشريع دينه وانفاذ كلمته بالاميين ، لا بالفلاسفة والمتخرجين من المدارس ليكون ادعى الى قطع الشبهة وابعد عن موضع التهمة ، وأدلّ على ان تلك القوة القدسية ليست مرتبطة بالعلوم التحصيلية ولا حاصلة من المعارف الكسبية . وانما غفل عن هذه النكتة وجهل هذه الحقيقة ذاك الفاضل الشهير مترجم القرآن ومدوّن تاريخ حالات شارع الديانة الاسلامية (جرجيس

صال)، حيث قال في الصفحة ٨٣ من كتاب مقالة في الاسلام : « ان اهل الاسلام يفتخرون بأمية صاحبهم بدلا من ان يخجلوا منها ، واتخذوها برهانا مبينا يثبت انه رسول الله ولا يستنكفون من ان يدعوه النبي الامي كما دعاه القرآن ... » فظن هذا الفاضل ان كون النبي عليه السلام اميا هو مما يجب ان تستنكف منه وتخجل الامة الاسلامية ، وقد جاء في الاصحاح السابع من انجيل يوحنا القديس ، ان المسيح له المجد ايضا كان اميا حيث قال : « **فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم . فأجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي ارسلني** » ، وهذه العبارة صريحة بأن معارفه عليه السلام كانت روحانية والهامية لا من التعلم والتحصيل .

ولم ادر لماذا لا يخجل هذا الفاضل بنفسه وبذاته وهو يرى ان المسيح له المجد وضع مقاليد السموات في يد امي صياد للسمك ، وألقى روح الرسالة والهداية في قلب عامي عشّار لليهود ، أليس ذلك لاظهار قدرة الله تعالى ليبرهن للناس اجمعين ، بأنه تعالت قدرته وجلت عظمته يقهر بعصا راع صفوف الجبابرة ويفل بها سيوف الفراعنة ويجعل صياد السمك صياد البشر ومقلب اعراش القياصرة ، ويعلم امي من ملكوته الاعلى فلاسفة الفرس وابناء الاكاسرة ، ليكون هؤلاء الاميون آيات قدرته وبراهين عظمته وحجج ظهوره ودلائل مشيئته وارادته ، ويكون تجردهم عن المعارف والفنون الاكتسابية اظهر الدلائل على القوة الالهية وابينَ البراهين على القدرة الوهبية السماوية ، واقطع لأوهام المتوهمين واشد دحضا لشكوك المشككين وفي ذلك كفاية للمتبصرين .



ومما ذكرناه يظهر ايضا ان ما ظهر من بولس الرسول من القوة والقدرة في نشر الكلمة الالهية بين الامم الوثنية في اول نشأة الديانة النصرانية ، انما كانت مكتسبة من كلمة سيدنا المسيح له المجد ومتجلية له منه عليه السلام لا بقوة علومه الاكتسابية وسعة معارفه التحصيلية ، كما يعتقده كثير من الامم المسيحية ، اذ لم يعهد من بولس الرسول قبل ايمانه بسيدنا عيسى عليه السلام علم او فضل سوى ما كان عند سائر علماء اليهود من القراءة والكتابة البسيطتين والاطلاع على احكام الشريعة اليهودية ، ولم يكن معدودا من فلاسفة ذاك العهد ، ولم يعهد منه انه تعلم في مدارس اثينا او مدارس مصر ، ولم يوجد منه اثر ولا كتاب في الفلسفةوالطبيعة او الفلك والهيئة او الحساب والهندسة او الطب والبيطرة ، ولا في غيرها من فروع العلوم واقسام الفنون ، وهو بنفسه قد انكر على الفلسفة الكسبية والمعارف اليونانية في مواضع من رسائله المحفوظة في الكتاب المقدس ، كما جاء في الفقرة الثامنة من الاصحاح الثاني من رسالته الى اهالي كولوسي حيث قال « **انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة ، وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العلم وليس حسب المسيح** » .

وقال ايضا في الاصحاح الاول من رسالته الاولى الى اهل كورنتوس في الفقرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين « **ان اليهود يطلبون آية واليونانيون يطلبون حكمة ، ولكننا نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة** » . فان اليهود كانوا دائما يطلبون العجائب والمعجزات من تلامذة سيدنا المسيح له المجد ، واليونانيين كانوا يطلبون منهم العلم والحكمة ويجربونهم بفروع المعارف والفلسفة ، الا ان ذاك الامام الرشيد والخطيب المِصْقَع البليغ كان يفحمهم

ويقاومهم بقوة ملكوت المسيح عليه السلام الذي أشرقت انواره وظهرت قوتــه واقتداره مــن تلامذتــه الاميــين وصحابتــه المضطهدين واوليائه واحبته المعوزين لتكون ابين لقوة الله وادل على قدرة الله كما قال في الفقرة السابعة والعشرين من هذا الاصحاح المذكور **« بل اختار الله جهـال العلم ليخزي الحكماء ، واختار الله ضعفاء العـالم ليخزي الاقوياء »** . فيثبت من هذا واضحا جليا ان تلامذة المسيح له المجد انما انفذوا كلمته واثبتوا ديانته بالقوة الالهية المكتسبة منه عليه السلام لا بعلومهم ومعارفهم ، اذ كانت هذه منتفية لديهم متوفرة لدى اعدائهم كما هو ظاهر لمن تصفح تاريخ حياتهم وتتبع ادوار حالاتهم .

واذا قيل ان القوة المنفذة للشريعة الجديدة والديانة الحديثـة كانت مستمدة من السلطة الظاهرة الملكية او الغنى والثروة المالية ، نرى انها ايضا كانت منعدمة عند شارعي تلك الشرائع ومنتفية عنـد مؤسسي تلك الاديان ، وهذا امر واضح ومسألة ظاهرة لا تحتاج الى مزيد من البحث والاستدلال وتطويل القيل والقال لو كانت ثمة قلوب مقدسة عن التعصب والاميال . وكيف تقاس سلطنة موسى عليه السلام وبني اسرائيل وثروتهم وعزتهم بغنى وسلطنة الفراعنة ، وغنى وثروة اصحاب سيدنا المسيح مثلا بغنى وثروة القياصرة ، وسلطنة سيدنا الرسول وغناه وثروته بما كانت عليه اكابر العرب والاكاسرة ، وسلطنة كل نبي بغنى وثروة اعدائه من الملوك والجبابرة .

نعم كثيرا ما يتهم الاسلام بانه قام وانتشر بسيوف امراء العرب ، كما ان الفرس واليهود والبوذيين والهنود يرمون ديانة النصارى بأنها قامت بمساعدة القياصرة وتقوّت وانتشرت بسيوف الجبابرة ، الا ان هذه شبهة واهية وقضية باطلة لان كلمة الاسلام انتشرت بين العرب



قبل الهجرة كما ان الديانــة النصرانية نفذت وانتشرت قبــل ايمان قسطنطين الكبير وتنصر القياصرة ، على ان تلك العساكر والصفوف والمدافع والسيوف وجدت وتشكلت وقامت وترتبت ايضا بقوة تأثير كلمة الله وشدة نفوذ ارادة الله ، اذ لولا الكتب الالهية لقامت تلك الجيوش الجرارة لنصرة الشرك ، وسلّت تلك السيوف البتارة لاثبات الوثنية لا لنصرة التوحيد واثبات الوحدانية ، كما هو ظاهر لمن اوتي بصيرة نورانية ودراية وجدانية ، ولكن الله تعالى لسعة رحمته واحاطة فضله وظهور سلطانه وسطوع برهانه ، اراد ان يبطل هذه الشبهة بتاتا عن هذا الظهور الابهى والطلوع الافخم الاعلى ، فنهى نهيا لا يعقبه الزوال ولا يعتريــه التغيير والابدال عن النزاع والجـدال والحرب والنزال ، بل عن كل ما يكدر النفوس ويورث الضغائن في القـلوب من قبيل السب واللعن والفخار والشموخ لتتجلى قوة الكلمة الالهية وتنقطع وسائل الشبهات والشكوك من كل الاقسام والوجوه في جميع القرون والاجيال .

فاذا عرفتم ايها الاحباء حقيقة دليل التقرير ومعنى البرهان العقلي ، فاعلموا اضاء الله وجوهكم الناضرة ببهاء طلعته الباهرة ، ان الامم انما غفلوا عن هذه الحجة الواضحة وانكروا هذه المحجة الظاهرة لسببين تعلموهما من رؤسائهم في طفوليتهم وتلقوهما من علمائهم منذ صغرهم وحداثتهم ، فصار كل منهما قضية مسلمة عندهم ومسألة واضحة لديهم، فرسخت في قلوبهم ونقشت في صدورهم ، فصارت عندهم من المسلمات البديهية واتخذوها من الضروريات الدينية .

**السبب الاول** انكار بعضهم بعضا كما ان اليهود مثلا ينكرون حقية ديانة البوذية ، والبوذية ينكرون حقية دين اليهود ، والمسلمين

ينكرون حقية دين البرهمية ، والبرهمية ينكرون حقية دين الاسلام ، والنصارى ينكرون الديانة الزردشتية ، والزردشتية ينكرون دين النصارى .

**والسبب الثاني** انكارهم للظهورات الجديدة والديانات الحديثة، كما ان اليهود انكروا حقية ظهور سيدنا عيسى له المجد ، والنصارى انكروا حقية ظهور سيدنا الرسول عليه السلام ، والمسلمين انكروا حقية ظهور سيدنا بهاء الله جل ذكره وعز اسمه ، فصار بطلان الديانة المسيحية عند اليهود قضية مسلمة تتنفر منها قلوبهم وتشمئز منها نفوسهم ، وكذلك صار بطلان دين الاسلام عند النصارى مسألة واضحة، وهكذا بطلان الديانات البوذيةوالبرهمية والصابئيةعند اليهود والنصارى والمسلمين صار حقيقة ثابتة ، وزاد الطين بلة ،والنفوس اشمئزازا ما اختلق رؤساء تلك الديانات بعضهم على بعض من التهم الفاضحة والعقائد والاعمال القبيحة ، وساعدهم على رسوخ تلك التهم في اذهان الامم عدم اختلاط الملل بعضهم مع بعض في القرون السابقة والدهور الماضية ، وعدم اطلاع بعضهم على حقيقة عقائد الآخرين بسبب عدم ترجمة الكتب الدينية وصعوبة نشر الآثار العلمية لعدم وجود صناعة الطبع اذ ذاك بين الهيئة الاجتماعية او لضعف بعضهم وخوفهم من ان يجاهروا بعقائدهم ويدافعوا عن نفوسهم لغلبة اعدائهم وقوة خصومهم ، فراجت ونفقت اسواق الاختلاق وكثرت وزهت بضائع التهم واتسعت واحاطت دائرة المفتريات وتفاقمت وعمت محن الاكاذيب والمختلقات ، كما اختلق علماء اليهود على السيد المسيح له المجد من التهم والمفتريات ما منعهم عن الايمان به عليه السلام اكثر من ألف وثمانماية عام .



فانظروا ايدكم الله كم ألقى رؤساء هذه الامة العبرية في قلوب ابنائهم واتباعهم من التهم والقبائح ، واختلقوا على السيد المسيح من الفظائع والفضائح حتى تمكنوا من منعهم في طول هذا الزمان المديد والامد البعيد عن الايمان بهذا السيد المجيد والمخلص الوحيد ، فتحملوا المصائب العظيمة والدواهي المريعة والآلام الاليمة في طول هذه المدة المديدة والقرون البعيدة ، وصبروا على مر البلاء وشدائد الضراء وانواع المحن والادواء ، ولم يذعنوا لحقيته ولم يؤمنوا بكلمته ولم يتفكروا ولو ساعة في برهانه وحجته . وهكذا سائر الملل والاديان والطرق والمذاهب لم يتركوا دقيقة من هذه الطريقة القبيحة أي اختلاق التهم الفضيحة على من يخالف دينهم وشريعتهم أو مذهبهم وطريقتهم . وقد علم مقدار تأثيرها في قلوب أمتهم وأتباعهم وبنيهم وأشياعهم .

وكذلك دخول بعض العبادات المبتدعة والعادات المستهجنة في الديانات القديمة مما لم يخل دين من الاديان العتيقة ، منها من قبيل عبادة التماثيل والاوثان في الديانات البوذية والبرهمية ، وعبادة النار في الديانة الزردشتية ، والاحتفال بمولد الاولياء وأكل الحيات والرقص في المذاهب السنية ، والاحتفال لقراءة المراثي ، وجرح الرؤوس بالخناجر وتشخيص صور الشهداء بين المذاهب الشيعية ، ساعد كثيرا لالقاء الشبهات وقبول التهم والمفتريات واتخاذها وسيلة وبرهانا على بطلان اصل تلك الشرائع والديانات . مثلا اذا قيل لأحد من النصارى او المسلمين ان الديانة البوذية انما شرعت أولا واصلا باذن الله تعالى وان شارعها كان مبعوثا من قبل الله ، يستعجب ويدهش بل يتنفر ويضجر من سماعه ويقول هل يمكن ان تكون عبادة الاصنام دينا الهيا ؟ وهل يتصور ان يكون شارع هذا الدين نبيا حقيقيا ؟ ولا يعرف ان عبادة

الاصنام والتماثيل ليست من اصول ديانة البوذية او البرهمية او الصابئية ، بل انما دخلت هذه العبادات الباطلة والعوائد المستهجنة في تلك الاديان ، كما دخلت عبادة رسوم القديسين وذخائر الشهداء والصالحين وكثير من امثالها في الديانة المسيحية ، والحال انها ليست منها ولا وردت في الانجيل المقدس اشارة اليها .

فنتج مما ذكرناه مفصلا نتيجتان ظاهرتان في جميع الاديان والملل وظهر منه أثران جليان في كل المذاهب والنحل :

**النتيجة الاولى** عجزهم عن اثبات حقيقة دينهم وصدق نبيهم ببرهان واضح ودليل لائح يميز دياتهم عن سائر الاديان ويمتاز به نبيهم عن سائر الانبياء ، اذ لو تمسك اصحاب دين من الاديان بما عندهم من المعجزات التي رووها عن نبيهم ودونوها في كتبهم ليرونها في سائر الاديان ايضا ، فكما ان اليهود دونوا معجزات موسى عليه السلام في تواريخهم والنصارى كتبوا معجزات عيسى له المجد في كتبهم والمسلمين جمعوا معجزات الرسول عليه السلام في مصنفاتهم ، كذلك البوذية كتبوا ودونوا معجزات بوذا او كنفوشيوس وسائر انبيائهم في كتبهم وصحائفهم ، والبرهمية والزردشتية جمعوا ودونوا معجزات برهما وزردشت في صحفهم ورسائلهم ، راجعوا كتاب دبستان الذي صنف في تاريخ المذاهب والاديان ، تروا من معجزات البرهمية والزردشتية حكايات وروايات قلما يوجد مثلها في سائر الاديان والملل او المذاهب والنحل ، على انه ليست في العجائب والمعجزات دلالة اصلية على حقيقة مظاهر امر الله بل دلالتها دلالة فرعية ثانوية وحجيتها حجة تأييدية غير ذاتية كما سنبينه في محله ان شاء الله .

ولو تمسك اصحاب دين من الاديان بما عندهم من الكتب



السماوية على حسب معتقداتهم يرونه في سائر الاديان ايضا ، فكما اعتقد اليهود بالتوراة والنصارى بالانجيل والمسلمون بالقرآن واتخذوها عندهم كتبا سماوية وصحفا الهية ، كذلك الهنود تمسكوا بكتاب فيدا والزردشتية بكتاب اوستاوزند والبوذية بكتاب كنفوشيوس ، فاتخذوها كتبا نازلة من السماء وعباراتها عبارات أوحيت وألهمت على الانبياء ، ولو تمسكوا بما عندهم من الاحكام والحدود والشرائع والطقوس مما يرجع الى العبادات الروحانية والفوائد الاجتماعية ليرونها ايضا موجودة في كل الاديان والمذاهب ومتساوية في جميع المشارب ، لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولا في ايجاد الاديان من تغاير وتباين ، ولو تمسكوا ببشارات الكتب السابقة واخبار الصحف العتيقة كما يتمسك المسلمون في اثبات حقية سيدنا الرسول عليه السلام بعبارات الانجيل ، ويتمسك النصارى في اثبات حقية سيدنا المسيح له المجد ببشارات انبياء بني اسرائيل ، لينقل الكلام الى اثبات حقية نفس المخبر والمبشر بالبرهان والدليل ، اذ لا يتوقف السالك المجتهد دون حد قاطع في هذا السبيل ، فينتهي الامر اخيرا بالضرورة الى تلك القوة القوية الالهية والقدرة الغالبة السماوية التي عبرنا عنها بالبرهان العقلي والحجة القطعية ، ورؤساء الاديان كما اشرنا اليه آنفا لا يريدون ان يعترفوا بهذه الحجة الواضحة ولا يحبون المشي في هذه المحجة الظاهرة اذ ينافي ذلك تكذيبهم مظاهر امر الله ويباين تمام المباينة لانكارهم مطالع حكم الله ، فان تلك القوة الالهية معطاة لجميع مشارق أنوار دين الله ، فلو اعترفوا بها ليلتزمون ان يعترفوا بجميعهم وهم لا يعترفون بهم لما ينافي من انكارهم وتكذيبهم ، فيعجزون عن اثبات حقية دينهم ويجهلون طريقة اثبات صدق نبيهم ، فيتمسكون بكل باطل ويتشبثون بكل زائل ويقنعون اتباعهم بخرافات الاوهام ، ويخدعونهم

باضغاث الاحلام مما هم في غنى عنه لو تمسكوا بالحق الواضح ، والبرهان الظاهر .

**والنتيجة الثانية** ظهور كثير ممن ينكرون جميع الاديان فيهم ورواج العقائد الفكرية بينهم من قبيل انكار الانبياء وتكذيب الشرائع الالهية مع اعترافهم بوجود اله مثل كثير من الفلاسفة المادية والتائهين في فلوات الاسرار الطبيعية ، فان هؤلاء الفلاسفة انكروا جميع الانبياء والمرسلين واعتقدوا بأن تشريع الشرائع والاديان انما هو من نتائج العقول البشرية وليس لها علاقة بالارادة الغيبية الالهية، ولكنهم اعتقدوا بوجود اله مما لا يخرج عن حد الوهم كما بيناه في مسألة التوحيد وفصلناه وبرهنّا عليه في بيان معنى التفريد .

ومنهم من تجرأ وانكر وجود ذات الله تعالى ايضا فانهمك في هذه العقيدة وانكر ما وراء الطبيعة ، ومنهم من بالغ وغالى في هذه الوساوس والاوهام الباطلة ، وتوغل في فلوات تلك العقائد المظلمة . فغفل عن القدرة القاهرة الالهية واغتر بالبروق الخلب المتألقة من المعارف البشرية ، فظن نفسه الضعيفة قادرة على تشريع الشرائع وعقله الطائش القاصر متمكنا من تأسيس الاديان ، فقام واقام دعوة كذبة باطلة وادعى مقاما من المقامات السامية العالية من قبيل النبوة والرسالة او الربوبية والشارعية كما تشهد به الكتب التاريخية وتنطق به الحوادث الحالية ، ولقد ساعدهم في هذا الغرور وغرهم على تحمل تلك الشرور سواء في انكار الذات الالهية او تكذيب الشرائع السماوية او القيام على الدعاوى الطائلة الباطلة سوء أفعال الرؤساء الروحانيين وعلماء الشريعة من فقهاء الاسلام وقسوس النصارى واحبار اليهود وامثالهم



من علماء المجوس والبوذية والهنود ، فجهل هؤلاء الرؤساء بالحقائق الدينية وقبح أفعالهم وسوء سياستهم في تربية الرعية وتمسكهم بالحيل والدسائس الدنية في اقناع الناس بالعقائد الخرافية ، كل هذه جرّت كثيرا من الناس الى الشك في اصل الديانات الالهية وادّت بهم الى حسن الظن بالعقائد الطبيعية ، فكثرت وزهت طوائف وجمعيات كثيرة خصوصا في هذه القرون الاخيرة من الذين ينكرون جميع الانبياء ، ويستهزؤن بكل الاديان ويسخرون من كل سيادة روحانية ويقبحون كل العبادات والطقوس الدينية ، مما لا يخفى على اهل البصيرة سوء عواقبه وعظيم أهواله وغوائله كما أخبر وصرح به بطرس الرسول في بشاراته ورسائله ؛ فظهر وثبت مما بسطناه وفصلناه ان كل تلك المفاسد والشرور الوخيمة انما نتجت من انكار تلك القوة القوية السماوية وجهل الناس وغفلتهم عن تلك القدرة الغيبية الالهية التي جعلها الله سنة ظاهرة لانبيائه وآية باهرة لاصفيائه ومنارا واضحا لطريقه وسبيله وميزانا صحيحا لمعرفة حجته ودليله ، ففرق بها بين الحق والباطل والثابت والزائل وميز بها الصادق من الكاذب والمحق من المبطل ، فكم اظهر الله تعالى ضعف القوة البشرية بأجمعها في مقاومة تلك القوة السماوية وكم أبان عن ضعة وهوان القدرة الظاهرة الملكية في مقابل تلك القدرة الالهية ، اذ طالما قاومها أهل العالم جميعهم فقهرتهم وصارعتها الامم في مشارق الارض ومغاربها فصرعتهم ؛ سواء ذلك في ظهور الانبياء الصادقين كمقاومة الفراعنة في ظهور موسى عليه السلام واليهود والقياصرة في ظهور المسيح له المجد والعرب والاكاسرة في ظهور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، او في ظهور الانبياء الكذبة والذين ارادوا ان يشرّعوا دينا بلا سابقة اذن من الله ويدّعوا نبوة ورسالة كذبا وجرأة على الله كما تشهد به الوقائع والآثار وتنطق به التواريخ

والاخبار ، فان في قصص المزدكية في أيام كسرى قباذ وسعد الدولة اليهودي وارغون خان المغولي في ايران وعلاء الدين الخلجي في هندوستان وفلاسفة فرنسا في ثورة سنة ١٧٩٢ عبرة لاولي الالباب وذكرى وموعظة لاهل الكتاب ، فان هؤلاء الفلاسفة والحكماء والملوك والوزراء أرادوا أن يشرعوا بسامي دهائهم وعقولهم وسعة معارفهم وعلومهم ديانة تلائم العقول والاذواق وتوافق الظروف والاوقات ، وتكون شرائعها وقوانينها ابسط واسهل على النفوس وعقائدها واصولها أتقن وأقرب الى الافهام والعقول ، وكانت الظروف مساعدة لاهوائهم ورؤساء القوم وقواد الجيش مطاوعة لافكارهم وآرائهم ، ولكن الله خيب آمالهم وأبطل أعمالهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وسفه أحلامهم وكسّر أقلامهم وبقيت قصصهم عبرة لاهل الاعتبار وتبصرة لارباب البصائر والابصار ، ولم أدر لماذا اتخذ علماء الفلسفة الدروينية مشابهة بعض عظام القرود لبعض عظام الانسان دليلا قطعيا على ان نوع البشر في الاول كان من القرود ، فاتخذوا هذا الدليل على ضعف دلالته وسخافة حجيته حجة قاطعة على ان القرود منبت دوحتهم وعين ارومتهم ومبدأ وجودهم واصل جدودهم ، ولكن تلك القوة التي وحدها تغلب على العالم والقدرة التي بنفسها تقهر الامم لم يتخذوها دليلا على ان مظاهرها رجال الهيون وان مطالعها اناس سماويون ، فهل تدخين فرد من افراد اوران اوتان ومقاربة هيئة واحد من افرادها لهيئة بعض متوحشي افريقيا من نوع الانسان على اختلافهما في كثير من الامور مثل النطق وادراك الكليات واستعداد الكمالات تدل على الوحدة النوعية والجامعة البشرية ؟ ولكن قهر الفراعنة والقياصرة والغلبة على الجبابرة والاكاسرة بقيام نفس واحدة غير معززة بشيء من الغنى والثروة او الملك والسلطة او القرابة والعصبية او الفنون والفلسفة



لا يدل على انها مؤيدة بقوة غيبية سماوية وقدرة قاهرة الهية ، لعمري هذه فلسفة عجيبة وحكمة وبصارة غريبة فصحّ فيهم انذار ذاك الرسول القائل **« انظروا لا يسبيكم احد بالفلسفة وبغرور باطل »** .

فنتج مما فصلناه وبيناه ان دليل التقرير اعظم دليل واظهر برهان على حقية مظاهر امر الله ، وثبوت الكلمة وبقاء الديانة اقوى حجة وأتقن بينة على صدق الداعي وشارع الشريعة ، اذ لو صرف النظر عن هذا الدليل الظاهر والبرهان الباهر كما هو شأن كل مكذب مجادل وممار مكابر ليلتزم الفلسفي منهم بتقبل اوهام مجهولة وامور مستحيلة غير معقولة من قبيل الدور وتسلسل العلل أو مجهولية العلة والسبب كما قررناه سابقا ، ويلتزم المتدين منهم بالعجز عن اثبات حقية دينه وصدق شريعته كما هو ظاهر لاولي الابصار وجرّبه ارباب البصائر والانظار ، وانما سمي هذا الدليل بدليل التقرير لان بقاء الديانة وثبوت الكلمة انما هو تقرير من الله على صحتها وشهادة منه تعالى على حقيتها، اذ لم يعقل عجزه تعالت قدرته وجلت عظمته عن محق الكاذب وابطال الباطل ، ولم ينس وعوده في قهر المختلق واعدام المضل كما هو ثابت في بطون الصحف والاسفار ومحفوظ في بشارات البررة والاخيار .

**واما البرهان الثالث** أي العجائب والمعجزات ، فهو عبارة عن أمور غير ممكنة عادة على نوع البشر تصدر عن مظاهر امر الله اما بطلب الناس منهم اقتراحا ، أو من قبلهم عفوا من قبيل انطاق الاحجار وطلب الاشجار واحياء الموتى وقلب العصا حية تسعى وكثير من أمثالها مما هو مرويّ عن الانبياء ومأثور عن الاولياء ، وكان الاقدمون يعبرون عن تلك الامور بالآيات ، والآية لغة هي العلامة ولعلها مأخوذة من اللغة السامية التي كانت مصدرا لاشتقاق اللغات العربية والعبرية

والسريانية والبابلية وبعض لغات الافريقية ، فكانوا اذا ادعى مدع انه رسول من الله يسألونه ما هي آية رسالتك ؟ أي مـا هي علامة صدق قولك وحقية دعوتك ؟ ولذا جاء في الآية ٣٨ من الاصحاح ١٢ من انجيل متى « **حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفرسيين قائلين يا معلم نريد ان نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي** » ، ومعناه ان قوما من علماء اليهود طلبوا من سيدنا المسيح عليه السلام ان يريهم آية أي معجزة وأعجوبة تكون علامة صدق دعوته وحقية كلمته ، ولكنه عليه السلام أجابهم بأنهم لا يعطون آية ولا يرون معجزة الا معجزة يونس الرسول ؛ فان طلب المعجزات انما هو من شؤون الاشرار وآية الفجار ، وكذلك جاء في الاصحاح ١٦ من هذا السفر « **وجـاء اليـه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه ان يريهم آية من السماء ، فأجاب وقال لهم اذا كان المساء قلتم صحو لان السماء محمرة وفي الصباح اليوم شتاء لان السماء محمرة بعبوسة ، يا مراءون تعرفون ان تميزوا وجه السماء ، واما علامات الازمنة فلا تستطيعون ، جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى** » . وتفسيره ان جماعة من علماء اليهود سألوا سيدنا المسيح له المجد على سبيل التجربة والامتحان ان يريهم معجزة سماوية واعجوبة الهية لتكون آية لحقيته وعلامة لمسيحيته ، فيؤمنون به ويصدقون بدياناته ؛ فأجابهم عليه السلام بأنكم بلغتم بالفطانة والدراية الى درجة تعرفون اوقات الصحو أو المطر من احمرار الافق حين الغروب أو الصباح حين الطلوع؛ فان أهل الفلاحة وسكنة الارياف اذا رأوا ان الافق حين غروب الشمس محمر شديد الاحمرار اتخذوه علامة لصحو الهواء وانقشاع الغيوم وانقطاع الامطار ، واذا رأوه وقت طلوع الشمس محمرا كالحا عبوسا



قانيا اتخذوه علامة لنزول الامطار وتلبد الغيوم واشتداد الشتاء ، فأفحمهم عليه السلام بأنكم تعرفون بفطنتكم وجه السماء وتميزون أوقات تغيير الهواء ، فلم لا تعرفون علامات اوقات ظهور الانبيـاء ومواقيت تجدد الشرائع والاديان ؟ وانتم تعتقدون انكم علماء الدين وورثة النبيين ، وحفظة علوم الانبياء والمرسلين ، فان تفرق العقائد واختلاف المذاهب وتشتت الاهواء وتباين الآراء وتهاون الناس بالاحكام والحدود الالهية وانهماكهم في الشهوات الدنيـة واللذائذ الجسمانية التي عبر عنها الانبياء بانفطار السماء وتزعزع اركان الافلاك ، اقوى دليل على قرب ظهور مظهر امر الله وابين علامة لبلوغ ميقات تجدد دين الله ، ثم قال عليه السلام « جيل فاسق شرير يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي » ، فكرّر اطلاق لفظ الآية على المعجزة والاعجوبة كما كرّر وأكد لهم ان طلب المعجزات واقتراح الآيات على مظاهر امر الله انما هو من شؤون الفجار وشأن الفسقة والاشرار كما سنبين سببه ان شاء الله .

وفي القرآن الكريم ايضا اطلق لفظ الآية على المعجزة او الاعجوبة كما جاء فيه نقلا عن المنكرين والمكذبين : « **فليأتنـا بآيـة كمـا ارسل الاولون** »(١) وجاء في سورة طه «**وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى** »(٢) يعني كـان المنكرون لنبوتـه والمكذبون لرسالته يقولون لو ان محمدا هو نبي بعثه الله ورسول ارسله الله لِمَ لم يظهر لنا معجزة الهية واعجوبة سماوية تدلنا على صدق رسالته وحقية كلمته ، فأجابهم الله تعالى بقوله « أولم تأتهم بينة

(١) القرآن الكريم سورة الانبياء الآية ٥ .
(١) القرآن الكريم سورة الرعد الآية ٣٨ .

ما في الصحف الاولى » يعني اما جاءهم القرآن العظيم الذي هو بيان التوراة والانجيل وسائر صحف انبياء بني اسرائيل ؟ وكتاب الله كما اثبتناه في البرهان الاول أول آية تدل على صدق الكلمة النبوية واعظم برهان على الرسالة الالهية ، خصوصا اذا كانت هـذه الآية العظيمة والمعجزة الكريمة مؤيدة ببيان ما كان مرموزا مكنوزا في الصحف الالهية القديمة ومكتوما مختوما في الكتب السماوية العتيقة مـن الاخبار عن الامور الآتية من قبيل رموز الحشر والنشر وحوادث تجدد الخلق والبعث وتعيين ميعادها وميقاتها ، وبيان علائمها واشراطها ، حتى ذكر مطلع انوارها والتنصيص على محل ظهور آثارها واسرارها ، مما لم تقدر الفلاسفة والحكماء على فهمها وادراكها وحل رموزها وفك مختومها قبل تحققها ووقوعها ، فكيف بالامي الذي لم يتعلم في مكتبة ولم يقرأ بعد في مدرسة ولم يعهد منه يوما ما سعي في التعلم والتكميل ولم يعد زمانا من اصحاب الكد والتحصيل ، أليس ذلك أبين علامة على انها آية سماوية وهبة روحانية ؟ واعظم برهان على انها كلمات وعبارات صادرة عن الحقيقة القدسية ونازلة من الذات المقدسة الالهية ؟

وفي القرون الوسطى من القرون الاسلامية اطلق علماء الاسلام على تلك المعاني اي الامور الخارجة عن امكان البشر لفظ المعجزة باعتبار انها مما يعجز الخلق عن الاتيان بمثله ، ولفظ خارق العادة باعتبار انه لم تجر عادة الخلق بفعله ، ثم قسموا ما هو خارج عـن الامكان الى اقسام وقالوا اذا صدرت خوارق العادات مـن انسان مقرونة بادعاء النبوة والرسالة تسمى معجزة، واذا صدرت منه قبل البعثة والادعاء تسمى ارهاصا ، واذا صدرت تلك الخوارق مـن الاولياء والصلحاء تسمى كرامة ، واذا صدرت من المضلين والاشقياء تسمى



سحرا او استدراجا ، فدارت تلك الالفاظ والمصطلحات على ألسنة الكتاب والعلماء حتى صارت ألفاظا كتابية وحقائق ثانوية ودخلت في الكتب اللغوية ، الا ان ما سوى لفظة المعجزة التي لها مناسبة واضحة بالمعنى المقصود كلها مصطلحات تافهة واستنباطات باردة نشأت عـن الجهل بالحقائق العلمية والمناسبات اللفظية ، كما لا يخفى على اصحاب البصائر النيرة بالدقائق اللغويـة خصوصا في لفظي الكرامة وخارق العادة ، فان الكرامة لغة ضد اللئامة وقد يطلق على السخاوة ، والكرامة المعطاة لاولياء الله هي عزة النفس الحاصلة من التقرّب الى الحضرة الالهية ولا مناسبة لها بتلك السفاسف الوهمية والمختلقات الخرافية ، واما خارق العادة فهو عبارة عما يخرق العوائد الجارية بين النـاس ويغيرها ويبدلها ، مثل عوائد الامة العبرية في طقوس دياناتهم وآداب شريعتهم مثلا .

ولما كان من آثار ظهور مظاهر امر الله تغـيير أحكام الديانة السابقة وتبديل طقوس الشريعة الماضية ، مثل ما تغير وتبدل من شرائع اليهود بظهور المسيح له المجد ، وما تغير وتبدل مـن شرائع الصابئة والمجوس بظهور الرسول عليه السلام ، لهذا اتخذ اهل البصارة خرق العادة من اعظم آثار مظاهر امر الله ومن أبين الدلائل على قوة كلمة الله وظهور انبياء الله ، كما أشار اليه بولس الرسول في الفقرة ١٢ من الاصحاح السابع من رسالته الى العبرانيين بقوله « **ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس** » يعني اذا تجددت الرسالة والنبوة فبالضرورة تتجدد الشرائع وتتغير الاحكام ، وهذا هو المعنى الحقيقي المعقول من خارق العادة لا مـا توهمه اصحاب الاوهام والسفاسف والخرافات ، فان العدميات لا تعتبر عوائد للناس حتى يصح اطـلاق

خارق العادة على ضدها ، فلا يقال ان عدم احياء الاموات مثلا كان عادة من عوائد الناس حتى يعتبر احياؤهم خارقا لها ، ولا يقال ان عدم شق البحر وعدم جفاف النهر وعدم شق القمر مثلا كان من عوائد الناس حتى تتخذ تلك الامور خوارق لها ، ولكن احترام يوم السبت كان عادة من عوائد اليهود ، فخرقها سيدنا المسيح له المجد فتغيرت باحترام يوم الاحد ، والطلاق والذبيحة وتعدد الزوجات وكثير من امثالها كانت من عوائدهم وشرائعهم ، فخرقها وبدلها وغيرها ايضا : وهكذا وأد البنات واحترام التماثيل والصلاة للاوثان وعبادة النار وكثير من هذا القبيل كانت من اعظم عوائد العرب والفرس فخرقها سيدنا الرسول عليه السلام وبدلها بالاحكام الاسلامية والشريعة النبوية ، وهذه هي خوارق العادات التي عدها أولو البصائر من افعال النبيين ومن شؤون المرسلين لا ما خلقه المتوهمين واختلقه أفكار الجاهلين .

واما السحر بالمعنى الذي تعتقده العامة ، فهو من بقايا اوهام الازمنة المظلمة الغابرة التي أزاحت طبقات ظلماتها أنوار طلوع شمس الحقيقة وانقشع تراكم غيومها من هبوب نسائم العلم والمعرفة ، وما جاء من لفظ السحر في كلمات الانبياء في الكتب المقدسة فمعناه الحقيقي هو الباطل ، اذ كان اعداء الانبياء يتمسكون بالاباطيل ويشتغلون بها . وكانوا يحملون افعال الانبياء ايضا عليها فاطلق لفظ السحر والسحرة على الباطل واصحاب الاباطيل في كلمات الاخيار ، فادرجت في بطون الصحف والاسفار ونسجت عليها عناكب الوهم على مر القرون والاعصار وستر معناها الاصلي عن الافهام والانظار ، كما هو الشأن في جميع الالفاظ الواردة في كلمات الابرار وفي هذا كفاية لارباب البصائر والابصار .



فاذا عرفتم يا أهل البهاء معاني تلك الالفاظ المذكورة ، فاعلموا انار الله بصائركم وزاد طيب سرائركم ونور بنوره الباهر قلوبكم وضمائركم ، ان الدليل والبرهان لا بد ان يكون لهما ارتباط بالامر المدلل والمبرهن والا لا تعد برهانا ودليلا مهما كان مدهشا وعجيبا ومعجزا وغريبا ، مثلا اذا ادعى مدع انه طبيب واستدل على صدق ادعائه انه يطير الى الهواء ثم طار فرضا ، فبالضرورة لا يثبت صدقه بهذا الدليل اذ ليس الطيران الى الهواء من صفات فعل الطب ولا رابطة بين الطب والطيران ، وان كان تمس الطيران الى الهواء في غاية الغرابة ، بل معالجة الامراض وابراء المرضى وحفظ الصحة والمعرفة باسبابها وعلاماتها وقوانينها وآدابها هي من صفات فعل الطب وتثبت صدق قول الطبيب ، وهكذا اذا ادعى مثلا احد انه مهندس وحجته انه يحيي الموتى او ادعى انه كاتب وحجته انه ينطق الاحجار او خطيب ودليله انه يشق البحار ويجفف الانهار ، كل ذلك لا يثبت قولا ولا يصحح ادعاء ولا يعد دليلا ولا يعتبر برهانا ، اذ لا رابطة بين تلك الافعال وبين تلك المدعيات كما يظهر ويتضح بالضرورة والعيان لمن يتفكر في معنى الحجة والبرهان ، قال الاستاذ الشهير كرنيليوس فنديك الامريكاني في الجزء الثامن من كتاب النقش في الحجر وهو في المنطق « وبما ان الانسان معرض للخطأ في الامور العقلية يوافقه ان يستعين بآلة قانونية تعصمه من الخطأ ، وترشده الى الصحيح حتى لا يحسب علة ما ليس بعلة ولا نتيجة ما ليس بنتيجة ولا يبنى على اساس فاسد ولا يعد برهانا ما ليس ببرهان » .

وقال الامام الغزالي « لو قال قائل ان اربعة اكثر من عشرة ، وانا أبرهن ذلك باحالة هذه العصا حية لكنت اندهش من حيلة العامل

ولكني كنت ابقى على يقيني بأن اربعة اقل من عشرة الى آخر قوله » معناه أن لا تعلق بين البرهان والامر المبرهن واذ ذاك فلا يعد برهانا .

فاذا عرفتم هذه المقدمة يمكنكم ان تعرفوا بغاية السهولة ان لا تعلق ولا رابطة ولا نسبة بين القدرة على اظهار المعجزات والعجائب وبين ادعاء النبوة والرسالة ، فان الرسالة والنبوة ليست الا بعث انسان من قبل الله تعالى لهداية الخلق ، فما هو ارتباط هذا المعنى بالقدرة على شق البحار وجفاف الانهار وانطاق الاحجار والاشجار مثلا ، اذ ليست تلك الامور افعالا تلائم وتناسب معنى الرسالة التي هي عبارة عن الوساطة بين الخلق وخالقهم لابلاغ احكامه ورسالاته ، وتعليم شرائعه وعباداته ولا لمعنى النبوة التي هي عبارة عـن البعث لهداية الخلق وتهذيب اخلاقهم وترقية الناس وتحسين آدابهم ، وانما مثـل من يطلب المعجزات من الانبياء ويقترح الآيات على مظاهر امر الله مثل من يطلب افعال الملوك ذوي السلطة المطلقة من امرائهم وولاتهم ليثبت بها صدق اقوالهم في ادعاء امارتهم ويوجب على الرعية اتباعهم في ولايتهم ، والحال انـه لا يثبت امارتهم الا فرمـانات ملوكهم ولا يصدقهم سوى كتب دولهم ، مثلا اذا ادعى احد انه والي مملكة مصر من قبل السلطان واعترضت عليه جماعة من اهل هذه المملكة ، وطلبوا منه برهانا على صدق امارته واثبات ولايته ، فهو بالضرورة يستدل بكتاب سلطانه وفرمان دولته ، فلو فرضنا انهم لم يذعنوا لكتابه ولم يكتفوا بفرمانه واقترحوا عليه ان يظهر لهم بعض افعال مرسله مـن خصائص الملوك والسلاطين من قبيل جر العساكر وتجييش الجيوش وفتح الممالك وهدم الحصون وقتل الاشخاص وحبس النفوس وعزل الافراد ونصب الآحاد ، فهو بالبداهة والضرورة لا يتنازل لاجابـة



مسؤولهم واسعاف مأمولهم ، ولا يتمسك بسوى فرمانه ولا يستدل بغير كتاب سلطانه ولو كان قادرا على بعض تلك الامور ومتمكنا من اجابة طلب الجمهور ، فان للقتل والحبس والنصب والعـزل أو جر العساكر والجيوش وفتح الممالك والحصون دواعي ومواقيت لا تظهرها الولاة الا حينما تقتضيه الظروف ويجيزه القانون ، والى هذه النكتة الدقيقة يشير ما جاء في المصحف المجيد من قوله تعالى « **وما كـان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله** »(١) اذ ليس ارسال الرسل وبعث الانبياء ج عالم الروح الا كنصب الولاة وارسال الامراء في عـالم الملك كما هو واضح لاهل الاستبصار واصحاب الانظار .

فاذا عرفتم عدم ارتباط ادعاء النبوة والرسالة بالقدرة على الامور غير الممكنة عادة وعدم العلقة والملازمة بينهما ، يمكنكم ان تعرفوا معنى ما ذكرناه سابقا من ان العجائب والمعجزات من الادلة التأييدية الفرعية لا من البراهين الذاتية الاصلية ، وان لها دلالة ثانوية على حقية مظاهر امر الله لا دلالة اولية ، ويمكنكم ايضا ان تعرفوا سبب امتناع الانبياء عليهم السلام عن اظهارها والاستناد عليها والاحتجاج بها كما يستفاد من الآيات الواردة في الاصحاح ١٢ والاصحاح ١٦ من انجيل متى حيث قال سيدنا المسيح له المجد ان الجيـل الشرير الفاسق يطلب آية ولا تعطى آية الا آية يونان النبي ، لان الانبيـاء عليهم السلام بسبب ظهور برهانهم وعظيم سلطانهم ونفوذ كلامهم وغلبة أحكامهم ، مستغنون عن الاحتجاج بالامور التي لا دلالة لها على صدق دعوتهم وحقية رسالتهم دلالة ظاهرة اولية وحجية واضحة جلية ، سوى ان

---

(١) القرآن الكريم سورة الرعد الآية ٣٨ .

اقتراح الآيات وطلب المعجزات من مظاهر امر الله هو عين تجربة الرب التي نهى الله تعالى عنها في التوراة المقدس وحذر الشعب منها حيث قال جل وعلا « لا تجرب الرب الهك » اذ لا يعقل تجربة ذات الله تعالى كما بيناه وقررناه سابقا الا بتجربة مظاهرها ومطالعها ، فامتحان الانبياء عليهم السلام باقتراح الآيات عليهم وطلب المعجزات منهم هو معنى تجربة الرب ، وهي عين التكبر على الله والمكاشفة لارادته والمضادة لمشيئته والمعاكسة لحكمته وهي تنذر بالهلاك والدمار وتجر الى المحو والبوار ، كما جاء في المصحف المجيد **«وما نرسل بالآيات الا تخويفا»**(١) وبذلك افحم السيد المسيح له المجد ماردا من شياطين اليهود حيث أقامه على جناح هيكل سليمان ، واقترح عليه ان يرمي بنفسه من ذلك المقام الشامخ الرفيع ، وقال له ان كنت انت ابن الله الحق أي المسيح الموعود تحفظك الملائكة كما هو في الكتاب مكتوب فأجابه السيد المسيح عليه السلام **« مكتوب ايضا في الكتاب لا تجرب الرب الهك »** يعني ان امتحانه عليه السلام هو عين امتحان الله وتجربة الله ، وهو منهى عنه صريحا في كتاب الله .

وهذا الجواب على اختصاره ووجازته في غاية اللطف والاتقان ، فانه على ما فيه من البرهان على عدم جواز اقتراح المعجزات على مظاهر امر الله ، أفحمه ايضا بأنه حينما يستدل بالكتاب على معارضة المسيح عليه السلام هو بنفسه خالف كتابه ونسي اوامره وأحكامه ، ومن المجرب المعهود من اخلاق اعداء الله انهم يتمسكون بظاهر آية من آيات كتاب الله في تكذيب مظاهر أمره ومطالع حكمه ، وهم ينسون

(١) القرآن الكريم سورة الاسراء الآية ٥٩ .



كثيرا من آيات الكتاب مما هو صريح في حقية ظهورهم مبرهن على حقيقة طلوعهم ، مثبت لكلمتهم ، مبشر ناطق بصدق دعوتهم ، فتم فيهم ما جاء في الكتاب **« افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب »**(١) .

وليس امتناع الانبياء عليهم السلام واباؤهم عن اظهار المعجزات لانها امور مستحيلة ممتنعة لا يمكن وجودها وتحققها كما توهمه بعض المتفلسفة ، اذ ليس الامتناع والامكان من ذاتيات الاشياء بل هما من الامور الاضافية ومن الاوصاف النسبية ، فان كثيرا من المفاهيم يعد ممكننا لنوع من الانواع ومستحيلا على النوع الآخر ، فكما ان الافعال الخاصة بنوع الانسان ممكنة بالنسبة اليه وممتنعة على سائر انواع الحيوان ومعجزة لها وخارجة عن امكانها ، وكما ان الافعال الخاصة بالحيوان ممكنة بالنسبة اليها وممتنعة ومستحيلة بالنسبة الى النباتات، كذلك مفاهيم المعجزات امور مستحيلة بالنسبة الى البشر ولكنها ممكنة بالنسبة الى مظاهر امر الله بسبب كلية الروح المقدسة المتجلية فيهم واحاطة القوة القدسية النازلة عليهم ، ولعمري ان انسانا تجلت فيه القوة القدسية وظهرت منه سمات الربوبية فغلب على العالم وحده وقهر الامم بنفسه واخبر عن الامور الآتية بجزئياتها وخصوصياتها مما صدقه ظهورها وصحتها بعد انقضاء دهور واحقاب ، كل ذلك بكلية روحه واحاطة قدرته وسمو ذاته وبسط قوته لا يعجز شيء ولا يفوته أمر، فما اظهروه من الامتناع عن اجابة طالبي العجائب والاباء عن اسعاف مأمول مقترحي المعجزات لم يكن ذلك عجزا منهم واستحالة

(١) القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٨٥ .

وامتناعا عليهم ، بل لعدم دلالة تلك المعجزات والعجائب على صدق دعوتهم وحقية كلمتهم دلالة تامة اولية يكتفي بـه الطالب المجاهـد والباحث المتفحص ، كما ذكرناه مفصلا ، اذ لا يخفى على المحقق النبيه انه لو اقتصر الامر في مسألة اثبات حقية الانبياء على العجائب والمعجزات لينتهي الى تصادم الادلة وتعارض البراهين ، اذ ليست تلك العجائب والمعجزات من الادلة الباقية الخالدة مثل آيات الكتاب تتناولها كل يد وتجدها كل نفس فيهتدى بالدال الى المدلول ويستدل بالاثر عـلى المؤثر ، فلا بد ان تنتقل تلك الامور الى سائر طبقات الناس بالروايات والاحاديث واخبار بعضهم بعضا خصوصا في القرون التالية والاجيال الآتية ، فاذا اغتبر ما يرويه كل امة عن نبيهم وشارع دياناتهم بل عـن رؤساء مذاهبهم وأئمتهم بل عن اتربة اوليائهم ومضاجع اصفيائهم ، كما هو واضح لدى الباحث الخبير حينئـذ تتعارض الادلة وتتصادم البراهين ويخفى سبيل الحق وتنطمس اعلام الهداية ويظلم طريق الدين وتعزب انوار الحق واليقين ، أليس الفرقة الكاثوليكية مثلا يروون عن أساقفتهم ورهبانهم الماضين مـن العجائب والمعجزات مثل مـا يرويه الارثوذكس عن رهبانهم واساقفتهم ، ويتحدث اهل السنة والجماعة مثلا عن كرامات علمائهم وخوارق العادات الصادرة من اوليائهم مثل ما يرويه الشيعة عن أئمتهم ورؤسائهم ، وهكذا سائر الاديان والمذاهب والطرق والمشارب ، فاخلع ايها القارىء الكريم عنـك ثوب تقليدك القديم ، وابعد عن نفسك الاميال المذهبية والعواطف القومية ، واصعد بقوة النظر الى ذروة التحقيق وضع قدامك اصحاب الاديان والملل وارباب المذاهب والنحل ثم انظر بنظر الانسان البصير من ذلك المقـام الشامخ الخطير ، تر من الامم المتخالفة والملل المتناقضة المتباينة جماهير ممن يكفر بعضهم بعضا ويكذب كل واحد منهم الآخرين ، وبيد كل



فرقة منهم كتب مدونة من العجائب وصحف مملوءة من الغرائب من معجزات انبيائهم وكرامات اوليائهم ومناقب أصفيائهم ، وعجائب حالات رؤسائهم ، مما لا تفي لقراءته الادوار وينطوي قبل طيه واتمامه كثير من الاعمار ، ثم سرح البصر اليها وامعن النظر فيها وقل لي بحقك لو تعتبر تلك المعجزات المتضاربة والعجائب المتباينة برهانا يعتمد عليه ودليـلا يركن اليه ، بم يتبين الصادق منهم عـن كاذبهم ومحققهم مـن مبطلهم وهاديهم من مضلهم ، وبماذا تمتاز الهداية من الضلالة وطريق النجاة من طريق الهلاك ؟

فتبين بما بسطنا الكلام فيه مـا ذكرناه اولا مـن ان العجائب والمعجزات ليست من البراهين الاولية التي تدل دلالة مستقلة عـلى حقية الداعي بل هي من الامور الثانوية تدل دلالة تأييدية على حقية مظاهر امر الله ومطالع دين الله ، فلا يمكن انكار صدور المعجزات منهم لما بيناه من احاطة قدرتهم وشدة قوتهم ، ويشهد عليه تلامذتهم وأصحابهم وتحتويه كتبهم وكلماتهم ، ولا يمكن ايضا الاعتماد على جميع ما نسب اليهم وروي عنهم من العجائب والمعجزات ، والاكتفاء بها عن سائر الادلة والآيات لما ذكرناه من تناقض رواتها وضعف دلالتها، فالقاعدة الصحيحة عند علماء الكلام واللاهوت في هذه المسألة هي ان ما روي من المعجزات عن نبي من الانبياء او شارع دين من الاديان ان لم يكن فيه مخالفة وتناقض لصريح كلام ذلك النبي او الشارع فهو حق لا ريب فيه ، ويتخذ من الادلة على حقيته والبراهين المثبتـة لصدق دعوته كما رآه وشهد به السابقون الاولون ، ورأيناه ونشهد عليه من مظاهر امر الله في هذا القرن المقدس المبين ، وان وجد بينهما

تناقض ومباينة فهو من الاحاديث المأولة والاخبار المرموزة يجب حله وتأويله الى ما يوافق مشارب انبياء الله ويلائم بيانات مظاهر امر الله ، والقاعدة الكلية المعتبرة عند اهل العلم والحكمة هي ان تلك العجائب او المعجزات المروية عن الانبياء ان كانت راجعة الى كلية الروح المقدس المتجلي فيهم واحاطته وقوته وقدرته فهي من الامور الصحيحة الحقيقية والادلة الثانوية التأييدية ، والا فهي من الاحاديث المختلقة والاكاذيب الخرافية اختلقتها المحبة الكاذبة واوجدها المروق عن المحجة الواضحة ، وفيما قلناه كفاية لمن أوتي بصيرة نيرة في السنن الالهية وما طبع عليه العالم من النواميس الطبيعية .

**واما البرهان الرابع** فهو عبارة عن البشارات الواردة في الكتب السماوية في مجيء يوم الله وظهور من يظهره الله لهداية الامم في مواعيدها وتأسيس قواعد الديانة وتجديدها في مواقيتها ، كبشارات موسى وانبياء بني اسرائيل عليهم السلام في ظهور المسيح له المجد مثلا . وبشارات النبي عليه السلام وأئمة أهل بيته في ظهور المهدي وبشاراتهم جميعا في مجيء يوم الله وقيام الروح لاعلاء امر الله ، وهكذا بشارات شارعي سائر الاديان والشرائع ومؤسسي الامم والطرائق ، فانه ما من دين من الاديان الموجودة الا وخصص شارعه قسما من كتابه لبشارة من يظهره الله بعده ، ويجدد الدين ومجده خصوصا في النجاة والمعاد الاخير والظهور العظيم الكبير في القيامة الكبرى والساعة العظمى ، حيث اتفقت على بشارتها كلمتهم في جميع الصحف الاولى ، وهذا البرهان ايضا من الادلة الواضحة والحجج الظاهرة والبراهين المعتبرة المثبتة لحقية مظاهر امر ربنا العلي الاعلى ، اذ اثبتنا في المقدمات الماضية ان ظهور مظاهر امر الله تعالى انما هو في الحقيقة عبارة عن ظهور الحقيقة



المقدسة الالهية الواحدة بالذات ، والانبياء عليهم السلام هم جميعا مظاهر تلك الحقيقة الواحدة والذات المتفردة لا فرق بينهم ولا اختلاف في حقائقهم ، وقد جرت سنة الله تعالى فيما مضى من القرون وخلا من الدهور انه كان يأخذ عهد ظهوره ثانيا من الامم بألسنة انبيائه ورسله ، ويثبت تلك العهود في صحائفه وكتبه ليكونوا منتظرين لمجيء يوم ظهوره ومستعدين للتنور من اشعة نوره ليتمسكوا بعروة دينه وتستضيء عقولهم من نبراس شرائعه وقوانينه ، اذ لا يعقل ان يستغني أهل العالم يوما ما عن الظهورات الالهية او يؤسس نظام الهيئة الاجتماعية على غير القواعد الدينية او تكتفي الامم بما عندهم من القوانين الوضعية البشرية ، فان احتياج الامم الى شرائع وقوانين تحفظ بها حقوقهم واموالهم ودماؤهم وتكفل سعادتهم وبقاءهم امر واضح لا يحتاج الى مزيد بيان واقامة برهان ، والديانة ليست الا عبارة عن قوانين الهية تصان بها الهيئة الاجتماعية وتكفل لهم نيل السعادة الابدية ، وهذه مما يعجز عن ادراكه اسمى عقول بني البشر ولم تبلغ اليه ولم تتفق عليه قط مدارك اهل العلم ما لم يكونوا مستمدين من المصادر الالهية ، كما جرب في حالات الامم الراقية سابقا في معارج العلم والمدنية ، أليست الامم العظيمة الصاعدة الى أعلى قمة الفضل والمجد من قبيل الفرس والقبط واليونان والروم والهند والكلدان عجزت فلاسفتهم وعلماؤهم واكابرهم ورؤساؤهم على سعة معارفهم وسمو فضائلهم عن سن قانون تتفق عليه آراؤهم ويكفل سعادتهم وبقاءهم أو يزيل من بينهم شيئا من العوائد الوحشية القبيحة التي تضحك منها اليوم ذراريهم واحفادهم وتستهزيء بها اعقابهم وابناؤهم من قبيل ذبح الاولاد لدى الاوثان وعبادة الاصنام ووأد البنات وهتك اعراض الحرائر تقربا الى اله الجمال والصلوة للنار والحيوانات والانهار والاشجار وكثير من امثالها من الموبقات المدمرة

والمعاصي المهلكة مما كانت تحسبه عقولهم احسن العادات وافضل انواع الشرائع والعبادات ، وقد نزعها الله تعالى وازالها بظهور الديانات الالهية وتنورت عقولهم بالاستضاءة من كلمات المظاهر القدسية ، ولم يزل يوجد كثير من امثال هذه العوائد المهلكة والعوائد السخيفة الباطلة بين جميع الاديان الموجودة والملل الحاضرة مما قدر الله تعالى محوها وزوالها ونسخها وابطالها بظهور الرب القدير وورود اليوم العظيم الاخير كما هو واضح لدى النبيه البصير .

فيظهر مما قلناه ان ظهور الديانات الالهية اعظم موهبة سماوية لحفظ الهيئة الجامعة البشرية وأجلّ منحة ربانية لتكميل الفضائل الانسانية ، وتبشير الانبياء بظهورها ثانيا ليعد اصحاب العقول الراجحة لقبولها وليهيىء ارباب القلوب النقية لاجابتها بعد ظهورها ، فتعد بشارات الانبياء بمن يظهره الله تعالى بعدهم لاحياء اموات الدين واقامة سنن الانبياء الماضين من اعظم الادلة والبراهين وأجلّ الحجج المثبتة لحقية مظاهر امر الله رب العالمين ، الا ان فهم تلك البشارات وادراك دقائقها وحقائقها موكول لاصحاب العقول الراجحة والقلوب النقية وارباب الصدور الطاهرة والنفوس الزكية كما يظهر من المقالات الآتية ببراهين واضحة جلية ، وكذلك تعدّ بشارات الانبياء دليلا ثانويا بالنسبة الى الكتاب الالهي والبرهان العقلي لان بشارات الانبياء انما هي من الادلة اللفظية ، والادلة اللفظية بسبب ما فيها من الاستعارات والكنايات من اقسام المجاز وبسبب ان اللغات تتغير في القرون والاجيال ، حتى قلما تفهم لغة بعد انقضاء الف سنة عليها بدون الترجمة ولا يمكن ان يعتمد على مفاهيمها بدون قرائن قطعية ، ولذلك تعد الادلة اللفظية عند الفلاسفة واهل المنطق من الادلة الخطابية



لا من البراهين القطعية ، هذا سوى ان الكلمات الالهية المحفوظة في الكتب المقدسة كما هو مصرح به في نفس الكتب انما هي من العبارات المرموزة المختومة والمقاصد الاصلية منها مستورة غير معلومة ، وفك تلك الختوم وكشف تلك الرموز انما هو منوط بمجيء المنتهى وقيام الساعة الكبرى ، فلا يمكن والحالة هذه الا ان تعد البشارات ايضا من الادلة الخطابية التأييديه لا من البراهين العقلية الاولية ، ولنتكلم ونبحث في هذه المسألة فيما يلي مبسوطا ونستوفي الكلام فيها كاملا ، فنقول اعلموا اضاء الله وجوهكم البهية بنوره الباهر الوضاح ، وأيد كلمتكم العالية بآيات اليسر والفلاح ، انه لما كان مقدرا في علم الله تعالى وعظيم حكمته ان لا يتم اصلاح العالم واتفاق الامم وزوال التحزب والاختلافات وانقضاء امد الاوليات الا بظهور الله العلي الابهى ومجيء يوم الله العظيم الاعلى ، فقد اخذ عهد ظهوره من كل الامم ونودي بساعة مجيئه وقيامه في أقطار العالم ، اذ لم يوجد دين من الاديان الا قرن شارعه ومؤسسه قبول ايمانهم بالله بايمانهم باليوم الاخير ، واكد لهم ان ينتظروا النجاة في ذاك اليوم الخطير ، ولم ينقض ولم يمض قرن من القرون الماضية الا وكان فيه رجل الهي سماوي عالي الصوت رفيع النداء ثابت العزيمة عظيم المضاء يصيح وينادي بمجيء الساعة الكبرى وحلول القيامة العظمى ، وقيام الرب الاعلى وظهور جمال الله الابهى ، حتى ملئت الآفاق من بشائر ذلك الاشراق وبلغت الى السبع الطباق ودونت منها الكتب والاوراق ، ولذلك ترون أهل كل ديانة من الديانات السبع الموجودة في العالم منتظرين مجيء الساعة الكبرى ، وهي مدونة في كتابهم الذي اتخذوه كتابا الهيا ووحيا سماويا بجميع اشراطها وعلاماتها ووقائعها وحالاتها بجزئياتها وكلياتها حتى ارض موعدها ومحل اشراق نورها وزمان تحققها وتاريخ ظهورها

كما هو معلوم لمن تصفح تلك الكتب المذكورة وتعمق في بشاراتها وامعن النظر في الغازها واشاراتها ، ولما كان المقصود من انشاء هذا الكتاب هو تفسير مقاصد تلك البشارات وتبيين معاني تلك الاشارات، فلنتكلم في بعض مطالب كلية يتوقف عليها فهم آيات الكتب المقدسة وحل الغازها ورموزها وفك اختامها وفتح كنوزها متوكلين على الله منزل الآيات ومظهر الحجج والبينات وكاشف ظلمات الاوليات من أقطار الارضين والسموات .

**المطلب الاول** ان الانبياء ومظاهر امر الله كانوا كثيرا ما يستعملون في كلماتهم اقسام المجازات ، ويزينون بياناتهم اللطيفة الرائقة بأنواع الاستعارات والتشبيهات ، فانهم عليهم السلام كما كانوا من حيث الروح مظاهر اسماء الله وصفاته ومطالع حقيقته وذاته كانوا ايضا من حيث الجسد مظاهر الانسانيه ومطالع جميع اوصاف البشرية من قبيل الاكل والشرب والصحة والسقم والنوم واليقظة والتكلم والمفاوضة وغيرها من الاوصاف والشؤون والخلال والنعوت ، بل كانوا عليهم السلام في تلك الصفات والشؤون افضل نوع البشر وأكمل افراده وتجلى فيهم كل نعت من نعوت الانسانية بأجلّ تجليه وأجمل اوصافه ، فكما ان صفة حسن البيان ولطف التبيان وفصاحة النطق وبلاغة الكلام تعد فضيلة من فضائل البشر وكمالا من كمالات الانسان اذ هي من نتائج الطبع الرائق والذوق اللطيف والقريحة الصحيحة والنفس المشتعلة غير الخامدة، كذلك هي في المرسلين والانبياء والبررة والاصفياء، فانهم عليهم السلام كانوا افضل افراد البشر واكمل نوع الانسان ، وكانوا ذوي طباع رائقة واذواق لطيفة وقرائح فائقة ونفوس مشتعلة نورانية ، فظهرت بياناتهم على هيئة الاناشيد وبرزت كلماتهم في صورة



المثاني ، ففاقوا جميع الفصحاء والبلغاء في سبك المعاني في قوالب البيان ورصف الالفاظ وانسجام الكلام وسلامة العبارات ولطف الاشارات وتسجيع الكلمات وترصيع الآيات ، واستعملوا فيها أنواع المجازات والتشبيهات وستروا المعاني الدقيقة تحت استار الكنايات والاستعارات، وخدروا حور المطالب العالية في قصور الآيات واسدلوا عليها ستائر النكات والاشارات ولذلك رماهم اهل الضلالة بالشعر والمجون وتطرف بعضهم ونسبهم الى السفاهة والجنون وغالوا وقالوا « أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون »[1] جهلا منهم بالكلمات الالهية وعجزا عن التفريق بين الوحي السماوي والخواطر البشرية ، فتعالى عما يقول الظالمون وتقدس عما يتوهم الجاهلون .

**المطلب الثاني** ان جميع ما نزل في الكتب المقدسة من بشارات يوم الله ويوم القيامة وظهور الرب وورود الساعة واشراطها وعلاماتها ووقائعها وحالاتها كلها من الاستعارات التي ذكرناها والمجازات التي اشرنا اليها ، من قبيل ظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم وانتثار الكواكب وانفطار السماوات وتزلزلها وانعدامها وتبدلها وتزلزل اركان الارض وتجددها وتشقق السماء بالدخان وامتلاء ارجائها من الغيم والضباب ، ونزول الرب على السحاب وكثير من امثالها مما هو مذكور في الكتاب ومعلوم لاولي الالباب ، وبعبارة أوضح انه لا بد ان تكون لتلك الالفاظ مقاصد معقولة ومفاهيم ممكنة ومعان غير المعاني الظاهرية ومدلولات غير المدلولات الاولية ، كما هو مصرح به في نفس الكتب المقدسة السماوية ، فانظروا ايدكم الله بروح منه في الآية التاسعة وما بعدها من الاصحاح السادس من سفر اشعيا النبي حيث قال

(١) القرآن الكريم سورة الصافات الآية ٣٦ .

**« اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولا تفهموا وابصروا ابصارا ولا تعرفوا ، غلظ قلب هذا الشعب وثقل اذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع باذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى »** وهـذه الكلمات المقدسة صريحة فيما ذكرناه من ان المقاصد الاصلية من الكلمات الالهية هي غير المعاني الظاهرية ، وهي التي ختم الله تعالى على قلب اليهود أن يفهموها ، وطمس على بصائرهم ان يدركوها حيث حكم الله تعالى بذلهم وزوالهم وقضى عليهم بتشتتهم واضمحلالهم لظلمهم وسوء افعالهم وعظيم ما صدر منهم في تكذيب السيد المسيح الذي كان ظهوره اعظم آمالهم ، اذ ليس للأمم مصدر سعادة او شقاء ومورد عزة او هوان سوى فهم أو عدم فهم كلمات انبيائهم وأصفيائهم في ظهور الموعود الذي هو مرجعهم ومآبهم، وبمعرفته والايمان به عزهم وبقاؤهم ، ولكن اليهود بسبب انهم حملوا العبارات النازلة في ظهور الموعود من قبيل ظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم ورعي الحمل والذئب معا ولعب الصبي بالصل والافعى وغيرها من العلائم الكبرى على المعاني الظاهرية، ولم يروا وقوع تلك الآيات بظواهرها في ظهور السيد المسيح وقيـام الديانة النصرانية ، وعجزوا عن فهم المعاني المقصودة الاصلية من تلك العلائم الكلية تجرأوا على تكذيب سيدنا المسيح له المجد وتسرعوا في رده وانكاره عليه السلام ، فحتم عليهم الهلاك وضربت عليهم الذلة والهوان وتشتتوا في جميع الممالك والبلدان وخسروا الى يومنا هذا كمال الخسران ، ولو ادرك اليهود المعاني المقصودة من تلك الآيات وفهموا حقائق تلك العلامات لآمنوا بالسيد المسيح له المجد وصعدوا الى الذروة العليا والمجد الاثيل بسبب الايمان به عليه السلام كما هو صريح الكتاب ومعلوم لدى اولي الالباب .

وكذلك جاء في الآية الرابعة من الاصحاح الثاني عشر من كتاب



دانيال النبي **« اما انت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر الى وقت النهايـة »** .

وجاء في الآية التاسعة من هذا الاصحاح ايضا فقال **« اذهب يا دانيال لان الكلمات مخفية ومختومـة الى وقت النهايـة »** ، وهاتان الآيتان تدلان دلالة صريحة على أن المقصود من عبارات الكتاب ليس معانيها الظاهرية ومفاهيمها العرفية التي يفهمها كل انسان وتدركها كل نفس ، بل لها معان خفية ومقاصد دقيقة ولا بد من ان تبقى تلك المعاني والمقاصد خفية ومستورة الى مجيء النهاية وطلوع شمس الحقيقة .

**المطلب الثالث** ان تلك الآيات العظيمة التي ذكرناها نزلت وجاءت في جميع الكتب السماوية على نهج واحد وان اختلفت لغاتها ، وبعبارة اوضح ان علامات مجيء يوم الله وامارات ظهور مظهر امر الله واشراط الساعة وآيات القيامة نزلت على لسان الانبياء والمرسلين على طريقة واحدة وباستعارات وتشبيهات واحدة ، وان اختلفت ألسنتهم وتغيرت لغاتهم ، فكما أن الرسول عليه السلام أخبر عن مجيء الرب من السماء في ظلل من الغمام والملائكة بقوله تعالى **« هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجـع الامور »**(١) وبقوله تعالى **« يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا »**(٢) وبقوله تعالى ايضا مخاطبا للنبي عليه السلام **« وجاء ربك والملك صفا صفا »**(٣) وأخبر عن امتلاء الفضاء بالدخان بقوله تعالى **« يوم تأتي السماء بدخـان مبين »**(٤) واخبر عـن ظلمة

---

(١) القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٢١٠ .
(٢) القرآن الكريم سورة النبأ الآية ٣٨ .
(٣) القرآن الكريم سورة الفجر الآية ٢٢ .
(٤) القرآن الكريم سورة الدخان الآية ١١ .

الشمس والقمر ، وانتثار الكواكب وانفطار السماء وتزلزل أركان الارض بقوله تعالى « **اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت** »(١) وبقوله تعالى « **اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت** »(٢) وبقوله تعالى « **فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر** »(٣) وبقوله تعالى «**اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت**»(٤) وبقوله تعالى « **يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** »(٥) واخبر عن تبديل الارض والسماء ، وتجددهما بقوله تعالى « **وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** »(٦) وبقوله تعالى « **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب** »(٧) وبقوله تعالى « **يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** »(٨) الى كثير من الآيات العظيمة التي لا محل لذكر جميعها واستقرائها وتفصيلها واستقصائها ، كذلك جاءت تلك الآيات مطابقة لما في الانجيل المقدس مما أخبر الله عنها في الاصحاح ٢٤ من انجيل متى بقوله « **وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تتساقط من**

(١) القرآن الكريم سورة الانفطار الآية ١ .
(٢) القرآن الكريم سورة الانشقاق الآية ١–٣ .
(٣) القرآن الكريم سورة القيامة الآية ٧–٩ .
(٤) القرآن الكريم سورة التكوير الآية ١–٢ .
(٥) القرآن الكريم سورة الحج الآية ١–٢ .
(٦) القرآن الكريم سورة الزمر الآية ٦٧ .
(٧) القرآن الكريم سورة الانبياء الآية ١٠٤ .
(٨) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية ٤٨ .



السماء » الى آخر هذه الآية ، حيث جاء فيها جميع ما جاء في القرآن من نزول الرب على الغمام وقيام الملائكة وتزلزل اركان الارض وغيرها من العلامات العظيمة والآيات الخفية الجسيمة ، وكذلك جاءت في الاصحاح الثالث من الرسالة الثانية لبطرس الرسول اخبار صحيحة في زوال السماء والارض وانحلال العناصر وانعدامها واحتراقها ومجيء السماء والارض الجديدة بأنوارها واشراقها ، وفي الاصحاح ٢١ من سفر الرؤيا أخبر عن السماء الجديدة وطي الاوليات وزوال الامور العتيقة الموجبة للمصائب والبليات وغيرها من العلائم والآيات ، وكذلك جاءت تلك الآيات بألفاظها وأطوارها في التوراة المقدس وكتب انبياء بني اسرائيل من العهد العتيق طبقا لما جاء في الانجيل المقدس والقرآن المجيد ، فقد أخبر الله تعالى في الآية ٢٣ من اصحاح ٢٨ من سفر التثنية بتغيير السماء والارض على بني اسرائيل انذارا لهم بمعاصيهم وتبشيرا بقرب مجيء الرب حيث قال « **وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا والارض التي تحتك حديدا ويجعل الرب مطر ارضك غبارا وترابا ينزل عليك من السماء حتى تهلك** » ، وأخبر عن تجديد السماء والارض وزوال الاوليات وانقضاء أمد المصائب والبليات في الآيات ١٧ وما بعدها من الاصحاح ٦٥ من كتاب اشعيا النبي حيث قال « **لأني ها انا خالق سموات جديدة وارضا جديدة فلا تذكر الاولى ولا تخطر على بال ، بل افرحوا وابتهجوا الى الابد فيما انا خالق ، لاني ها أنا ذا خالق اورشليم بهجة وشعبها فرحا ، فابتهج بأورشليم وافرح بشعبي ولا يسمع فيها بعدها صوت بكاء ولا صوت صراخ** » ، وكذلك جاء في الآية ٢٩ من الاصحاح ٦٦ من هذا الكتاب « **لانه كما ان السموات الجديدة والارض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي بقول الرب هكذا يثبت نسلكم واسمكم** » ، واخبر عن امتلاء الفضاء بالضباب والسحاب

وعن الظلمة والخراب وارتفاع نداء رب الارباب في الاصحاح الاول من كتاب صفيا حيث قال « **قريب يوم الرب العظيم ، قريب وسريع جدا صوت يوم الرب حينئذ يصرخ الجبار مرا ، ذلك اليوم يوم سخط ، يوم ضيق وشدة ، يوم خراب ودمار ، يوم ظلام وقتام ، يوم سحاب وضباب** » واخبر عن تزلزل الارض والسماء ، وظلمة الشمس والقمر والنجوم قدام ظهور الرب وقبيل مجيء اليوم المعلوم في الآية ١٠ من الاصحاح الثاني من كتاب يوئيل حيث قال « **قدامه ترتعد الارض وترتجف السماء الشمس والقمر تظلمان والنجوم تحجز لمعانها** » ، وقال في الآية ٣١ من هذا الاصحاح « **تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخوف** » ، واخبر في الاصحاح الثاني من كتاب حجي عن تلك الآيات ايضا حيث قال « **لانه هكذا قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والارض ، والبحر واليابسة وازلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا** » .

فيظهر جليا واضحا لمن تدبر وتفكر وتعمق وامعن النظر في الآيات المذكورة ان مقصود الانبياء والمرسلين بيان حقيقة واحدة من تلك العبارات ، وجميعهم اطلقوا تلك الالفاظ على سبيل الاستعارة والمجاز لبيان مطلب واحد — وان تغيرت لغاتهم وتعددت ألسنتهم وتباينت بلدانهم وأزمانهم — وسببه الاصلي هو ان منزل الكتب ومرسل الرسل وباعث الانبياء وشارع الشرائع كما بيناه في مسألة التوحيد هو الله الواحد اخبر دائما عن مجيءيوم واحد عبر عنه بالساعة الكبرى والطامة العظمى ، فلا بد وان تكون مقاصده ايضا واحدة في بيان اشراطها وتعداد علائمها واماراتها .



**المطلب الرابع** هو ان جميع الكتب المقدسة فيها نصوص وتصريحات بأن تلك الآيات التي ذكرناها مغلوقة مختومة ، وأبواب فهمها وادراكها مسدودة الى مجيء النهاية وورود القيامة ، خاب من رامها قبل ورود ذاك اليوم العظيم وضل من فسرها قبل قيام الرب القديم ، كما يدلكم ما جاء في الآية العاشرة من اصحاح ٦ من كتاب اشعيا حيث قال « **غلظ قلب هذا الشعب وثقل اذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى فقلت الى متى ايها السيد فقال الى ان تصير المدن خربة بلا ساكن ، والبيوت بلا انسان، وتخرب الارض وتقفر ، ويبعد الرب الانسان ويكثر الخراب في وسط الارض** » ، وقد جاء في الآية الرابعة من الاصحاح الثاني عشر من كتاب دانيال النبي « **أما أنت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر الى وقت النهاية . كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد** » ، وجاء في الآية ٩ من هذا الاصحاح ايضا « **اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية مختومة الى وقت النهاية كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون اما الاشرار فيفعلون شرا ولا يفهم احد الاشرار لكن الفاهمون يفهمون** » ، وهذه الآية صريحة واضحة دالة على ان المقاصد الاصلية من علائم يوم الله وظهور الرب ومجيء المنتهى خفية غامضة مغلوقة مختومة لا يفهمها احد الى مجيء النهاية وورود الساعة ، وحينذاك ايضا لا يفهمها الاشرار ولا يدرك معانيها الاصلية المقصودة الا البررة والاخيار .

واني في سنة ١٨٨٨ من التاريخ الميلادي المطابق لسنة ١٣٠٦ من التاريخ الهجري لما سافرت من طهران الى اصفهان ونزلت اياما في مدينة كاشان ، انعقدت جلسة مناظرة في بيت أحد من التجار اسمه حق نظر ( أي العازار ) للنظر في براهين الظهور وعلائم مجيء يوم النشور ،

حيث كانت تلك الايام اوائل انتشار الكلمة في احفاد الخليل ونفوذ الايمان في آل اسرائيل ، وكان المحفل حافلا بكبار اليهود ومشائخهم وسراتهم ودعاتهم ، وفيهم ثلاثة من كبار علمائهم ومشاهير ازكيائهم وأحدهم اسمه مردخاي شيخ يناهض السبعين وكان رجلا حسن الوجه بشوش المحيا واسع الاطلاع باللغة العبرية لطيف المحاضرة في المناظرة العلمية ، فلما دار الكلام بيننا في براهين أمر الله وطال المقال وظهر بطلان جميع شبهاته وسقطت وسائل ايراداته وانتقاداته ، تمسك اخيرا بظواهر العلامات والامارات وتشبث بعدم تحقق الاشراط والآيات ، وقال لا بد قبل ظهور الموعود من ظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم ورعي الحمل والذئب والبقر والاسد معا ولعب الاطفال بالافاعي والحيات واعتزاز الشعب المقدس في كل الجهات ، والحال انه لم تظهر بعد هذه العلامات ولم يتحقق صدق وعود الانبياء في هذه المنصوصات ، فأجبته وقلت له أخبرني أيها الشيخ المحترم هل أنت وحدك تفهم من تلك الآيات هذه المعاني الظاهرية وتحملها على معانيها اللغوية أم جميع اليهود يفهمونها كذلك ولا يصرفونها عن الظواهر ؟ فقال نعم جميع اليهود من الشرقيين والغربيين والاسياويين والاروبيين يفهمون تلك البشارات مثل ما فهمت ويفسرونها كما فسرت ، ولذلك لم يعبأوا بدعوة يسوع ومحمد ولم يعتبروهما من الانبياء الصادقين الذين أخبر عنهم موسى اذ لم يظهر شيء من تلك العلامات الصريحة في ظهورهما ولم يتحقق وعد النبيين في أيامهما ، فقلت أنا قرأت في كتاب اشعيا النبي ان الله تعالى أمره بأن يختم على قلوب بني اسرائيل ويطمس بصائرهم لئلا يفهموا معاني الكتاب المقدس ، وأمر دانيال النبي بأن يختم الكتاب ويغلق معانيه فهل صح ذلك أم لا ؟ فقال أي نعم وهذا امر منصوص لا يقبل الشك والترديد ، فقلت له اذا أمر نبي جليل بختم قلوبكم وطمس



أبصاركم لئلا تفهموا الكتاب ، وأمر رسول عظيم بختم الكتاب واخفاء معانيه وستر مقاصده واغلاق مراميه أخبرني ايها الشيخ المبجل من الذي يعتمد بعد هذا على فهمكم وتفسيركم ويعتبر بيناتكم وتقريركم ؟ اذ لو اعتبرت تفسيراتكم للكتب المقدسة صحيحة ومعرفتكم بمعاني آيات الله حقيقة لما يتم حينئذ ختم القلوب والالباب ولم يبق معنى لختم السفر واغلاق الكتاب ، فأرتج عليه وأفحم في الخطاب ولم يقدر على الجواب وتهللت واستبشرت وجوه الاحباب .

وفي الانجيل المقدس ايضا شواهد كثيرة على اغلاق معاني الآيات وصعوبة فهمها وادراكها ودقة معانيها ومقاصدها ، حتى ان تلامذة السيد المسيح له المجد وهم انصار الله واولياؤه كثيرا ما كانوا لا يفهمون معاني كلماته ويسألون منه حل رموز بياناته ، فانه عليه السلام كان في غالب الاحيان يكلمهم بالرموز والالغاز ويعلمهم بالدقائق والامثال ، كما يدلكم عليه ما جاء في الآية ٣٤ وما بعدها من الاصحاح ١٣ من انجيل متى حيث قال **« هذا كله كلم به يسوع المسيح الجموع بأمثال ، وبدون مثل لم يكن يكلمهم لكي يتم بالنبي القائل سأفتح فمي بالامثال وانطق بمكنونات منذ تأسيس العالم »** .

ومن المعلوم لارباب النباهة ان المواعظ والنصايح والاحكام والحدود الواردة في الكتب المقدسة ليست من الامور المكتومة والمعاني المختومة حتى يبينه المسيح له المجد بالامثال والالغاز أو يستره تحت ستائر الاستعارة والمجاز ، فان الانبياء عليهم السلام بينوا الشرائع والاحكام بصريح البيان وفصيح الكلام بلا تأويل وتلميح وضرب من الستر والابهام لتحفظ أحكام العبادات والمعاملات بين الانام وتصان بها الهيئة الاجتماعية في جميع القرون والايام ، بل المراد من الامور المكتومة منذ تأسيس العالم هو رموز الحشر والنشر ودقائق القيامة

والبعث وظلمة الشمس والقمر وسقوط الكواكب والنجوم وامتلاء الفضاء بالغيوم ومجيء الرب على السحاب وقيام الاموات من التراب واشراق الارض مشارقها ومغاربها بأنوار رب الارباب ، وغيرها من الآيات العظيمة النازلة في الكتاب مما كانت لم تزل معانيه ومفاهيمه غامضة مستورة مغلقة مختومة على وجوه الطلاب ، ولكن سيدنا المسيح له المجد والبهاء وعدهم بفك تلك الختوم وفهم تلك الانباء حينما ينزل الرب من السماء ، ويبين لهم حقائق تلك الاشياء ، كما يدلكم عليه ما جاء في الآية ١٢ من الاصحاح ١٦ من انجيل يوحنا حيث قال عليه التحية والثناء « **ان لي امورا كثيرة ايضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه** » وفي الآية ٢٧ من الاصحاح ٦ من هذا الانجيل ايضا « **اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الابدية التي يعطيكم ابن الانسان لان الله الأب قد ختمه** » .

ومن المعلوم لدى اولي البصائر ان مصدر الحياة الابدية هو الكلمات الالهية كما قال السيد المسيح عليه السلام في جواب المجرب « **ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله** »(١) فاذا ختم الله تعالى كلماته التي هي مصدر النجاة ومبعث الحياة فلا يمكن لاحد ان يفك ختمه الا هو نفسه ، وكذلك خص التنزيل بالانبياء والتأويل بالرب تعالى حينما ينزل من السماء ويرفع الغطاء عن كل الاشياء ، وآيات القرآن صريحة بأن تأويل كلماته انما يأتي في يوم معلوم وأجل مسمى كما يدلكم عليه ما نزل في سورة الاعراف الآية ٥٢ و٥٣ حيث قال جل جلاله « **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**

---

(١) انجيل متى الاصحاح الرابع الآية ٤ .



**هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** » وقال ايضا في سورة يونس الآية ٣٩ « **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** » ، فكأن أكابر قريش وزعماء العرب كانوا يعتقدون امتناع تحقق تلك الآيات ويرون وقوعها من المستحيلات ، وكانوا يقولون بأن محمدا يغرر بقومه ويستهوي بأصحابه ويعدهم ويمنيهم بما لا يعقل وقوعه ويستحيل ويمتنع تحققه ووجوده ، فنزلت هذه الآيات المذكورة مصرحة بأن لها معان وتأويلات سوف يظهرها الله تعالى في اليوم المعلوم ويفك ختمها ويكشف عن حقائقها ظهور الحي القيوم ، وليس المراد من التأويل الامعان غير ظاهرة أطلقت عليها تلك الالفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه ، فسترت تلك المعاني العالية المقصودة تحت ستائر تلك الاستعارات وخدرت حور مقاصدها الجميلة في قصور تلك الاشارات ، فبقيت خفية غامضة مقصورة مستورة مدى الدهور والاجيال ، لم تدركها اسمى عقول بني الانسان ولم يطمثهن انس قبلهم ولا جان الى أن اذن الله تعالى برفع حجابها وكشف نقابها وفك ختومها وفتح أبوابها ، فتهللت وجوه حور معانيها وابتسمت ثغور جميلات تأويلاتها ومراميها وفتحت أبواب جناتها وانتشرت نفحات آياتها وملئت آفاق الارض بطيب شميمها وانتثرت أوراق زهور الحقائق بهبوب نسيمها ، فتعطرت مشام الابرار من طيب ريّاها وأحيت القلوب بلطيف مغزاها ، فظهرت حقائق الكتب المقدسة السماوية لاصحاب القلوب الحية والنفوس المرضية كما سيظهر من التفاسير التي سنتلوها على أرباب البصائر النيرة والافئدة النقية ، وهنا نضع القلم ونطوي المقال ونكتفي بما كتبناه من باب المقدمة على

سبيل الاجمال ، فقد جاء الربيع وضاق المجال وأتى أوان الارتحال ، واقترب زمان الطيران من أرض الفراعنة الى بلاد القياصرة وقضت الظروف بمبارحة مصر والتوجه الى الممالك الاروبية متوكلا على الحضرة الالهية ومستمدا من القوة البهائية ، متمسكا بعروق الميثاق مستنيرا من انوار نير الآفاق وقد تمت المقدمة في يوم العيد المبارك الاضحى عاشر ذي الحجة سنة ١٣١٨ من الهجرة المقدسة في بور سعيد .

## المقدمة الرابعة

( في بيان قياس الادلة الاربعة ونسبتها الى ظهورات مظاهر امر الله )

فاذا عرفتم ايها الابرار حقيقة البراهين الاربعة ومقادير حجيتها ودلالتها على حقية مظاهر امر الله ، فاعلموا أضاء الله وجوهكم البهية بنوره الباهر الوضاح وأيد كلمتكم العالية بآيات اليسر والنجاح ، أن هذه الادلة والبراهين تثبت حقية مظهر أمر الله في زماننا هذا أكثر وأوضح وأجلى مما كانت تدل على حقية مظاهر أمر الله في الازمنة السابقة والاجيال الماضية ، فكما اننا تكلمنا في ماهية تلك البراهين وحدودها وتعاريفها وسبب حجيتها ودلالتها على وجه العموم ، فلنتكلم ثانيا في نسبتها الى كل واحد من مظاهر امر الله على وجه الخصوص ليظهر ويثبت ان هذه البراهين قائمة ومتوفرة في هذا الظهور الاعظم الاسنى والطلوع الافخم الابهى ، ونعني به ظهور سيدنا البهاء جل اسمه وعز ذكره اكثر مما توفر في ظهور من سبقه من الانبياء ، بحيث لو أنكر احد هذا الظهور الاعظم وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجلية لا يمكنه اثبات حقية دين من الاديان الماضية كما يتضح جليا من المباحث الآتية .



انظروا ايدكم الله تعالى بروح منه في أمر سيدنا موسى عليه السلام والدليل الذي يمكن ان يستدل به بنو اسرائيل في اثبات حقية دينه من الادلة الاربعة التي ذكرناها وفصلناها .

**اما الكتاب** الذي اعتبرناه أتم دليل وأعظم برهان فلا يوجد ما يستند الى موسى عليه السلام الا التوراة المقدس أي الاسفار الخمس المضبوطة في العهد القديم ، وهذا الكتاب كما سنوضحة ان شاء الله تعالى في مقامه لا يمكن ان يستند شيء منه الى موسى عليه السلام الا الكلمات العشر الواردة في الاصحاح الخامس من سفر التثنية والنشيد والبركة الواردتين في الاصحاح ٣٢ والاصحاح ٣٣ من هذا السفر ايضا ، وباقي ما في الاسفار الخمس اما شرائع وقوانين كتبها ودونها يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام على شعبه وألحقها بأصل التوراة كما يظهر من الفقرة ٢٥ من الاصحاح ٢٤ من سفر يشوع ، واما التواريخ والقصص فقد كتبها وصنفها عزرا الكاهن بعد جلاء بابل ورجوع الشعب الى سوريا وبناء القدس ثانيا بأمر الملك الكبير اردشير ملك الفرس كما يتبين بعد الفحص الدقيق من التاريخ القديم .

**واما البرهان العقلي** أي القوة السماوية المعطاة لمظاهر أمر الله لتشريع الشرائع وتهذيب أخلاق الناس ، فيظهر مقدارها من مقدار تأثير كلمتهم في هداية الامم وان كانت لها رابطة ايضا باستعداد النفوس لقبول الهداية ، ومن المعلوم ان الكلمة النبوية في ظهور موسى عليه السلام لم تؤثر الا في هداية أمة واحدة وهم بنو اسرائيل سكان فلسطين سابقا ، وبعبارة أوضح ان كلمة موسى وانبياء بني اسرائيل عليهم السلام

في مدة الف وخمسمائة عام انما أثرت ونفذت في أمة واحدة من الامم القاطنة في مملكة سوريا ولم يظهر لهـا أثر ونفوذ في الامم والممالك الاخرى .

**واما البشارات** فلم يبق كتاب من كتب الانبياء الذين ظهروا قبل موسى من قبيـل ادريس ونوح وابراهيم الخليل عليهم السلام ، ولم يوجد ذكر له أو اشارة اليه في كتب شارعي سائر الاديان الموجودة من قبيل البوذية والبرهمية والزردشتية والصابئة ، فليست ثمة بشارة يستدل بها على حقية الديانة الموسوية ، نعم توجد عبـارة واحدة في اخنوخ السابع من ولد آدم ويظن بعض كبار المؤرخين انه هو المعبر عنه بادريس عليه السلام فيالكتب العربية وبقيت تلك العبارة محفوظة في رسالة يهوذا القديس ، وهي تشير بل تصرح الى ظهور الله او ظهور الرب في ربوات من النفوس القدسية ولا رابطة لها بظهور موسى عليه السلام ولا بغيره من الظهورات النبوية .

**واما المعجزات** فلا يوجد لها مصدر يثبت ظهور معجزة من موسى عليه السلام الا الاسفار الخمس أو تصديق الذين ظهروا بعده مثـل سيدنا المسيح له المجد والرسول عليه السلام حسب اعتقاد المسلمين ، ولما أنكر اليهود حقية هذين الظهورين فكم يصعب عليهم اثبات معجزات موسى للبوذية والبرهمية وغيرهم من الملل الكبرى اذ ليس لها مأخـذ الا رواية انسان واحد هو عزرا الكاهن ، فما اضعفها سندا كما لا يخفى على أصحاب البصيرة والنهى .

ثم انظروا ايدكم الله تعالى بقوة من ملكوته في أمر السيد المسيح له المجد ، والادلة والبراهين المثبتة لحقية كلمته المباركة وصحة دعوته المقدسة .



**اما الكتاب الالهي** وهو الانجيل المقدس فهو يحتوي على تعليمات يمكننا ان نحسبها حقا كلمات الله وهي لا تتجاوز بضع صفحات معتدلة، والباقي أحاديث وأخبار كتبها ودونها تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه عليه السلام في تاريخ حياته ومجاري حالاته ، على ان تلك التعليمات لم تحفظ على لغتها الاصلية التي كانت اذ ذاك لغة الشعوب القاطنة في البلاد السورية ، ولم تكتب ولم تدون في زمانه عليه السلام ايضا ، بل كتبت ودونت بعد صعوده عليه السلام الى سماء جوار الله في أزمنة متفاوتة بين أربعين سنة الى تسعين سنة من تاريخ ولادته كما صرح به مؤرخو اروبا وترجمت الى اللاتينية واليونانية في أزمنة أخرى .

**وامـا المعجزات** والآيات التي ظهرت منه عليه السلام فمصدرها الاناجيل الاربعة ، أي ترجع جميعها الى رواية أربعة أشخاص من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه على ما في أكثر عباراتهم من الاستعارات والرموز التي تصرفها غالبا عن المعاني الظاهرية ، فانظروا في الاصحاح التاسع مـن انجيل يوحنا حيث جاء فيه ان المسيح له المجـد أبصر أعمى ووقعت بسببه بين الفريسيين مناقشة ، ثم جاء في الآية ٣٩ منه ان عيسى عليـه السلام قال « **لدينونة اتيت انا الى العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون** » وهذه الآية صريحة في انه عليه السلام اراد بالعمى الجهل والضلالة وبالبصر العلم والهداية كما يزيده صراحة ما جاء بعد هذه الآية حيث قال « **فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له لعلنا نحن ايضا عميان . قال لهم يسوع لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطيئة ولكن الان تقولون اننا نبصر فخطيئتكم باقية** » فمن أين يعرف أن ما جاء في أول هذا الاصحاح انه عليه السلام أبصر أعمى ليس من هذا القبيل ؟ خصوصا اذا نظر الانسان الى عوائد كتاب اليهود في تلك

الازمنة القديمة ، فانهم كانوا كثيرا ما يستعملون الرموز والالغاز في كتبهم وانشاآتهم ويسترون المعاني تحت الاستعارات الدقيقة الغامضة في مؤلفاتهم ومصنفاتهم .

قال العالم المؤرخ يوحنا لورنس فان ( موسهيم ) رئيس مدرسة ( كوتنجن الكلية ) في كتابه تاريخ الكنيسة الذي ترجمه العالم الفاضل يعقوب مردوك الامريكاني من اللغة اللاتينية الى اللغة الانكليزية ، ثم ترجمه القس ( هنري هرس جسب ) الامريكاني الى العربية وطبعه في سنة ١٨٧٥ في مدينة بيروت من البلاد السورية في صفحة ٣٦ ما هـذا نصه « والذين شرحوا الكتب المقدسة درسوا البساطة والوضوح ، غير انه لا ينكر بأن عادة اليهود المعوجة في تغميض لغة الكتب الواضحة باستعاراتهم المغتصبة الناشفة وبتحريف الكلمات عن معناها الخاص الاصلي لكي يستخرجوا منها معنى باطنا، فهذه العادة وجد بين المسيحيين حتى في هذا القرن من يستحسنها ويقلدها فبرناباس الذي لا تزال رسالته موجودة شاهد على ذلك وله امثال » .

فاذا تفكر من يحب البحث عن الدقائـق فيما كتبناه في مبحث المعجزات في باب البراهين من أن سنة الله تعالى أبت ان تجري الامور الا على النواميس الطبيعية ، وما كتبه موسهيم العالم المحقق في عوائد اليهود من استعمالهم المجازات الغامضة الاستعارية لا يشك ان ما جاء في الاخبار من ابصار الاعمى واحياء الموتى انما هو محمول على البصارة القلبية والحياة الروحية كما اطلق على هذه المعاني في مواضع كثيرة من نفس الكتب السماوية والكلمات النبوية .

**واما البرهان العقلي** ونعني به قوة نفوذ كلمته وغلبـة دياناته ، فانها وان فاقت نفوذ كلمة موسى عليهما السلام بحيث لم تبق شكا عند



الباحث المنصف الذي لم يتعنت في البحث انها كلمة الهية وغلبة روحانية، فان كلمته المقدسة نفذت في أمم كثيرة وصارت سبب هدايـة شعوب عظيمة مما لا ينكره الا كل جاهل مكابر وسفسطي مجادل ، الا انهـا نفذت بعد اجيال وقرون بساعدة القياصرة الرومانية وباغتصاب لم يسبق له مثيل في غيرها من الاديان الالهية ، ولذلك شك كثير من كبار المؤرخين في أصل وجود سيدنا المسيح له المجد ، ولم يزل يوجد كثير ممن يشك في وجوده حيث لم يجيء في التواريخ المصنفة في القرن الاول والثاني من الميلاد من مصنفات الرومانيين واليهود والفرس والهنـود والصينيين ذكر من ظهوره ودياناته عليه السلام ، وهذا دليل واضح على أن أمره عليه السلام لم يأخذ في القرنين الاولين دورا مهما ونفوذا كبيرا حتى يذكره المؤرخون في كتبهم التاريخية ، قال موسهيم في تاريخه الذي ذكرناه في ذكر حوادث القرن الثالث عشر في صفحة (٤٥٠) ما هذا نصه : « ان كاتبي ذاك العصر اللاتينيين كثيرا ما يشتكون من الاعداء الجهاريين للديانة المسيحية ومن المستهزئين بالاله الاعظم ، وهذه التشكيكات باطلة لا يوثق بها لان اناسا حاذقين أمعنوا النظر في الديانة التي بشر بها وعلمها الاحبار الرومانيون وخدامهم وأصحابهم وحكموا بأنهـا هي الديانة الوحيدة الحقيقية التي علم بهـا المسيح وأقاموها بالنـار والسيف ، فاقتنعوا بسهولة ان المسيحية انما هي تلفيق اخترعه واشاعه الكهنة لأجل صالحهم ، وخاصة لانه لم يوجد من يعلمهم أحسن من هذا التعليم ، علاوة على ذلك ان الفلسفة الارسطية التي غلبت في كل مدارس اروبا واعتبرت صحيحة لا يشوبها فساد جعلت كثيرين يهملون التعاليم المسلم بها والمعلم بها من جهة العناية الالهية وخلود النفس وخليقة العالم وغيرها من القضايا ، وهكذا كانوا يشيعون الكفر » .

وعبارة هذا المؤرخ الذي لم يكن متهما في دياناته بل كان ثابتا مستقيما في الديانة المسيحية صريحة في أن هؤلاء المنكرين لم يجدوا ذكرا للسيد المسيح له المجد في الكتب التاريخية والا لما انكروه بل كانوا ينكرون تعاليم الاحبار الرومانيين ، نعم كثيرا ما حاول أهل التدليس والتمويه من الذين لم يعرفوا قوة الكلمة الالهية وغناها واستغنائها عن الحيل البشرية أن يدخلوا في التواريخ القديمة ذكره عليه السلام ليمكنهم أن يقاوموا هؤلاء المنكرين ويدافعوا عن الانبياء والمرسلين ، الا انه اضر بالديانة المسيحية أكثر مما أرادوا ان تنتفع به ، اذ ظهرت حيلهم ودسائسهم ، فزادت شبهات المنكرين ووساوسهم كما فعلوا ذلك في ترجمة كتاب ( يوسيفوس اليهودي ) من اللغات الاروبية الى اللغة العربية ، وأدخلوا فيه ذكر المسيح له المجد ، وأوعزوا الى بعض أصحاب الجرائد العلمية التي تنشر في مصر أن يدرج فيها ان كتاب يوسيفوس لا يوجد عند اليهود اخفاء لهذه الدسيسة وسترا لهذه الحيلة ، والحال ان هذا الكتاب يوجد بكثرة عند اليهود بخط اليد ، وقد تتبعنا ذلك وبحثنا عنه في مدينة همدان ، والنسخ الاصلية الموجودة في المكاتب العامة في أروبا ليس فيها اشارة الى المسيح عليه السلام ، وقد صرح بذلك الدكتور كيث الانكليزي في كتابه الذي صنفه في تصديق انبياء بني اسرائيل لاثبات امر سيدنا المسيح له المجد ، حيث قال ان يوسيفوس اجتهد كل الجهد أن لا يشير في كتابه الى ذكر اسم المسيح ، وقد ترجم كتابه هذا من اللغة الانكليزية الى الفارسية بمساعدة الاباء الانجيليين في مدينة ارومية من مدن آذربايجان وطبع في ادنبرغ سنة ١٨٤٦ من الميلاد ، وخلاصة القول ان الجاهلين بقوة الكلمة الالهية ادخلوا بالحيل الدنيئة ذكر المسيح عليه السلام في التواريخ القديمة ، ظنا منهم انها تنفع الديانة الطاهرة المسيحية الا انها اضرت بها ضررا لا ينكره الا كل غبي ،



حيث ظهرت تلك الدسائس والحيل فزهت ونست بين النصارى شيع ونفوس كثيرة ممن أنكر الديانة الالهية بل أنكروا أصل وجود المسيح عليه السلام والحال أن مسألة اثبات وجود المسيح حقيقة لا تحتاج الى تلك الحيل ولا الى تصديق المؤرخين فان وجوده عليه السلام ثابت محقق بشهادتين عظيمتين .

**الشهادة الاولى** شهادة مظاهر أمر الله تعالى بوجوده وحقيته ، فان شهادتهم هي شهادة الله وهي تؤثر في العالم اكثر من كل مؤثر ، فانظروا في شهادة سيدنا الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بأن المسيح له المجد هو روح الله وكلمته كيف أثرت في العالم وأقنعت الامم ، حيث يشهد نحو من ثلاثماية مليون من الشرقيين من المسلمين بأن عيسى عليه السلام هو روح الله وانه هو كلمة الله ، ويرسمون هذه الشهادة جيلا بعد جيل في صدورهم ويحفظونها نسلا بعد نسل في قلوبهم بما شهد به محمد رسول الله عليه السلام ، وكانوا قبل ظهور النبي عليه السلام لا يعرفون عيسى ولا يعترفون بحقيته ، وهذه هي الشهادة المثبتة والكلمة النافذة ، وسوف ترون أن أهل العالم بأجمعهم يخضعون لاسم سيدنا عيسى ويعترفون بأنه هو الكلمة العليا بما شهد به ربنا الابهى جل اسمه الاعلى ، والى هذه النكتة تشير الآية ١٨ من الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا حيث قال **« انا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الاب الذي ارسلني »** ، ومعنى شهادة الاب هو شهادة الرب اذ لا يعقل شهادة الذات بدون مظهرها ومطلعها كما ذكرناه واثبتناه في مسألة التوحيد ، فاذا أثبتت شهادة مظهرين من رسل الله وجود سيدنا عيسى عليه السلام وأقنعت نصف جميع أهل العالم بحقية كلمته وصدق دعوته فماذا يتأتى من شهادة بضع افراد من المؤرخين سواء أقروا أو

أنكروا ، وماذا يرجى من شهادتهم سواء شهدوا أو لم يشهدوا .

**الشهادة الثانية** دلالة الاثر على المؤثر ، وهذه شهادة عقلية بل حسية اذ لا شك ان الديانة المسيحية التي غيرت حالات العالم القديم حادثة ، والحادثات لا بد لها من محدث وجاعل ومنشىء ولم يدّع أحد ولا جماعة انه منشىء هذه الديانة ، ولم تنسب يوما ما الا الى المسيح له المجد ، فيثبت بلا شك انه هو شارعها الوحيد ومقيمها الفريد ، خصوصا اذا اعتبر مبدأ تلك القوة القوية التي غلبت قوى العالم والعقل والادراك الخارق للعادة الذي أصلح نقائص الامم وبرأ امراض القلوب ووفق بين القبائل والشعوب ، لا يعقل ان يستر تحت ستائر الاختفاء والخمول ، أو تنسج عليه عناكب النسيان والذهول ، ولعمر الحق لو جاز للانسان ان يشك في مثل هذه المسألة العظيمة مما لم يدّع احد انه هو جاعلها ومنشئها سوى المسيح له المجد ليجوز له الشك في كل المسائل فيطرأ الشك في كل الامور ، ويختل نظام الجمهور ويصح مبدأ الشيعة السوفسطائية ويعتبر كل الحقائق من الامور الوهمية ، فاذا عرفت هذه المطالب التي دعتنا الضرورة الى ذكرها وبيانها فلنرجع الى ما كنا نتكلم فيه من الادلة التي يمكن لنا الاستدلال بها على حقية ظهور المسيح له المجد .

**واما البشارات** الواردة في الكتب المقدسة المحفوظة في العهد العتيق ، فاذا نظرنا الى الوحدة الذاتية التي اثبتناها في باب التوحيد لمظاهر أمر الله ، فلا شك أن أكثر تلك البشارات تنطبق وتصدق على ظهور سيدنا المسيح عليه السلام ، كما تصدق بهذا المعنى على الذين ظهروا من بعده ، واذا نظرنا الى خصوصيات تلك المظاهر المقدسة مما يعيّنهم ويميز بعضهم عن بعض ، فلا شك ان أكثر تلك البشارات



لا تنطبق ولا تصدق على ظهوره الاول ، كما سيبين في تفاسير آيات الكتاب بعون الله رب الارباب ، ومما يجب ان يلتفت اليه أولوا البصائر هو ان مفسري الكتب المقدسة بأجمعهم حاولوا أن يفسروا جميع البشارات الواردة في التوراة ورسائل انبياء بني اسرائيل على ظهور سيدنا عيسى عليه السلام ، فجاهدوا فيه جهاد الابطال وصرفوا فيه المهج والاموال ، واهتموا كل الاهتمام ليقنعوا الطالبين ان المراد من تلك البشارات ليس الا بيان حوادث يوم ظهوره وقيامه وذكر مصائبه والآمه ، حتى ان بعضهم تمسكوا في مبدئهم هذا بالحيل والتمويه وبعضهم بالاجبار والاكراه ، حتى اذا لم يتمكنوا من اقناع الناس بالبرهان حاولوا ان يقنعوهم بحد السيف والاحراق كما تشهد به التواريخ فيجميع الآفاق ، فان كثيرا من علماء اللاهوت ومفسري الكتب المقدسة كانت عادتهم اقناع الناس واثبات عقائدهم الدينية بالجدل ، وبما كانوا يسمونه المحاولة سواء وافق الحق والواقع أو لم يوافق ، اذ كان مقصودهم الغلبة على الخصم اعتمادا على المبدأ المعروف منهم ( ان الغاية تبرر الواسطة ) ، وكان الاستبداد المطلق وعدم الحرية يساعدهم على اجراء مقاصدهم وغلبة عقائدهم ، فظهرت تفاسير الكتب المقدسة مموهة محرفة مبعدة تافهة ، قال الفاضل المؤرخ يعقوب مردوك الامريكاني في كتاب تاريخ الكنيسة صفحة ١٠٦ بعد ما ذكر اسماء كبار الكتاب والمفسرين في القرن الثالث الميلادي ما هذا نصه :

« ولكن يجب ان لا نسهو عن ان نذكر ان المباحث المؤلفة لمضادة اعداء المسيحية في هذا العصر تجاوزت كثيرا حدود البساطة الاصلية وطريقة الاحتجاج القديمة ، لان العلماء المسيحيين الذين تعلموا على نوع ما في مدارس البيانيين والسفسطيين نقلوا بدون اتباه فنون هؤلاء

المعلمين الى المحاماة عن الديانة المسيحية ، فلم يكن همهم سوى غلبة الخصم سواء كانت بالسفسطة أم بالبراهين السديدة ، وهكذا استصوب نحو الجميع نوع الجدال الذي يسميه القدماء (ايكونوميا) أي محاولة، والذي غايته الغلبة لا اظهار الحق، والافلاطونيون نظرا لكثرة الاستعمال أكدوا بأنه لا يخطىء الانسان في استعمال الباطل والاقيسة السفسطية للانتصار للحق حين وقوعه تحت خطر الغلبة » الى ان قال « فهذا الميل الرديء الى ان يحتالوا على الخصم ويغلبوه أكثر من أن يحاجوه بالبرهان السديد أوجد أيضا كتبا كثيرة مزورة عليها اسم انسان مشهور، لان أكثر الجنس البشري تؤثر فيه قوة الاسم أكثر من البرهان وشهادة الكتب المقدسة ، فلاحظ الكاتبون انه يجب زيادة اسماء عظيمة ذات شهرة على كتبهم لكي يناضلوا بأكثر نجاح أخصامهم ، فمن هذا نتجت تلك القوانين المزورة بنسبتها الى الرسل » .

وقال ايضا في صفحة ١٣٤ في ذكر أسباب نفوذ الديانة المسيحية في القرن الرابع ما هذا نصه : « ان الامر واضح ان رغبة الاساقفة غير الكالة وغير أناس أفاضل وطهارة العيشة النقية التي اظهرها مسيحيون كثيرون وترجمات الكتب المقدسة ، وسمو الديانة المسيحية كانت عند الكثيرين أسبابا فعالة كما كانت أسباب طلب الربح العالمي ، واجتناب الخسائر العالمية عند الآخرين . واما نظرا الى العجائب فاني اتفق مسرورا مع الذين يزدرون بالعجائب المنسوبة الى بولس وانطونيوس ومرتينس، وأسلم ايضا بأن حوادث كثيرة اعتبرت سهوا كعجائب (أي معجزات) وهي بالحقيقة حسب قوانين الطبيعة لانها عملت باسم الديانة ولاجل غايات حميدة صنعت ايضا غير أنها كانت كاذبة ومبنية على ذلك المبدأ الشيطاني ( ان الغاية تبرر الواسطة ) » .



وأمثال هذه العبارات كثيرة في هذا الكتاب وغيره من الكتب التاريخية المعتبرة ، وجميعها تدل دلالة واضحة على ان كتاب القرون الاولى الذين تعد كتاباتهم أنور وأطهر وأنقى من القرون الاخيرة وصارت كتبهم أساسا وأصلا لما اعتقدوه وكتبه كتاب القرون المتأخرة ، كانوا يعتمدون على الغلبة واقناع الخصم أكثر مما يجب عليهم أن يعتمدوا على الحق وبيان الواقع ، وكان يهمهم اقناع اليهود والزامهم قبول تفاسيرهم أكثر من الوثنيين ، فانهم كانوا أصل الدوحة المسيحية ومنازل وحي الكتب المقدسة السماوية ، فاجتهدوا كل الجهد وتمسكوا بجميع الحيل والوسائل لعلهم يقنعون هذه الأمة التعيسة بأن المقصود من بشارات الكتب المقدسة في ظهور الرب هو ظهور عيسى عليه السلام، وانها جميعا مخبرة عن حوادث أيامه ومنبئة عن مصائبه وآلامه ، الا ان جميع هذا الاهتمام في التفسير والتلفيق والسعي في اثبات الموافقة والتطبيق أبعد اليهود عن الايمان بالسيد المسيح أكثر مما أرادوا ان يقربهم اليه ، فان اليهود الذين كانوا يقرأون الكتاب كل يوم بكل دقة وأرجعوا كل امورهم اليه، وعلقوا كل آمالهم عليه عرفوا معنى البشارات وعلموا مغزى تلك ( المحاولات ) ، فرأوا رأي العين ان بشارات الكتب المقدسة وخصوصا المنبئة عن عواقب هذه الامة لا توافق ولا تنطبق على ظهور سيدنا عيسى له المجد ، مهما بالغ المفسرون من النصارى في تطبيقها وحاولوا بالمحاولة المعهودة توفيقها ...

فلما كانت هذه الامور من المسائل الواضحة عند اليهود لم تؤثر عليهم تفاسير النصارى ولا محاولتهم ، بل زادتهم تلك التفاسير والمحاولات بعدا عن الحق حيث انكروا حقية السيد المسيح وأعرضوا عن النظر والتثبت في امره عليه السلام ، فأراد نواب الاحبار

العظام أن يجبروا بني اسرائيل على قبول تلك التفاسير ويقنعوهم بحد السيف والقصاصات الصارمة اذا لم يمكنهم ان يقنعوهم بقوة البرهان ، فأجبروا اليهود بالانضمام الى الكنيسة المقدسة في مدد مديدة وقرون عديـدة .

قال الفاضل المؤرخ ( موسهيم ) في حوادث القرن السادس من كتاب تاريخ الكنيسة ما هذا نصه : « ان الاكثرين لجأوا الى الاقرار بالمسيحية طمعا بمواهب الامراء وخوفا من القصاص أكثر من الاقتناع بقوة البرهان ، ان اليهود غصبوا في فرنسا على ان يعتمدوا ، وهكذا وقع في اسبانيا » .

وخلاصة القول انه لما رأى اليهود تلك التفاسير المختلة من جهة وتلك المحاولات الباطلة من جهة اخرى ، وتلك القصاصات الصارمة ثالثة من جهات شتى لم يرتابوا في ان تلك المصائب كلها مـن السيد المسيح عليه السلام ، فتاهوا في بعدهم وعمهوا في ضلالتهم وتمسكوا أشد التمسك بمبادىء غوايتهم حتى تمت فيهم انذارات المنذرين وحقت عليهم كلمة النبيين ، وهم وان استحقوا كلمة العذاب بما كفروا بالسيد المسيح له المجد وتكلموا في طهارة السيدة مريم العذراء بما زادهم مقتا وشقاء عند الله ، الا أن أكثر ذنب بقائهم على كفرهم راجع الى المفسرين والمحاولين والمنتقمين الذين سبق القول عنهم ، انهم أبعدوا اليهود عن الحق وأظلموا السبيل عليهم ، ولو مشى المفسرون على النهج القويم وفسروا الآيات على حقائقها المقصودة وأثبتوا حقية كلمة سيدنا عيسى لهم من طريقها لسهلوا لهم سبيـل الدخول في الايمان وقربوهم الى محجة الاذعان ، فان في نفس التوراة المقدس وكتب الانبياء عليهم السلام



لشواهد وآيات صريحة على حقية سيدنا عيسى عليه السلام مما يغنيهم عن المحاولة والانتقام ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى في ما يأتي مـن التفاسير في هذا المقام .

ثم انظروا ايها الاحباء في أمر الاسلام والادلة التي يريد المسلمون ان يستدلوا بها على حقية سيدنا الرسول عليه السلام .

**اما الكتاب** السماوي والوحي الالهي باعتقادهم فيه هو القرآن الشريف والمصحف المجيد ، وهو قد كتبت آياته وحفظت سوره في زمان الرسول عليه السلام ودونت ورتبت في زمان خلفائه في مجمع من أكابر أصحابه وأوليائه ، واتفقت الملـل الاسلامية على اختلافهم وتفرقهم شيعا ومذاهب على مصحف واحد من دون اختلاف كلمـة وتغاير حرف ، الا انه لا يزيد عن مجلد واحد أي ثلاثين جزءا نزلت على النبي عليه السلام نجوما متفرقة في مدة ثـلاث وعشرين سنة ، وسيدنا النبي كما هو معلوم عند الجميع كان من قريش أي من أشهر قبائل العرب فصاحة وبلاغة ، حتى عدّ اكثر علماء الاسلام فصاحة بيانه في القرآن حجة بالغة وبلاغة كلامه معجزة دامغة، ولكننا فندنا هذا الرأي في كتب عديدة واظهرنا سبب اعجاز الوحي السماوي ووجوه تمييزه عن كلام البشر بما لم يبق شك فيه لارباب البصائر والنظر .

**واما نفوذ كلمته وغلبة ديانته** فلم تظهر ظهورا تاما فيما عـدا العرب من الفرس والخزر والترك والهنود الا في القرن الثاني مـن الهجرة ، نعم بلغت فتوحات امراء الاسلام في القرن الاول شرقا الى فرغانة وغربا الى سيسيليا واسبانيا ، ولم يعهد من امراء الاسلام الا قليلا منهم انهم أجبروا أمة على قبول ديانتهم حيث خيروهم بين أداء

الجزية وقبول الديانة ، بل ان نفس الغلبة كانت كافية لأن يعتنق الناس دينا أرقى من دياناتهم القديمة التي كانت كلها طقوسا وآدابا خرافية كعبادة النار او الاوثان ، خصوصا اذا اضفنا اليها تشويقات زهاد المسلمين الذين كانوا كثيرين اذ ذاك وبساطة معيشتهم الظاهرة ، ومع ذلك لم يشرع الناس في قبول ديانة الاسلام في بلاد الخزر وبين النهرين قبولا حقيقيا الا في القرن الثاني والثالث من الهجرة كما ذكرناه .

**واما معجزاته وعجائبه** مما اقترح عليه اعداؤه منها ، ويحاول علماء الاسلام ان يثبتوها له عليه السلام فينفيه صريح آيات القرآن ، فان في القرآن آيات صريحة في ان الله تعالى لم يشأ في ظهور الاسلام ان يظهر آية ما الا الكتاب لانها منذرة بالهلاك والدمار ، كما قال جل وعلا في سورة الاسراء الآية ٥٩ « **وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا** » ، يعني ان الله تعالى امتنع وأبى أن يظهر المعجزة في ظهور محمد عليه السلام ، لان الامم الاولى مثل الفراعنة وعاد وثمود طلبوا المعجزات من الانبياء ثم كذبوا بها وانكروها ، فاهلكهم الله تعالى بسبب انكارهم وتكذيبهم ، فانه تعالى لا يرسل آية ومعجزة الا انذارا بالهلاك وتخويفا من الدمار ، وامثال هذه الآية كثيرة في الكتاب ، قد استوفينا الكلام فيها في الفرائد وفي الدرر البهية وفي فصل الخطاب ، وأما ما ظهر منه عليه السلام من المعجزات من غير اقتراح فليس لها مصادر الا روايات وأحاديث قلما يمكن الاعتماد عليها الا من باب حسن الظن ، واذا أضفنا الى ذلك ضعف دلالة المعجزات على حقية الداعي كما بيناه في بابه ، فلم يبق هناك ما يليق الاعتماد عليه والاستدلال به ، ولكنه يوجد في القرآن الشريف والاحاديث



الصحيحة المروية عنه عليه السلام أخبار عن الامور الآتية مما لا يستهان به ولا ينكره الا المجادل المتعنت ، فقد أخبر عليه السلام بجميع حالات أمته ومادارت عليه من الاطوار من الصعود والنزول والنشاط والخمول والقوة والضعف والتفرق والتحزب وأمثالها من الاحوال بكلياتها وجزئياتها الى انقضاء امدها وانتهاء دورتها ، وكذلك أخبر عن الامور الحادثة في انقضاء الدهور من ظهور المهدي ونزول روح الله وقيام الانبياء الكذبة وظهور الدعاة الكاذبين والقيامة الصغرى والقيامة الكبرى وأشراطها وعلاماتها ، كل هذه الامور ايضا بجزئياتها وكلياتها ومواقعها وميقاتها مما لا يمكن ان يدركه الانسان بالمدارك البشرية ويخبر عنه بالانظار السياسية ، بل لم يشاهد مثله في آثار من سبقه من المظاهر القدسية ، الا انه لما دونت تلك الاحاديث في القرن الثاني والثالث الهجري وكانت عادة رواة الاحاديث في مدة قرنين او اكثر انهم يحفظونها في صدورهم ويخبرون عنها بألسنتهم ، ولا بد من أن يقع فيها من الغلط ويظهر بينها الاختلاف بسبب السهو والنسيان الذي هو من لوازم الانسان ، وكان فوق هذا تعدّ رواية الاحاديث النبوية اذ ذاك شأنا مقدسا محترما بين الامة الاسلامية ، فاتخذها طلاب الرئاسة وسيلة للبلوغ الى المقاصد الدنيوية وكان فوق هذا وذاك ان الخلفاء الجائرين الذين كانوا في خوف دائم من السلالة الطاهرة العلوية والعترة المقدسة النبوية يشترون ذمم بعض السابقين من الصحابة والتابعين ليختلقوا لهم أحاديث في فضائل اعداء أئمة أهل البيت لعلهم يصرفون أنظار الامة بهذه الحيلة عن العترة الطاهرة ويحفظون مراكزهم في المملكة العضوضة والخلافة الجائرة ، فراجت تجارة الاحاديث وربحت اسواق اختلاق الاخبار فاختلط الصحيح بالفاسد والحق بالباطل ، ودونت كتب من هذا القبيل من الاحاديث وتقبلها العلماء خوفا وطمعا ورهبة ورغبة مما

صار اخيرا سبب ضلالة الامة وخمول الملة وسقوطهم في هاوية الهوان والذلة ، على ان كل ذلك لم يمنع ارباب البصائر المنيرة عن معرفة الاخبار الصحيحة وتمييزها عن الاحاديث الضعيفة ، فان لكلمات الانبياء والمرسلين ومخازن حكمهم ومطالع علومهم سمات ومزايا لم تخف على أهلها ولن تشتبه على أربابها ، وليس مرادنا من الاحاديث الصحيحة ما اصطلح عليه علماء الاسلام من الشيعية والسنية ، فان أهل السنة والجماعة يعتبرون ان الحديث الصحيح ما يوافق مذهبهم والراوي على مذهبهم ، ويضعفون كل حديث دونه مهما كان راوي الحديث ثقة وأمينا ، وهكذا علماء الشيعة لا يعتبرون اخبار من لم يكن على طريقتهم ومذهبهم ، وهذا لا يغني طالب الحقيقة شيئا ولا يميز الباطل من الحق ولا يرفع الاختلاف من البين ، اذ لا تتنازل طائفة لرأي أخرى بل المراد به ما يوافق الحق ، فالحديث الصحيح ما يوافق كتاب الله فان **فيه تبيان كل شيء** أو يوافق الواقع فان تلك البشارات جميعها وقعت وصحت فماذا ينتظر العاقل بعد .

وخلاصة القول ان الاخبار عن الحوادث الآتية كان دليلا يمكن ان يستدل به المسلمون على حقية شارع ديانتهم ، ولكنهم افسدوه بأنفسهم وخلطوا حقه بباطلهم تزلفا الى الخلافة الجائرة من آل ابي سفيان المعبر عنها بالوحش الصاعد من الهاوية في الانجيل وبالشجرة الملعونة في القرآن .

**واما بشارات** ظهور سيدنا النبي عليه السلام في التوراة المقدس وكتب انبياء بني اسرائيل فهي نقط تنضب من خلال الاستعارات المعقدة كالجلاميد الصلبة ، الا انها صافية رائقة كالزلال الجاري من خلال صخور الجبال مما سنشرحه ان شاء الله تعالى فيما سيأتي من المقال .



وأما بشارة ظهوره في الانجيل المقدس فهي أظهر وأجلى خصوصا في الاصحاحين الحادي والثاني عشر من سفر الرؤيا ، ولكنها جميعها مقدمات وأشراط للتبشير بمجيء يوم الله وورود الساعة الكبرى وظهور جمال الله الابهى .

فاذا عرفتم ايها الابرار كيفية نشر الديانات السابقة ومقدار ما عند أصحابها من الادلة الاربعة ، فاعلموا أفاض الله عليكم نورا من ملكوته الأبهى ، أن تلك الادلة المذكورة تدل على هذا الظهور الاقدس الاعلى دلالة أظهر وأجلى وأتم وأقوى مما كانت تدل على الديانات الاخرى ، بحيث لو أنكرها احد اصحاب تلك الديانات ليستحيل عليه اثبات حقية دينه كما اشرنا اليه في المقالات الاولى ، فلنتكلم في نسبة كل دليل من الادلة المذكورة الى هذا الظهور الاعظم كما تكلمنا في نسبتها الى سائر الاديان ليظهر الفرق جليا لاهل الايمان .

**اما الكتاب الالهي** أي الوحي السماوي فمع ما كانت تصادف ربنا الابهى طول ايام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة والرزايا والدواهي العظيمة مما ليس هنا محل ذكره ، ومع انه لم يكن من اهل العلم ولم يدخل المدارس العلمية فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية مما لا نبالغ اذا قلنا انها تزيد على ما عند ملل الارض جميعها من كتبهم السماوية وصحفهم الالهية ، كل ذلك في حل غوامض كتب الانبياء وتفسير كلمات الاصفياء وجواب مسائل عويصة سأل عن حلها أكابر الفلاسفة والعلماء مما كانت مختومة بختم الانبياء من سابق العصور وعجزت عن ادراك حقائقها عقول عقلاء الناس في جميع الدهور ، أو في شرائع وأحكام وقوانين وآداب تهذبت بها اخلاق أخشن الملل ، وبها يمكن ان تحفظ حقوق كل الامم ويتفق بها جميع أهل العالم ، أو في

خطب شاملة لدقائق معاني التوحيد والتفريد وغوامض نعوت الحمد والتمجيد للثناء على الرب المجيد ، وكيفية ظهور الانبياء وبيان مواقف الاصفياء أو في صلوات وتسبيحات وأذكار ودعوات للمناجاة مع الله والقيام بين يدي الله والتبتل اليه والتضرع لديه مما يرقق العواطف ويلطف الخلائق ويورث خشية الله التي هي الاساس الحصين للحكمة الناتجة من روح اليقين والايمان المتين ، واليهـا يشير قوله تعـالى **« واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »**(١) .

وخلاصة القول انه قد جرت في مدة أيامه المباركة من قلمه الاعلى وبيانه الاحلى أربعة أنهار من تلك المعارف العاليـة الالهية والحكم السامية السماوية ، ما أحيت به القلوب وابتهجت به النفوس وقامت به الاموات وانشرحت منه الصدور ، وهذه هي الانهار الاربعة الجارية من عرش الله في الجنة العليا والينابيع الفائضة بماء الحياة في الملأ الاعلى ، كما بشرت به حفظة الوحي وأخبر الله عنـه بلسان موسى **« يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي وكالطل على الكلأ وكالوابل على الاعشاب »**(٢) .

وأما الفرع الكريم المنشعب من الاصل القديم والنور الساطـع من سماء ارادة ربنا الرحمن الرحيم ، فكاد ان يعجز قلم الكاتب البليغ عن وصف ألواحه المقدسة وبياناته ، وتشخيص ماهية اخلاقه المعجزة وحالاته ، وها هي ألواحه الكريمة التي تربو عن الآلاف منثورة في الاقطار انتثار اوراق الزهور في الربيع من الاشجار ، ونفحات من قلمه السيال فائحة في الامصار فوحان نسيم الصبح في الاسحار ، واني في

(١) القرآن الكريم سورة الحجر الآية ٣٩ .
(٢) التوراة ، التثنية الاصحاح ٣٢ الآية ٢ .



سنة ١٨٩٤ من الميلاد لما سافرت الى الارض المقدسة وساعدتني العناية الالهية بالتشرف بالحضرة القدسية قد دهشت وتحيرت فيما شاهدت من عظائم أطواره وآثاره ، ورأيت بعيني في مدة عشرة اشهر أيام اقامتي في جواره مرارا ما بحضره الاقدس من كبار القضاة والعلماء واكابر رجال العسكرية والملكية مـن الامم والشعوب المختلفـة في الاديان واللسان ، وكانت تأتي اليه الرسائل من اطراف الممالك رزما مع مـا يحيط به من الصعوبات التي تنوء بها الجبال يكتب جواب كل واحد من تلك بنفسه الكريـمة ــ والكل يكلمونه في حاجاتهم ، ويجيبهم في مطالبهم ــ دون تأمل او تفكر او سكون قلم او رجوع الى مسودة او مساعدة كاتب حتى ملئت من ألواحه المقدسة جميع الآفاق ، وبلغ نداء ربه الابهى الى السبع الطباق ، فانجذبت القلوب الى الواحه المنشورة وطارت الارواح الى صحفه المكرمة المنشورة التي يفوح شذا طيب بيانه من كلماتها وتنفجر ينابيع العلم والحكمة من آياتها ، ولعمري لم يجد شعر ابي الطيب المتنبي مصداقا حقيقيا الا في هذا الظهور الاعظم ، والقرن الافخم ، حيث قال :

بأبي وأمـي ناطـق في قولـه     ثمن تباع له القلوب وتشترى
قطف الرجال القول وقت نباته     وقطفت أنت القول لمـا نورا
واذا سكتت فان ابلـغ خاطب     قلم لك اتخذ الاصابـع منبرا

وأما النقطة الاولى والمثال الاعلى المبشر بجمال ربنا الابهى جل ذكره وعز اسمه ، فقام بالامر وهو ابن خمس وعشرين سنة من أطهر بيت وأقدس أسرة ، وكان قبل قيامه مشتغلا بالتجارة مع خاله الذي كان مثالا للتقوى والتقديس ، فلما قام حضرته باذن ربه الابهى وصدع بالامر في مكة المكرمة في تلك الجمعية الكبرى ونادى نداء ارتجفت له

رسوله بآيات الفرقان الجامع لمحاسن البيان فقالوا ان محمدا خـدع الناس بسحر بيانه وتزويق الفاظ قرآنه ، ثم ارسل النقطة الاولى بآيات البيان وبساطة التبيان ، فقالوا ان الباب كلماته دارجة غير جاحظية وآياته خارجة عن القواعد النحوية ، فماذا يفعل الله تعالى مع هذه الآراء المتناقضة والانتقادات المتضادة ، الا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريـد ويترك هؤلاء المشككين يتخبطـون في تشكيكاتهم ويلعبون بشبهاتهم ، ولقد أدهشني أكثر من الكل ما قاله مركز النقض من الفئة الناقضة والفرقة الناكصة في ألواح سيدنا المولى عبد البهاء وبهاء من في ملكوت الاسماء على ما هي عليه من لطف بيان ورقة معان خضعت لها رقاب الفصحاء وزلت لها اعناق البلغاء قالوا انها لم توجد فيهـا اغلاط نحوية اذا فلا تشبه الكلمات الالهية .

فلنترك المكذبين ليتيهوا في غمرات الاوهام ، ولنرجع الى ما كنا فيه من سياق الكلام ، فقد تم فيهم ما قال سيدنا عيسى عليه السلام حيث قال في آية ١٦ من الاصحاح ١١ من انجيل متى « **بمن اشبه هذا الجيل يشبـه اولادا جالسين في الاسواق ينادون الى اصحابهم قائلين زمرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا لانه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان ( أي مجنون ) جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطـاة ، والحكمة تبررت من بنيها** » .

**واما البرهان العقلي** أي نفوذ كلامه وانتشار امره مـن دون واسطة من الوسائط البشرية بل بصرف الارادة الالهية والبراهـين السماوية ، فالامر ظاهر لا يحتاج الى بسط مقال وتقديم استدلال ، فان كلمته المقدسة على مـا كانت تمنع نفوذهـا وانتشارها القوات الاستبدادية بجميع وجوهها واطوارها نفذت في أقل من ربع قرن من



رسوله بآيات الفرقان الجامع لمحاسن البيان فقالوا ان محمدا خـدع الناس بسحر بيانه وتزويق الفاظ قرآنه ، ثم ارسل النقطة الاولى بآيات البيان وبساطة التبيان ، فقالوا ان الباب كلماته دارجة غير جاحظية وآياته خارجة عن القواعد النحوية ، فماذا يفعل الله تعالى مع هذه الآراء المتناقضة والانتقادات المتضادة ، الا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريـد ويترك هؤلاء المشككين يتخبطـون في تشكيكاتهم ويلعبون بشبهاتهم ، ولقد أدهشني أكثر من الكل ما قاله مركز النقض من الفئة الناقضة والفرقة الناكصة في ألواح سيدنا المولى عبد البهاء وبهاء من في ملكوت الاسماء على ما هي عليه من لطف بيان ورقة معان خضعت لها رقاب الفصحاء وزلت لها اعناق البلغاء قالوا انها لم توجد فيهـا اغلاط نحوية اذا فلا تشبه الكلمات الالهية .

فلنترك المكذبين ليتيهوا في غمرات الاوهام ، ولنرجع الى ما كنا فيه من سياق الكلام ، فقد تم فيهم ما قال سيدنا عيسى عليه السلام حيث قال في آية ١٦ من الاصحاح ١١ من انجيل متى « **بمن اشبه هذا الجيل يشبـه اولادا جالسين في الاسواق ينادون الى اصحابهم قائلين زمرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا لانه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان ( أي مجنون ) جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطـاة ، والحكمة تبررت من بنيها** » .

**واما البرهان العقلي** أي نفوذ كلامه وانتشار امره مـن دون واسطة من الوسائط البشرية بل بصرف الارادة الالهية والبراهـين السماوية ، فالامر ظاهر لا يحتاج الى بسط مقال وتقديم استدلال ، فان كلمته المقدسة على مـا كانت تمنع نفوذهـا وانتشارها القوات الاستبدادية بجميع وجوهها واطوارها نفذت في أقل من ربع قرن من

٢١٣

# مقالات ورسائل

# هو العزيز

حبيبي[١] قد وصلني جوابك وسرني كتابك واطربني خطابك ، بما ادركت من خلال سطوره تلألؤ انوار العلم والعرفان وشممت من غمام خطوطه تألق بروق الحجة والبرهان ، فحمدت الله ربي وربك بما اسبغ عليك من نعمه الروحانيةعلى عنفوان شبابك وصغر سنك، واجزل عليك من آلائه الرحمانية في مقتبل ايامك وغضاضة غصنك ، وأسأله تعالى ان يطيل بقائك ويؤيدك على نصرة امر مولاك ويلهمك ما هو خير لك في آخرتك واولاك .

وأما ما سألت من المواضيع التي يمكن ان يستدل بها على ظهور سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل ، فاعلم يا حبيبي ان من امعن النظر في الكتب السماوية مطلقا يرى انه ما من كتاب الا وفيه قسمان من التعليمات **القسم الاول** الحدود والاحكام التي تحتاج الامة اليها مدة بقائها ويرتبط بها نجاحها ويتوقف على اقامتها فلاحها ، **والقسم الثاني** البشارات الواردة في مجيء يوم الله ونزول روح الله وقيام مظهر امر الله ، وهذا اليوم هو اليوم العظيم الرهيب المهيب الذي عبر عنه في الكتب السماوية بتعبيرات شتى وسمي باسماء عليا من قبيل يوم الرب ويوم الملكوت ويوم الحسرة ويوم التلاق والقيامة والساعة وامثالها ، وقد ذكر الانبياء عليهم السلام لمجيء هذا

---

(١) كتب الاستاذ المحقق هذه الرسالة جوابا على سؤال حضرة حسين افندي روحي ساله عن موارد بشارات ظهور سيدنا الرسول عليه السلام في الكتب المقدسة حينما وقع بينه وبين احد القسوس مناظرة في هذه المسألة .

اليوم اشراطا وعلامات وشواهد وأمارات ودلائل ومقدمات ، مما هو مذكور ومدون في كتب الاولين ومنصوص ومصرح في كلمات الاقدمين، ثم اعلم يا حبيبي انه وان كان يستفاد من بعض الكتب ان الانبياء عليهم السلام من لدن زمان عتيق مجهول الابتداء كانوا يبشرون الناس بمجيء امر الله وطلوع فجر يـوم الله وزوال ظلمات البـدع والاختلافات والحروب والاحقاد بين عباد الله ، الا انه بسبب ظلمة التواريخ القديمة وانقطاع أخبار الملل العتيقة وصعوبة ابقاء الآثار العلمية بسبب فقدان صنعة الطبع والورق وامثالهما في الازمان الغابرة وانعدام التعـاون والتناصر والتعارف بين القبائل الداثرة ، لا يمكن الاطلاع الكافي عما جاء في أخبار الانبياء قبل موسى عليه السلام، اذ لم يبق منهم كتاب ولم يوجد لهم آثار ليستفيد المستخبر من عباراتهم ويطلـع على مقتضى بشاراتهم ، فلا يمكن والحالة هذه الا ان نعتبر التوراة اول كتاب سماوي يستقى من موارده ويلتقط المقصود من شوارده ، فلنبتد اولا بذكر آيات التوراة الجليل وتتبعها بعبارات رسائل انبياء بني اسرائيل ونختمها بالبشارات الواردة في الانجيل وتتوكل على الله انه هو نعم المولى ونعم الوكيل • قال الله تبارك وتعالى كما جاء في الآية الثانية مـن الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من اسفار التوراة **« جـاء الرب من سينا واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران واتى مـن ربوات القدس وعن يمينه قبس الشريعة »** ، فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة ان بين يدي الساعة وقدام مجيء القيامة لا بد من ان يتجلى الله على الخلق اربع مرات ويظهر اربع ظهورات ، فظهر اولا بمقتضى هذه الآية الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى الله عليهم بظهوره من جبل سيناء ، ثم ظهر ثانيا سيدنا عيسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سعير ، ثم ظهر ثالثا سيدنا الرسول صلى الله



عليه وآله وسلم بظهوره من جبل فاران ، فدارت الادوار وتتابع الليل والنهار حتى ظهر الرب المختار وتم الظهور الرابع بأمر الملك العزيز الجبار ، ولا عبرة بما يتكلف بعضهم في رد دلالة هذه الآية من أن الفاظ أشرق وتلألأ وأتى جاءت بصيغة الماضي ولو كانت الآية بشارات للظهورات الاربع لجاءت بصيغة المستقبل ، لان بشارات الكتب المقدسة حتى القرآن الكريم كثيرا جاءت بصيغة الماضي دلالة على وجوب تحقق مفهومها وقطعية منصوصها كقوله تعالى **« وجـاء ربك والملك صفا صفـا »**(١) فانظر في الآية ١٤ من رسالة يهوذا القديس كيف جـاءت صيغة الماضي بمعنى المستقبل حيث قال **« وتنبأ عن هؤلاء ايضا اخنوخ السابع من آدم قائلا هو ذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه »** والحال أن المسافة بين أخنوخ وهو ادريس النبي على ما قرره المؤرخون وبـين عيسى عليـه السلام أكثر مما بـين موسى وبـين سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والآية ١٨ من الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية حيث قال تعالى **« اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به »** تدل على ظهور سيدنا الرسول اكثر مما يحاولون ان تكون بشارة ظهور سيدنا عيسى عليه السلام ، لان قريشا وهم بنو اسماعيل اخوان العبرانيين في النسب وهم بنو اسرائيل ، فان اسماعيل واسحاق ولدا ابراهيم والعرب المستعربة ظهرت من ذرية اسماعيل ، وبنو اسرائيل ظهروا من سلالة اسحاق ، فالعرب المستعربة اذاً أخوان بني اسرائيل في النسب ، وامـا انتساب عيسى عليه السلام الى ابراهيم فلم نجد بعد دليلا يعتمد عليه ، فان اليهود وهم أهل البيت انكروا انتساب عيسى عليه السلام اليهم وصرحوا بأنه

(١) القرآن الكريم سورة الفجر الآية ٢٢ .

عليه السلام شومروني النسب كما يدلك عليه الفقرة ٤٨ من الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا حيث جاء فيه « **فأجاب اليهود وقالوا ألسنا نقول حسنا انك سامري وبك شيطان** » وهذه الفقرة تدل دلالة صريحة على ان بني اسرائيل في ذلك الزمان الذي كانت شعوبهم فيه محفوظة وانسابهم معلومة لم يعتبروه من امتهم ولم يتخذوه فرعا من أرومتهم وهم أهل البيت .

وفي سنة ١٣٠٥ حينما كنت نزيلا في مدينة همدان سمعت من احد علماء بني اسرائيل من سبط لاوى ممن آووا الى الركن الشديد وتمسكوا بحبل الله المجيد ، انه قال ان هذه البشارة لا تنطبق الا على ظهور الرسول عليه السلام حيث ان المشابهة تامة بين الديانتين الاسلامية والموسوية من حيث التشريع والقوانين والمحتد والمنشأ والشارع والمؤسس ، فهما اذاً صنوان من دوحة واحدة وفرعان منشعبان من اصل واحد ، ثم تلا عبارات الاصحاح الثالث والستين من سفر اشعيا النبي عليه السلام حيث قال « **من ذا الآتي من ادوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته** » ، فلما قرأ الى آخر الاصحاح قال ان هذه الآيات منذرة بغاية الصراحة على المصائب التي حلت ببني اسرائيل في ظهور الاسلام ، حيث انذرهم الله تعالى بمجيء رجل الهي سماوي من طرف ادوم وهي الاراضي الواقعة بين فلسطين وبلاد العرب وبصره مدينة من مدن تلك البلاد ، ويقال لها بصرى الحرير والنبي العربي عليه السلام جاء الى بر الشام مرتين قبل ظهوره من تلك الجهة مع عمه ابي طالب ، وفي بر الشام قال بحيرا الراهب لأبي طالب « ان لابن اخيك هذا شأنا ويوما عظيما فاحفظه من اعدائه » ، وخلفاء الاسلام من تلك الجهة غلبوا على بلاد الشام وفرقوا بني اسرائيل ، فلا تنطبق



بشارات هذا الاصحاح الا على الرسول عليه السلام ، حيث ان عيسى عليه السلام ما جاء من ادوم وما دخل مدينة بصره ، ولا تنطبق على ظهوره هذه البشارات . وحقيقة من ينظر في الآية الثامنة من هذا الاصحاح حيث قال « **وقد قال حقا انهم شعبي بنون لا يخونون فصار لهم مخلصا في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم كل الايام القديمة ولكنهم تمردوا واحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدوا وهو حاربهم** » ، يرى بغاية الصراحة فيها الاخبار عن الادوار الثلاثة التي دارت على بني اسرائيل في ثلاث ظهورات ، حيث قال ان الله خلص بني اسرائيل ورفعهم كل الايام القديمة أي بظهور موسى ، الا انهم أحزنوا روح قدسه أي في ظهور عيسى عليه السلام ، فانه روح الله الحق واليهود أحزنوه وانكروه وتجرؤا على شتمه وسبّه وافتوا على قتله ، فتحول روح الله عدوا لهم وحاربهم أي في ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث انه عليه السلام حاربهم وفي غزوة بني قريظة قتل منهم في يوم واحد تسعمائة رجل ، وخلفاؤه عليه السلام طردوهم من بر الشام وابطلوا ذبائحهم ومنعوهم عن اداء مناسكهم كما تشهد به التواريخ ، والى هنا نكتفي في ذكر بشارات ظهوره عليه السلام من التوراة لضيق المجال واختلال الاحوال ، ونطلب من الله التأييد على تكميل الاستدلال في فرصة اخرى انه هو ولينا في المبدء والمآل .

واما بشارات ظهوره عليه السلام في الانجيل المقدس ، فاعلم يا حبيبي ان الانسان لا يبلغ الى درجة النبوة والرسالة او الشارعية والربوبية الا بتجلي القوة القدسية السماوية في هيكل بدنه ونزول الروح المقدس الالهي على عرش قلبه ، فاذا تجلت هذه القوة القدسية

في قلب انسان ونزلت هذه الموهبة الملكوتية في فؤاد رجل وهبت هذه النفحة الالهية على نفس ونزلت هذه القدرة السماوية على بشر ، فهو اذاً يدعى نبي الله ورسول الله وكلمة الله ، وهو المنظر الاعلى والجنة العليا والسدرة المنتهى والغاية القصوى **« ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى »**(١) ، الا ان هذه الرتبة وهبية لا كسبية وتأييدية لا تحصيلية وسماوية لا ارضية ، وحقيقة واحدة لا تتعدد بتعدد المظاهر ونور واحد لا يتكثر بكثرة التجلي والمجالي ، واشراق واحد لا يتفاوت بتفاوت المشارق والمغارب ، فاذا تجلت في سيناء فهي هي هذه القوة الالهية ، واذا تلألأت من سعير فهي هي هذه الدرة السماوية ، واذا اشرقت من فاران فهي هي هذه النجمة الربانية ، واذا هبت من فارس فهي هي هذه النفحة الروحانية ، واذا بزغت ولمعت واضاءت والاحت من طهران فهي هي هذه الشمس الحقيقية الواحدة التي لم تزل كانت مشرقة في أزل الآزال ولا تزال تكون ساطعة الانوار فيما يأتي من القرون والاجيال ، ولعمرك يا حبيبي لا معنى للتوحيد الا معرفة هذه النكتة الدقيقة ولا يخرج الانسان من ظلمات الشرك الا بالوصول الى هذه الغاية الشريفة ، والى هذه الحقيقة يشير قول موسى عليه السلام **« انا الذي ارفع يدي الى السماء واقول حي انا الى الابد »**(٢) واليها يشير كلام عيسى عليه السلام **« انا هو الالف والياء البداية والنهاية »**(٣) واليها يشير ايضا ما قاله الرسول **« اول ما خلق الله نوري »** وخطابة علي عليه السلام « الا ونحن النذر الاولى ونذر الآخرة والاولى ونذر كل أوان وزمان بنا هلك

(١) القرآن الكريم سورة الاسراء الآية ١١٠ .
(٢) التوراة ، تثنية ، الاصحاح ٣٢ الآية ٤٠ .
(٣) الانجيل ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ، الاصحاح الاول الآية ٨ .



من هلك ونجا من نجا » فاذا عرفت ذلك فاعلم ان ما أخبر عيسى عليه السلام برجوعه ونزوله ثانيا كما هو وارد في مواضع من الانجيل ، انما تحقق اولا بظهور سيدنا الرسول عليه السلام باعتبار الوحدة الذاتية التي ذكرناها آنفا ، فظهور رسول الله هو رجوع روح الله حقيقة ، كما ان جميع الآثار والاعمال والقوة والقدرة التي ظهرت من عيسى عليه السلام كذلك ظهرت من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا اعتبار بتعدد المظهر والجسد اذ ليس للاجساد الا حكم الآلية لظهور آثار الارواح ، والمناط في تحقق الهوية انما هو الروح لا الجسد ، ومثاله وارد في الانجيل حيث حكم عيسى عليه السلام ليوحنا المعمدان اي يحيى عليه السلام بأنه هو ايليا النبي يعني الياس ، مع ان ايليا صعد الى السماء باتفاق اليهود والنصارى قبل يوحنا بزهاء تسعمائة سنة تقريبا ، فاذا جاز لعيسى ان يحكم بأن يوحنا هو ايليا على تباينهما اسما وزمانا ونسبا وصورة وجسما بسبب اتحادهما روحا ، فلم لا يجوز على المحقق العالم ان يحكم بأن المراد من نزول ابن الانسان هو ظهور النبي عليه السلام بسبب عين هذا الاتحاد الروحاني والوفاق الذاتي ، على ان يوحنا نفسه انكر انه هو ايليا كما يستفاد صريحا من الفقرة ١٩ الى الفقرة ٢٨ من الاصحاح الاول من انجيل يوحنا القديس ، ولكن الرسول عليه السلام ما انكر انه هو حقيقة الانبياء والرسل الماضين بل كما يستفاد من الآية الكريمة **« وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر »**(١) وقوله تعالى **« لا نفرق بين احد من رسله »**(٢) صرح بأنه هو حقيقة جميع الانبياء والمرسلين وظهوره رجعة جميع السابقين الاولين

(١) القرآن الكريم سورة القمر الآ ٥٠ .
(٢) القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

« **ان في ذلك لآيات للمتوسمين** »(١) ولعسرك يا حبيبي اني لا أتعجب من اهل الشرق اذا توقفوا دون امثال هذه الشبهات وعجزوا عن ادراك هذه النكات وجهلوا معنى الآيات لقصورهم في الطبيعيات والفلكيات ، ولكني اتعجب واندهش واتحير من الذين يعتقدون انهم من الفلاسفة الطبيعيين والعلماء الفلكيين والدكاترة الراسخين والجهابذة البالغين ، ممن مسحوا الافلاك شبرا شبرا ووزنوها جزءا جزءا واكتشفوا اجزاء العناصر الارضية وعلموا أسرارها الطبيعية ، كيف أذعنوا والحالة هذه بالمستحيلات العقلية والممتنعات القطعية وينتظرون ما لا جرت عليه السنن الالهية في القرون الاولية ، أين العقول الراجحة أين القلوب الفاهمة أين الابصار الحديدة أين البصائر السديدة أين الاحلام الرزينة أين الافهام الرصينة ؟ هل سفهت جميع الاحلام ؟ هل زلت كافة الاقدام ؟ هل نسوا مثلات الله في سابق القرون والايام ؟ هل تقهقرت النفوس بعد تقدم العالم في سلم الارتقاء الى مواقف شبهات الغابرين وسقطت في وهدة اوهام الماضين ؟ هل ينتظرون الا سنن الذين خلوا من قبلهم « **قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين** »(٢) .

فاذا عرفت ان المراد بنزول ابن الانسان هو رجوع الحقيقة القدسية الواحدة بالذات من جميع الجهات قد عرفت انه تم وكمل بظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن الله تعالى لما مضى في سابق علمه ان المتأخرين مع دعاويهم الطائلة في التقدم والارتقاء ، لا بد وانهم يسقطون في وهدة شبهات المتقدمين ويتمسكون بحبال أوهام الاولين ، فأراد ان يسقط حججهم واوهامهم لئلا تبقى على الله

(١) القرآن الكريم سورة الحجر الآية ٧٥ .
(٢) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية ٧١ .



للناس حجة ، فأنزل الله في كتاب الرؤيا بشارات ظهور الرسول عليه السلام وصرح في هذا السفر الكريم جميع حوادث ايامه وما يحدث في أمته الى يوم القيام ، فقد جاء في الاصحاح الحادي عشر من هذا الكتاب ما نصه **وساعطي لشاهدي فيتنبآن الفا ومآتين وستين يوما لا بسين مسوحا** . هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان امام رب الارض ... الى آخر الاصحاح .

وعبارات هذا الاصحاح كما ترى يا حبيبي تصرح وتنادي بأن بعد يوحنا القديس الذي نزلت عليه تلك البشارات ، يقيم الله تعالى شاهدين سماويين أي رجلين الهيين يدعوان الناس الى دين الله ويشهدان ويعترفان بحقية قيام عيسى روح الله ، وانت تعلم ان بعد صعود روح الله الى سماء جوار الله وبعبارة أصرح من لدن نزول هذا الوحي الى طلوع فجر يوم الله ، ما قام احد بالنبوة والولاية ليشهد بوحدانية الله تعالى وحقية انبيائه ورسله من آدم الى السيد المسيح الا سيدنا الرسول عليه السلام وباب مدينة علمه علي كرم الله وجهه ، فان هذين النورين النيرين والزيتونتين المباركتين قاما ونادا بوحدانية الله تعالى وحقية مسيحه وآمن بشهادتهما أمم عظيمة ممن كانوا لا يعترفون بوحدانية الله ولا بحقية مسيحه عيسى روح الله من عبدة النار والاوثان ، فآمنوا واذعنوا وصدقوا وايقنوا وهكذا تم الوحي الالهي وصدقت رؤيا يوحنا اللاهوتي ...

ومما نحب ان نذكره لك على سبيل الحكاية والفكاهة وان يكن منافيا للاختصار التي بنيت عليه المقالة ، هو ما جرى بيني وبين أحد القسوس من المناظرة في تفسير هذا السفر الجليل من اسفار الانجيل ، وهو انه لما حلت رحل الرحلة في سنة ١٣١٢ من السنين الهجرية في البلاد الشامية ،

وألقيت عصا التسيار في جوار مولى الابرار وقبلة الاحرار جعلنا الله تعالى من المتمسكين بعروة ولائه ما دام الليل والنهار ، قابلت يوما أبا نمرود احد افاضل قسوس الطائفة الانجيلية في بيت حبيبنا الجليل الدكتور روفائيل ، وتغلغل بنا الكلام الى اثبات حقية ظهور سيدنا الرسول عليه السلام ، فطلب مني اقامة البرهان في هذا المقام فقلت له ان الدليل العقلي والبرهان القطعي والحجة الواضحة والمعجزة الدامغة لاثبات حقية كل داع الهي انما هو القدرة الفائقة التي ظهرت منهم في انفاذ كلمتهم واثبات دياناتهم وابقاء شريعتهم رغما لاميال جميع الامم وغلبة على قوى جميع اهل العالم ، وهذه القوة التي لا تفوقها قوة ولا تضاهيها قدرة ولا تغلبها ولن تغلبها شوكة وعصبية ، لما لم تكن مستمدة من القوى المحصورة المعلومة البشرية من قبيل القوة المستمدة من الملك والسلطنة الظاهرة الملكية او العلوم والمعارف التحصيلية او الغنى والثروة المالية او الرباط والعصبية القومية او العزة والرئاسة الدنيوية ، فيثبت انها مستمدة من القوة الغيبية الالهية ومنبعثة من القدرة الملكوتية السماوية ، وتنتهي عند كل باحث محقق حتى الفلاسفة ومتتبعي العلل والفواعل الى علة العلل ومسبب الاسباب وهو الواجب تعالى جل ذكره وجلت عظمته ، والا ليضطر المشكك والمنكر ان يتيه في ظلمات الاوهام وينكر البديهيات والاوليات ، او يتمسك بالمستحيلات والممتنعات مثل الدور وتسلسل العلل وايجاب العلة وغيرها من الاوهام والشبهات ، وهذه هي الحجة الواضحة لكل الانبياء والمرسلين والمميز الظاهر الفارق بين الدعاة الكذبة والدعاة الصادقين ، غاية ما في الباب هو انه كلما كان ظهور الرسول متأخرا كانت الحجة اظهر واقوى حسب ناموس التقدم والارتقاء ، فأجاب القسيس بأن الادلة العقلية لا تعتبر عند الطائفة الانجيلية برهانا يعتمد عليه وطلب مني ان أستدل له بآيات



التوراة والانجيل ، حيث هي المناط المعتبر عندهم في مقام اقامة البرهان والدليل ، فقلت له اذا لم تعتبروا الادلة العقلية شيئا يعتنى به فاذاً تعجزون عن اثبات حقية سيدنا عيسى عليه السلام على من لا يعترف بحقية التوراة من الامم الكبرى مثل البوذية والبرهمية والزردشتية ، فانهم لا يعرفون موسى عليه السلام ولا يعترفون بأن التوراة كتاب الله لتستدلوا بآياته وتحتجوا ببشاراته ، فكيف تثبتون حقية المسيح لهم وتقيسون الحجة عليهم ؟ وهذا دليل واضح لجهلكم بمعنى البرهان والدليل وعجزكم عن معرفة السبيل ، ومع ذلك أتنازل لك واتلو عليك شيئا من بشارات الانجيل ، فتلوت الاصحاح المذكور وقلت له ان هذه الآيات الكريمة تبشر بقيام شاهدين عظيمين لله تعالى وحقية مسيحه ، وقد قام السيد الرسولالعظيم وصهره وتلميذه الفخيم ونادا وشهدا بوحدانية الله تعالى وحقية سيدنا عيسى ، فأجاب وقال ليس هذا معنى الشهادة بل يجب على محمد ان يشهد بأن عيسى قام وخلص العالم ونجّى جميع الامم ، فقلت له كيف نجّى وخلص جميع أهل العالم وأنت تعتقد بأن أكثر الامم بقوا في حالة الهلاك الى يومنا هذا ، وأنا أسألك عنهم امة امة لئلا تتمسك بالموهوم وتفرح بالمعدوم ، بالله عليك يا أبا نمرود هل خلص سيدنا عيسى عليه السلام الامة العظيمة البوذية ؟ فقال لا فقلت وهل خلص الامة البرهمية ؟ فقال لا وقلت هل خلص الامم الزردشتية والفتشية وبل اليهودية تماما ؟ فقال لا فقلت اذاً تتكلم في الامم النصرانية بالله عليك فهل نجّى وخلص باعتقادك الامم الكاثوليكية ؟ فقال لا فقلت وهل نجى وخلص الامم الارثوذكسية ؟ فقال لا قلت وهل نجى وخلص اليعقوبية والنسطورية والملكانية وغيرهم من ليسوا على المذهب البروتستانتي ؟ فقال لا فقلت بقي اذاً المذهب الانجيلي ولا بد انك تعتقد ان الصالحين منهم هم أهل النجاة والخلاص

وهم جزء قليل من أهل العالم . فكيف يصح قولك انه عليه السلام قام ونجى جميع اهل العالم ولو شهد احد بهذه الشهادة كيف تصدق عند العاقل شهادته ،واما نحن لو قلنا ان آباءنا الامم العظيمة أي الفرس والعرب والترك والخزر وغيرهم ممن يضيق المقام عن تعداد اسمائهم كلهم كانوا عبدة النار وعباد الاوثان لا يعترفون بوحدانية الله تعالى ولا يعرفون موسى وعيسى ، ولكن بشهادة هذا الرسول المجتبى والنبي المرتضى آمنوا بأنه لا اله الا الله وان موسى هو كليم الله وان عيسى هو روح الله وورثنا نحن هذه العقيدة الطاهرة كابرا عن كابر منهم وحفظناها في صدورنا ورسمنا حبهم في قلوبنا ، ولا يمكن لاحد ان ينكره ، وهذه هي الشهادة الصادقة والنبوة الواضحة ، فقال أي نعم ولكن ما تحصل هؤلاء الاقوام على نعمة الخلاص بسبب عدم ايمانهم ، فلو آمنوا لتخلصوا والخلاص مشروط بالايمان ، فأجبته وقلت اذاً ما حصل الخلاص وما تحقق النجاة فلا يصدق والحالة هذه شهادة ان عيسى قام وخلص العالم ، فكيف تطلب اولا ان يشهد رسول الله بمثل هذه الشهادة ، وثانيا مشروطية الخلاص بشرط الايمان ليس خاصا بسيدنا المسيح ، بل هي مزية مخصوصة بكل رسول ومنحة ممنوحة لجميع الانبياء عليهم السلام ، أليس موسى عليه السلام لو آمن به كل الناس لخلصهم من الهلاك ؟ أليس كل نبي بعث انما بعث لهداية الناس ؟ أليس معنى الهداية اراءتهم طريق الخلاص او ايصالهم الى سبيل النجاة ؟ فليس هذا امرا خاصا ممنوحا لسيدنا عيسى عليه السلام ليقيم الله تعالى شاهدين عظيمين يشهدان بما لم يقع اولا وليس مخصوصا به ثانيا ، والى هنا انتهى بيننا الكلام وتفرقنا بسلام ...

ولما كانت الايام أيام مقتبل شبابك وبدء النشأة ، فاعلم يا حبيبي



ان المناظرة والبحث لها آداب وقوانين يجب مراعاتها عليك ، لئلا تبعد السائل عن الحق وينتهي الامر الى ضد المطلوب وتتجدد الضغائن والاحن الكامنة في القلوب ، فيجب على المناظر ان يحترم مناظره ويراعي عواطفه ولا يؤلمه بالكنايات الخشنة ولا يجرح احساساته بالعبارات المؤلمة ، وان يكون مقصدهما الافهام والاستفهام لا المهاترة والمغالبة في الكلام ، واذا سمع العالم من مناظره عبارة مؤلمة او كلمة موحشة يجب عليه ان يقابله بالعفو والاغضاء ويلاطفه بالمحبة والولاء ليقربه الى الحق ويزيح عن قلبه غشاوة الجهل ، والا لينتهي الامر ولا شك الى المراء والجدال وتوقد نار الحقد في صدور الرجال ، ويأول الامر بينهما اخيرا الى الحرب والنزال ، اذ من المعلوم انه ما فتحت ابواب المحاربات الهائلة بين الامم الا بعدما وقعت بينهم من المناظرات الدينية وجرحت احساسات الطرفين ببذاء لسانهم في الاختلافات العلمية ، فشرعت رؤساء الامم أسنة اقلامهم في تسطير الردود والاعتراضات والتعريض والتعرض بمن يحترمهم اصحاب المذاهب والديانات ، فكتبوا ما امكنهم من الكذب والبهتان على مؤسسي الامور وشارعي الاديان، حتى جاشت الصدور وغلت النفوس فتبدلت حروب الاقلام بحروب السيوف وتسطير السطور بتأليف الصفوف ، فأريقت ما أريقت من الدماء البريئة وهدمت ما هدمت من البلاد العامرة ، مما لا يمكن ان يطلع على بشاعة منظره وفظاعة مخبره الا رحالة سواح في الاقطار جوّاب في الامصار يجوب خلال البلدان والديار ويرى ببصره آثار ما يقرؤه في الصحف والاسفار ، فيقف على تلك الطلول الموحشة والخرائب المستوحشة ويبكي على ما جرته عليها الالسنة الوقحة والاقلام الطائشة ، واني لن أنس ابدا ما اعتراني من الدهشة وصادفني من الحيرة حينما زرت مدينة شهرستان سنة ١٨٩٢ من التاريخ الميلادي في البلاد التركمانية

مع بعض أفاضل ضباط الامة الروسية ، فقد رأينا تلك المدينة التي كانت مولد العلامة محمد الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل خرابا يبابا قاعا صفصفا ، لا يأوي اليها الا الثعالب والجرذان ولا يمر عليها الا رعاة القبائل الرحل من التركمان ، وحقيقة من يسافر الى بلاد خوارزم ويرى تلك الصحراء التي تقطعها سكة حديد روسيا مدة يومين وليلتين تقريبا من بحر الخزر الى نهر جيحون فبخارا وسمرقند ، لا يرى فيها الا اطلال المدن الكبيرة وخرائب البلاد الشهيرة من قبيل جرجان ونساء ودرون وابيورد وشهرستان ومرو وغيرها من العواصم التي كانت سابقا زاهرة بالمعارف والعلوم وعامرة بالمهن والفنون ، بل كانت موئل المدنية والحضارة ومنبت فروع الخلافة والامارة ، ثم آلت امرها الى الخراب والبوار بما وقعت فيها من المحاربات الهائلة الدموية بسبب الاختلافات المذهبية بين السنة والشيعة ، فأريقت فيها من الدماء وهدمت القرى وأيتمت من الاطفال والاولاد واستأسرت من النسوان والبنات ما لا يمكن ان يحصيه المحصون ، فلا يرى فيها الا بلادا خالية بائرة ومزارع متروكة داثرة ومعالم موحشة دارسة ، ولا بد لله تعالى بسابق عدله ومحتوم قضائه من ان يطالب هؤلاء العلماء الذين فتحوا ابواب الخصومة بين الناس وملأوا القلوب بالعداوة والبغضاء واوغروا الصدور بالنفور والجفاء بتلك الدماء المسفوكة والاعراض المهتوكة والبلاد الداثرة والقرى والمزارع البائرة ، ويكفي العاقل فيما اشرنا اليه تلاوة الآية الكريمة **« فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون »**(١).

(١) القرآن الكريم سورة مريم الآية ٣٧ — ٣٩ .



واني كنت اترقب الفرص دائما لألقي على مسامع اهل الفضل واعرض على جنابهم ، ان العالم بسيره الحثيث الى التقدم والارتقاء لا بد من ان يرتقي يوما في مراتب حسن العواطف ودماثة الاخلاق ومحامد الاوصاف وطيب الاعراق الى اعلى درجات الكمال وارقى مراتب الاعتدال ، فتضع الحروب كما تشهد به الكتب السماوية اوزارها وتبرز أراضي القابليات كما هو منصوص في الوعود الالهية كنوزها وأسرارها ، فتتغير أخلاق الامم وتتلائم عوائد أهل العالم ، فيتبدل بغضهم بالمحبة وجفاؤهم بالالفة وخشونتهم باللين والملاطفة ، فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل، فلا ترفع أمةعلى أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد ، أفلا ينظر الينا اخلافنا اذ ذاك بالاحتقار والازدراء كما نحن ننظر الى السابقين ؟ ويرسمون رسومنا في صفوف اصحاب البداوة والتوحش كما نحن نتصور في الغابرين ؟ ألم يأن لنا ان نقوم من رقدتنا وننهض من كبوتنا ونراجع عقولنا ونتفكر قليلا فيما يأول اليه أمورنا ؟ فنطرح عن أعناقنا ثقل العصبية الجاهلية ونمحق عن دفاتر صدورنا سطور الاحقاد الدينية والمذهبية ، فنربي أبنائنا بالمحبة والرأفة بدل ما كنا نربيهم بالعداوة والضغينة ، ونرسم في قلوبهم رسوم المودة والولاء بعد ما كنا ننقش فيها نقوش المنافرة والجفاء ، ونتلو على آذانهم آيات الحب والوفاق بعد ما كنا نقرع مسامعهم بنغمات البغض والشقاق، فتبتهج اذاً اقطار الارض ببشائر الفرح والسرور وتزهر رياض الملك بزهور الانبساط والحبور ، فنصير نحن ورثة كلمة الانجيل الجليل **« طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض ... طوبي لصانعي السلام »**(١) ونكون نحن مصاديق ما نزل في الفرقان الحميد **« تلك الدار الآخرة**

(١) انجيل متى الاصحاح ٥ الآية ٥—٩ .

**نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ))(٢)** ، ولا يمكن أن تذهب تلك الاحقاد القديمة من القلوب الا بأن تحترم رؤساء الامم بعضهم بعضا ، ولا يتكلم أحد في حق غيره الا بلسان الادب ولا ينتقد عالم على عالم من غير دينه ومذهبه الا بغاية الاحترام ، نعم يجوز الانتقاد على كل عالم بل الانتقاد من آيات الارتقاء ، ولكن النقد غير الشتم ، والافهام والاستفهام غير الملاعنة والسباب ، فهلا يحترم المسيحي مثلا رؤساء المسلمين في بياناتهم ومقالاتهم والمسلم أكابر المسيحيين في كتبهم ومصنفاتهم والسني أكابر الشيعة والشيعي رؤساء أهل السنة ، لتذهب بتلك الاحقاد القديمة وتغسل ادران تلك الاخلاق الذميمة لتنبت في أراضي الصدور بدل اشواك النفور أزهار الانبساط والحبور ويرثوا فردوس الانسانية الحقيقية في جوار الرب الغفور .

واني وأيم الحق ما سرني شيء من الرسائل والمقالات في هذه الايام الاخيرة بمقدار ما سرتني رسالة من الرسائل التي أنشأها الكاتب الفاضل المجيد حضرة جاد عيد أحد الشبان المهذبين من الامة الفخيمة المسيحية والمتخرجين من المدارس السورية جوابا لصاحب جريدة ( ثمرات الفنون ) التي تطبع في مدينة بيروت في المسألة التي دارت المناظرة فيها بين حضرة هانوتو وزير الامور الخارجية سابقا في الممالك الفرنساوية واحد الائمة الاعلام من محققي علماء الاسلام في الديار المصرية ، فاختلف اصحاب الجرائد في مصر وقام كل فريق لنصرة صاحبه ، فكثر القيل والقال واشتدت المجادلة والنضال حتى انتهى الامر اخيرا بينهم الى طلب المبارزة والنزال ، وخلاصة ما دار بين الفريقين على سبيل الاجمال هي ان المسيو هانوتو كتب مقالات متتابعة

---

(١) القرآن الكريم سورة القصص الآية ٨٣ .



في جريدة ( الجرنال ) الباريسية في الديانة الاسلامية والطريقة التي يجب على حكومة فرنسا اتخاذها في معاملة رعاياها المسلمين من أهل تونس والجزائر وسائر البلاد الغربية ، وكان في جملة ما كتبه هانوتو ان الديانة الاسلامية مبنية من انقاض الديانة السامية القديمة ومؤسسة على تلك العقائد السقيمة العقيمة ، وهي دين يفضي الى الانحطاط والهبوط ويوجب الكسالة والخمول لما فيه من الاعتقاد بوحدانية اله منزه مقدس عن جميع ما يرتبط بالجسم والجسمانيات ولا رابطة بينه وبين الخلق الا العبادة العمياء والخضوع المطلق للقضاء والقدر ، بخلاف الديانة النصرانية فانها توجب النشاط والجلاد والتقدم والارتقاء الى غاية ما يتصور في الكمالات البشرية ومعالي الرتب الانسانية ، فانها مؤسسة على أساس الديانة الآرية التي كانت ديانة اليونانيين القدماء ، فانهم كانوا يشبهون الاله بانسان في اوصافه واعماله ، ولا بد من ان تفضي هذه العقيدة الى امكان التقرب الى الذات الالهية حتى يعد الانسان في مصاف الالهة السماوية ، ثم استطرد الكلام بكيفية معاملة حكومة فرنسا مع رعاياها المسلمين وتأسف انها لم تتخذ بعد طريقة معلومة من الشدة والعسف او الرفق واللين في معاملتها مع هؤلاء المساكين ، حيث ان السياسيين ورؤساء أهل النظر منهم اختلفوا في هذه المسألة فكيمون وامثاله حكموا بوجوب معاملة المسلمين بالشدة والقسوة بسبب انهم حسبوا الديانة الاسلامية عدوا لدودا للديانة النصرانية لما وجدوا في أحكامها من الاختلافات الفرعية ، قال كيسون في كتابه ( باثولوجيا الاسلام ) « ان الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك فيهم فتكا ذريعا ، بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يوقع الانسان في الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح في القبائح ، وما قبر

محمد في مكة الا عمـود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم على الاتيان بمظاهر مرض الصرع العام والذهول العقلي ، وتكرار لفظة ( الله ) الى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصلية ، مثل كراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى والجنون الروحاني والليميا او الماليخوليا ، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور والانهماك في الملذات ... الى الآخر » ، ثم حكم كيمون بأنـه يجب ابادة نحو خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد في ( متحف اللوفر ) ، وحكم بعضهم بأن دين الاسلام ومدنيته متصل مع دين النصرانية ومدنيته بعروة الاخاء والتصاحب ، وتطرف بعضهم فاعتبر الاسلام ارقى مبدأ واسمى كعبا من الدين المسيحي ، قال القس الفاضل والخطيب الطائر الصيت ياسنت لوازون ان الاسلام هو الدين المسيحي محسنا ومحورا ، ونصح الفرنساويين الذين يلتمسون دياناتهم المفقودة ان يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة، وذهب بعضهم الى لزوم احترام الاسلام ، حيث انه بمنزلة القنطرة التي يمكن ان يجتاز بها الامم الوثنية الافريقية من الديانة الفتشية الى الديانة المسيحية ، ثم بعد ما نقل مسيو هانوتو تلك الاقوال المتفاوتة والآراء المتباينة طلب من رؤساء الدولة الفرنساوية وكبار ساستها ان يتفقوا على مبدء سديد وطريقة مثلى من تلك الآراء المتضاربة المتخالفة في معاملة امة كبيرة تشتمل سكان نصف قارة افريقيا لتنتهي الى العاقبة الحسنى في حفظ كرامة الجمهورية العظمى ، فلما نشر هانوتو مقالته هذه ووصلت الى مصر وادرج صاحب جريـدة ( المؤيد ) ترجمتها في جريدته هاجت بها عواطف الامة المصرية حيث انها كانت تمس كرامة الديانة الاسلامية فكتب الامام المذكور كما ذكرناه آنفا ردا عليها في غاية المتانة بما لم يسبق له نظير من علماء المسلمين في



هذه الازمان في اتقان البيان وقوة البرهان وسلاسة الكلام وحسن التبيان ، فلما أدرج صاحب جريدة المؤيد مقالة حضرة الامام في جريدته تلقاها الافاضل بغاية السرور وابتهجت بها النفوس وانشرحت لهـا الصدور ، فانبرى لمعارضتها جماعة ممن ينتسبون الى الامة الفرنساوية وفي مقدمتهم صاحب جريدة الاهرام الشهيرة ، فانه كتب مقالات متتابعة تارة في رد صاحب المؤيد وتارة في الاعتراض على أصل مقالات الامام ، ومن جملة ما كتب في هذا الموضوع هو ان صاحب جريدة المؤيد حرّف مقالة هانوتو وترجمها على خلاف مقصود قائلها ، فلما استفاض الامر واستطار صيته وتجاوزت اخبار المعارضة والمطاولة من قطر مصر الى بر الشام وانتشرت هناك مقالات الطرفين ، سأل صاحب جريدة ( ثمرات الفنون ) حضرة جاد عيد المذكور عن حقيقة تلك الامـور خصوصا في مسألة التحريف هل صاحب جريدة المؤيد حرّف ترجمة مقالة هانوتو حقيقة او هي هي بعينها ؟ فكتب هذا الفاضل المهذب - مع انه في سن الشباب ومسيحي مستقيم في ديانته ومتمسك غاية التمسك بطريقته - رسالة في جواب سؤاله على غاية النصفة والاعتدال حيث لم نشاهد فيما سبق من ينصف ويحترم من يخالف دينه في تلك الاحوال ، وها نحن نوردها بالفاظها لتكون زينة للكتاب ونبراسا منيرا لارباب الالباب وهي هذه بعينها :

مولاي مقال هانوتو الذي سبب حركة الافكار واهتزاز الاقلام قد طالعته مرارا باللغة الفرنسوية وترجمة المؤيد غير مغلوطة ، ولكن المسيو هانوتو عند ما نقل كلام كيمون كان غير مرتاح اليه وتهكم صريحا على أفكاره وعلى الحل المتناهي في الغلو الذي زعم كيمون انه يريد ان يحل به المسألة الاسلامية ، فمترجم مقال هانوتو في المؤيد

قد حافظ المحافظة التامة على الاصل ، فاكتفى بأن يضع اشارة الاستفهام الانكاري والنقط التي تتبعها ؛ غير ان قراء لغتنا العربية لم يتعودوا على ادراك سر هذه النقط التي اصطلح عليها الفرنجة ، ولهذا التبس المعنى وظن الكثيرون أن هانوتو يصادق على كلام كيمون ، ومع ذلك فقد استأنف الكلام وعاد ثانية الى الاسلام وتبرأ مما نسب اليه وصرح بميله واحترامه للاسلام والمسلمين ، وترجم مقاله المؤيد وتبعه في ذلك الاهرام ايضا،ثم دخل(اللواء) في مضمار المباحثة وتكدر منه محرر الاهرام الفرنسوي وطالب مصطفى بك كامل الى المبارزة ، وتبع ذلك اقاويل مختلفة واقيمت الدعوى من تقلا باشا على صاحب اللواء وتشاتم الفريقان وانحاز الى كل فريق انصار ومريدون .

مولاي لو اكتفى المؤيد واللواء بما كتبه ذاك الامام العظيم لخدما حقيقة الاسلام ، لان الحق يصرع اذا عمد الى اظهاره بالسباب والشتائم ، ولم يكن لرد الامام الوقع العظيم في نفوس المسلمين فقط ، بل ان كثيرين من افاضل النصارى قد اجلوه كثيرا واحلوه محلا كريما ، ولا ابالغ اذا قلت لسعادتكم انني قرأته آكثر من عشرين مرة ، دين الاسلام كله شهامة ومروءة وحرية ومدنية طاهرة ، غير ان كيمون والذين على شاكلة كيمون قد تلقوا ما هو معاكس لروح الاسلام والمسلمين وبعيد عن عقائدهم وآدابهم واخلاقهم ، وكتّاب الفرنجة لا يراعون العواطف في اندفاعهم ، وقد كتب الكثيرون منهم في الطعن على السيد المسيح وعلى طهارة والدته وعلى كرامة تلامذته وتصدى منهم فريق عظيم للتوثب على الاحبار الاعاظم وقالوا فيهم الاقوال الشائنة التي ترتعد لها فرائص الآداب والفضيلة ، فالقوم الذين بلغ بهم التمادي والغرور الى هذا الحد أيليق أن تترجم اقوالهم ونذيع ترهاتهم على رؤوس الاشهاد ونحرك ما كمن من الاحقاد ؟



انني استحلفك بدينك القويم الذي أشرق بنوره الوضاح على البصائر المظلمة فأنارها ، وعلى العقول المقيدة فارشدها وحل عقالها ؛ وعلى قلوب المتسكعة فايقظها وقوّم اعوجاجها ؛ ان تحرك قلمك وتغمزه الى الغاية المحمودة ، وذلك في استنهاض همم فطاحل كتّاب المسلمين للذود عن الاسلام بالطرق التي يريدها الاسلام ، والطرق التي يريدها الاسلام لا تخفى على أفاضل المسلمين الذين أشْرِبَتْ قلوبهم محبة الائتلاف والموادعة والمسالمة وتحريض الامة على اكتساب الفضائل السامية في اكرام الجار وتعزيز حقوق الجوار ومعاملة عباد الله بطرق المساواة والعدل والولاء ، يوجد كثيرون من الذين لم يتشرفوا بالدين الاسلامي على ضلال مبين في أفكارهم وظنونهم نحو الاسلام والمسلمين، ولكن ضلالهم لا تعفو آثاره الا البراهين القاطعة والحجج الدامغة التي تثبت لهم ان دين الاسلام دين الحرية المطلقة والحنان الصادق والشهامة الحقيقية والمحافظة على الاعراق وكرم الاخلاق والعرض والاخلاص والوفاء .

أتظن يا مولاي ان كيمون يقذف مِن فيه تلك الاقذار لو كان قرأ في زمانه فصلا واحدا من الفصول التي دبجتها أنامل امير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ؟

أتظن يا مولاي انه يجرؤ على التلفظ بذاك الحل الهائل الذي يريد ان يحل به المسألة الاسلامية لو كان سمع بحلم وحكمة العمرين وكرم ابن زائده وعدل الرشيد وسخاء البرامكة .

أتظن أنه يحرك قلما لو علم بأن احقر رجل من المتدينين بدين الاسلام يهرق آخر نقطة من دمه في الذود عن عرض وكرامة الملتجىء اليه عند ما يسأله الحماية ؟

مهما كان كيسون والذين على شاكلته في غرور وضلال فانهم لا يستطيعون بعد معرفة الاسلام الا الثناء على الاسلام والافتخار بفضائل الاسلام .

وكنت أود من صميم الفؤاد ان اضم صوتي الى اصوات مقرري الحقيقة وانصح افاضل المسلمين ان يتخذوا الخطط الصائبة في مجادلاتهم وكسر شره المتوثبين عليهم ، فالحق أيدك الله في جانبهم غير أن بعض جهالهم يريدون ان يصرعوه في تطفلهم على صناعة التحرير والتحبير ولا اكتم على سعادتكم شيئا ، فان الاقلام التي تحركت من بعد رد الامام المعتدل المحكم لم تأت بشيء من الفائدة بل أضاعت أو أوشكت ان تضيع الحق الذي بجانبكم وتسبب حركة لا يرضاها عقلاء الامة الاسلامية والسلام .

عن القاهرة في ٩ يونيو سنة ١٩٠٠

ج. ع.

(١) ولما غابت شمس الهدى وأفل نير البهاء من الافق الادنى وتوارت غزالة النور خلف الحجاب الاقصى الاخفى ، وجادت قرائح أهل الفضل على سبيل الرثاء من القصائد والخطب والقطعات في تلك الرزية الكبرى والمصيبة العظمى بما لا يمكن ان يزيد على ألسنة أهل الشعر والانشاء ، فتلا ذاك الشاب المهذب المجيد حضرة جاد عيد على سبيل التأبين هذه الخطابة الغراء والكلم العلياء في محضر السيد المولى وجماعة من القضاة والعلماء وها نحن ننقلها ايضا افادة للقراء

(١) في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هجرية المطابق ٢٩ ايار سنة ١٨٩٢ ميلاديــة .



لتكون قدوة حسنة للكتاب وطريقة واضحة يمشي عليها أرب الالباب :

من النثر الفاخر

تنازل يا مولاي يا فخر الندى وامير المكرمات وتقبل من مفتون آدابكم عبارات يبعد نطقها عن رقيق معانيكم كبعد الارض عن نور السماء ، حاول ان يأتي على ذكر صفة من صفات مولاكم الجليل وسيدكم النبيل وبدركم الساطع وكوكبكم اللامع ، حاول ان يصف خطبا ذهلت لديه بصائر اولي الحكمة وحارت عقول اصحاب العلم والفهم

خطب ألمّ بكل قطر نعيه    كادت له شمم الجبال تزول

حاول أن يصف مصيبة كسفت لها شمس الضحى وأفل بـدر المكرمات وكبا زناد المجد وانفصمت عرى العلياء وشوه وجه الحزم والعزم ، وغاضت ينابيع المعارف وتنكرت سبلها وأقفرت ربوع المسرة ودرست معاهدها ، حاول أن يصف خطب فقيد تقوضت لمنعاه الاضالع وأرتجت لوقعه القلوب واستكّت المسامع ، فشاهدنا الكرامة تندب حظها والسيادة تبكي حامي زمارها ، والعلى يؤبن ابن بجدته والجود يرثي راعي حرمته

حتى خلنا من الأسى كل طفل    نائحا قبل ان يتم الرضاعا

وقام مفتونو بهائه يبكونه عدد انعامه وعدله وهبت قلوب ابنائهم تنتحب عليه بمقدار ما زرع فيها من حبه وفضله . كيف لا وهو الراحل الذي تولت المكرمات برحيله والواعظ المرشد الذي هداهم بواسع علمه وجزيل فضله ، فأي آثاره لا يندبون بعـده وهم لا يطلبون محمدة وعدلا الا وجدوهما عنده ، أآثار علمه التي خزنها في صدورهم أم واسع

فضله الذي شمل به كبيرهم وصغيرهم أم أثيل مجده وجزيل حكمته أم عظيم نبله وشريف كرامته ؟ ولسنا بعد رئاسته عنا وعلو مقامه ورفعة شأنه لنستطيع الاتيان بجزء من الواجب في تعداد صفاته وحسناته ولو جمعنا في رثائه جميع ما قيل في الدنيا من رثاء الملوك والامراء وأفاضل الناس ، فلا محاسن فضله تدرك ولا مآثر عدله تعد ولا فيوض مراحمه توصف ولا غزارة مكارمه تحصر ولا كرم اعراقه ككرم اعراق الناس ، فان كل هذه الصفات التي كان فيها آية الله في خلقه لم تكف بوصف بعثته الشريفة فهو الامام المنفرد بصفاته والحبر المتناهي بحسناته ومبراته ، بل هو فوق ما يصف الواصفون وينعت الناعتون ، الراحل الذي لم يترك للناس زادا غير أكباد ملتهبة ودمع مصبوب ، فكيف يسوغ وصف من جلت صفاته عن التعبير بل كيف يليق أن يخزن الدمع بعد فقد هذا السيد الخطير . ولقد

| | |
|---|---|
| جمد المـاء رعبـة وارتياعا | وجرى الصخر انّة والتياعا |
| وضياء الهنا استحال ظلاما | والى المحو مطلقا قد تداعا |
| مذ هوى من اعالي الفضل طود | راسخ جاوز السماك ارتفاعا |

وانا لنجل هذا البدر عن ان يغور في القبور وهذا النجم ان يبيت تحت الثرى ، انما هو نجم بهاء لم يكن لينتقل الا في بروج سعده ويقترن بمنازل عزه ومجده

| | |
|---|---|
| حاشا علاه من الممات وانما | هي نقلة فيها المنى والسؤل |

ولقد ناداه من احبه فأجاب بعد أن ترك آثارا تذكر متمما بعثته الشريفة ، وبعد ان اوجد في هذا الوجود معادن لطف وجود كفى بوجودهم عزا وشرفا ، فسيادتكم مولاي واتباعكم الكرام اصحاب



المآثر الحميدة تجددون بنور حكمتكم وعلمكم ما سنه نجم بهائكم المنتقل في بروج مجده ، وان أحزنكم وأحزن الجميع بنقلته فقد سر ملائك دار النعيم حيث مقره السعيد ، فتقبل ايها السيد السند من عاجز عن ادراك سر معجزاتك ومقصر عن أداء حق الواجب نحو كرامة عنصرك ، أنت يا من زرعت في قلوبنا بزور المحبة واستملتنا بكليتنا الى عشق صفاتك مراسيم التعزية التي نجهل والله كيف يليق الاتيان بها ، فباهر علمك وواسع حلمك يدركان سر قصورنا وتقصيرنا ، أدام الله بقائكم وحضرات اخوتكم الكرام بالعز والاسعاد .

الفقير جاد عيد سنة ١٨٩٢

هذا وقد جئنا بهذه الخطابة تذكارا لعذوبة الفاظه ودماثة اخلاقه على علم منا بأنه انما تخلق بهذه الاخلاق بما اشرق عليه من أنوار نير الآفاق وأفاض عليه في غضاضة غصنه وحداثة سنه من نفحات أطوار مركز الميثاق .

هنا نختم المقال ونرجو منه تبارك وتعالى ان يؤيدك وايانا في كل الاحوال انه هو المؤيد المتعال ، وقد تمت بقلم الفقير ابي الفضل ابن محمد رضا الجرفادقاني الايراني في عشرين من شهر صفر سنة ١٣١٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب بعض افاضل طرابلس الشام الى العالم الفاضل الشيخ محمد بدر الدين الغزي حفظه الله وطلب منه ان يستفسر عن بعض عبارات مقالة ادرجت من رسائلي في مجلة المقتطف[1] المشهورة في تاريخ البابية وهذه عبارته :

نرجوكم ان تقبلوا عنا ايدي استاذي واستاذكم علامة الدهر الشيخ فضل الله افندي المحترم ، وتستفسروا لنا عن الفقرات الآتية من المقالة التي ادرجها في أعداد المقتطف وهي قوله عن بهاء الله « وفرق بين العبادات والمعاملات فأرجع حكم العبادات الى الكتاب وحكم المعاملات الى المجالس العدلية » وقوله « ومنعهم عن التسري » وقوله « وامرهم بالاكتفاء بزوجة واحدة وأن لا يتجاوزوا عن اثنتين البتة » هل لذلك مستند شرعي أم لا ؟

فنقول اولا ان المؤرخ لا يسأل عن مدارك الاديان والمذاهب من حيث صحتها وسقمها وانما هو مسؤول عن صحة الاخبار وعدم التحامل والتشيع في بيان الوقائع والآثار ، ولما كثر ذكر البابية اثر نشر خبر قتل جلالة ناصر الدين شاه ، وعلم من الانباء البرقية ان القاتل ليس منهم بل هو من الفرقة السياسية طالبي الاصلاحات والحرية ، فاختلف أقوال الرواة في عقائد هذه الامة وكيفية نشأتها ، فكتب كتاب الافرنج

(١) هذه الرسالة مطبوعة طي هذه المجموعة .



والعرب والهند والفرس فيها رجما بالغيب ما لو أمعن المحقق النظر فيه لهاله الامر لما يجد في مقالاتهم من الاختلاف ، ولافزعه لما يرى فيها من الاختلاق ، ويرى رأي العين انهم تلاعبوا بعلم التاريخ وعبثوا بفن الاخبار وظنوا أن طرف التحقيق غافل عن هفواتهم وبصائر النقد غامضة عن عثراتهم ، حينئذ طلب مني حضرة العلامة الدكتور يعقوب صروف افندي المحترم منشيء المقتطف الاغر أن أكتب مقالة في حقيقة تاريخ البابية وعقائدهم وعوائدهم مما شاهدته في أوقات سياحتي في الاقطار الشاسعة وحققته من مخالطة الطوائف المختلفة ، فكتبت هذه الوجيزة المندرجة في المقتطف وسلكت فيها طريق الانصاف واجتنبت عن الميل والاعتساف ، وجاء بحمد الله تعالى مختصرا وافيا خاليا عن المدح والاطراء أو القدح والافتراء ، هذه هي النظرة التاريخية في حقيقة حالات الامة البهائية ، واما النظر العلمي الذي به يناط جواب مسائل حضرة السائل الفاضل فيقتضي بحثا مدققا في أن قيام هذا السيد المجيد بهاء الله هل هو قيام لاصلاح الدين وتنقيحه عن البدع والآراء الاجتهادية أو هو دعوة الهية وديانة جديدة وتشريع شريعة سماوية ؟ فان الانظار مع وضوح الامر مختلفة في فهم مقاصدهم كما اختلفت الاقوال في نقل وقائعهم وعقائدهم فنتكلم في كلا المقامين بما فيه الكفاية ، ونسأل من الله تعالى حسن التوفيق والهداية .

اما اذا كان قيام بهاء الله للاصلاح والتنقيح فتقضي به الظروف والعقول السليمة فانه معلوم عند اولي البصائر ان الديانات ما فسدت وما دخلت فيها البدع والاختلافات الا بعد بُعد اهلها عن زمان ظهور نبيهم واكتفائهم بآراء العلماء في شرائعهم وعقائدهم فكلما كان الزمان قريبا من مركز الوحي كان أهله أبعد من الاهواء المضلة ، وكلما كان أبعد كان

اهله أقرب الى الاهواء واكثر اتباعا للآراء ، والى هذه الحقيقة أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « خير القرون قرني ثم ما يليه ثم ما يليه » ، وهكذا كانت الاحوال في الامم الماضية والاديان العتيقة والبائدة ، وقد أنذرنا نبينا عليه الصلاة والسلام عنها بقوله « لتسلكن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » ؛ وقد زرع بذر الاختلاف وغرس شوك الانشقاق في هذه الحديقة الغناء اصولا وفروعا في القرن الاول والثاني من القرون الاسلامية ونما وأزهر في القرن الثالث والرابع والخامس ، فكلما مضى قرن زادت وتشعبت أفانين الاختلاف والافتراق وثارت وعصفت زوابع التشيع والانشقاق حتى زالت عن المسلمين اخوتهم الدينية اصلا وانفصمت من بينهم رابطة القومية تماما ؛ فعامل المسلمون بعضهم بعضا بأقسى المعاملات وقتل منهم في الحروب والاغارات ما لا يمكن احصاؤه في المختصرات فتم فيهم نبأ الآية الكريمة **« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون »**(١) .

وما حدثت هذه الشيع والمذاهب الا بسبب اختلاف العلماء في المسائل الاصولية والفروعية التي لو أمعنّا النظر فيها لوجدنا أكثرها طفيفة باردة غير مجدية وخصوصا في المسائل الاصولية ، كاختلافهم في أحق الاصحاب بالخلافة ، فان الامة انقسمت بهذا الاختلاف الى قسمين كبيرين المعبر عنهما بالفرق الشيعية والفرق السنية ، فوسع العلماء في مسألة الامامة ساحة الجدال وشمروا للنزال ، فأكثروا من البحث والنقد وملؤا الصحف بالنقض والرد حتى افضى الامر اخيرا بينهم

(١) القرآن الكريم سورة الانعام الآية ٦٥ .



الى التفسيق والتكفير وانتهى بحروب هائلة يشيب من اهوالها الولد الصغير ، والعاقل اذا ترك التعصب الاعمى يرى ان اختلاف العلماء في أحقية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالخلافة او الصديق رضي الله تعالى عنه بعد وفاتهما مما لا يتصور فيه فائدة اصلا ، نعم يتصور الفائدة من البحث والمناقشة حال حياتهما والتبوء على اريكة الخلافة ليتحقق معنى المشاورة فيحفظ به الدين ويصان به حقوق الامة، وأما بعد وفاتهما فلا يفيد الا الانشقاق المضر والاختلاف المهلك ، وهكذا سائر المسائل الاختلافية كاختلافهم في ايمان ابي طالب وكفره وتفضيل بعض الصحابة على بعض ، واختلافهم في ان الحرام هو رزق الآكل او ليس برزقه ، وأن خالق الاعمال هو الله تعالى او خالقها العباد ، وان القرآن الكريم مخلوق او قديم الى كثير من أمثالها مما لا طائل تحته ولا يفيد البحث فيه الا تضييع الوقت وتفريق الجامعة الدينية ، ولو نظرنا في تاريخ حياة سيدنا النبي عليه السلام والصحابة والتابعين رضي الله عنهم لا نجد كلمة منها دائرة على لسانهم ولا موضوع البحث في نواديهم ومجامعهم ؛ ولقد ادهشني ما رأيت في بعض بلاد ايران ان افاضلهم كانوا يتباحثون ويجادلون ويختلفون في طهارة بول الامام ونجاسته ( ومقصودهم أئمتهم الاثني عشر ) ولا أدري من أين وجدوا بول امامهم حتى أشكل عليهم الامر ، وان سلمان الفارسي أفضل او عباس ابن علي بن ابي طالب عليه السلام ، وفي أن الامام هل هو يرى خلف الستائر والجدران او يعلم ما خلفها الى كثير من امثالها مما يبكي العاقل ويضحك الثكلى .

واما الاختلافات الفرعية المعبرة عنها بالمسائل الفقهية فهي جديرة بالمناقشة ومزيد البحث والتنقيب ، فان الفقه عبارة عن علم ما تحتاج

به الامة من العبادات والمعاملات ولا شك في ان هذه المسائل منها ما هو منصوص في الكتاب والسنة ومنها ما هو غير منصوص فيهما .

ولقد علم حضرة السائل الفاضل ان الفقه عند الافرنج هو عبارة عن قوانين عادلة سنها افاضل الامة فيما يتعلق بالاخذ والعطاء وسياسة الرعية لخلو الانجيل المقدس غالبا عن المسائل الفرعية والسياسية ، فيمكنهم تجديد القوانين باقتضاء الظروف وسن الاحكام بمقتضى الوقت لحفظ الحقوق .

واما الامم الاسلامية فمدارك فقهها محصورة في الادلة الاربعة وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس أو الرأي أو الدليل العقلي على اختلاف المصطلحات بين أهل التسنن والتشيع ، اما الكتاب المجيد فمع انه الدليل العقلي والحبل المتين الالهي والحجة البالغة والمحجة الواضحة لا شك ان فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمبين ، وكذلك الاحاديث اضافة عما في بعضها من الاختلاف مما أفضى اخيرا الى اختلاف الآراء والانظار وتعدد المذاهب، بل ربما يفضي الى الزلة والضلالة الا من تمسك بالعروة الوثقى ومركز دائرة الهدى وما تخطى عن سبيل التقوى كما قال الله تبارك وتعالى « **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين** »(١) .

فاذا علم ان من المسائل ما هو غير منصوص في الكتاب والسنة —والانظار تختلف حين النظر في الادلة— يعلم سبب ركون العلماء الى الاجماع والادلة العقلية ولا نضنن بالتلميح الى ان مدرك حجية الاجماع والدليل العقلي والاستحسانات العقلية في المسائل الفقهية عند القدماء

---

(١) القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٢٦ .



من العلماء غير ما هو مزعوم عند المتأخرين ، نرجىء البحث عنه الى فرصة اخرى ان شاء الله ، وقد نزل في الكتاب انه جامع لكل ما فيه نجاة الامة وشامل لجميع ما فيه نجاح الملة ، حيث قال جل ذكره وتعالى شأنه « **نزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء** »(١) وقال ايضا « **ما فرطنا في الكتاب من شيء** »(٢) وفي سورة يوسف « **ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** »(٣) وامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمشاورة مع اهل الحل والعقد واكابر الامة ، ولا بد ان تكون المشاورة فيما لم يكن منصوصا في الكتاب ويتغير الحكم فيه بمقتضى الاحوال ، وهنا يسكن الفرق بين الاصول الجوهرية التي لا يتصور تغييرها الا بتغيير الديانة والفروع العرضية التي لا يتغير الدين بتغييرها ولا يؤثر في هيئة الديانة تبديلها ، فكم من مسألة فرعية رأى الامام وجوب تبديل الحكم فيها كما وقع في خلافة الفاروق رضي الله عنه في مسألة منع المسلمين عن متعة النساء ، فقام خطيبا وقال اثنتان كانتا في عهد رسول الله وانا انهي عنهما واعاقب عليهما الى آخر قوله ، وكما نهى امير المؤمنين علي كرم الله وجهه عن بيع بنات الملوك حينما جيء بهرمزان وشهربانويه واختها من ايران ، وليس ذلك الا لعدم ورود نص مخصوص في المسألتين ، ولان الشارع المقدس حوّل امثال هذه المسائل الى المشاورة ورأي الامام ، ومن هنا يعلم ايضا سبب حجية الاجماع في المسائل الفرعية وعدم حجيته في المسائل الاصلية لان الاصول منوطة بالبراهين العقلية القطعية بخلاف الفروع ، فانها مرتبطة بالادلة اللفظية

---

(١) القرآن الكريم سورة النحل الآية ٨٩ .
(٢) القرآن الكريم سورة الانعام الآية ٣٨ .
(٣) القرآن الكريم سورة يوسف الآية ١١١ .

والخطابية ، ويعلم سبب تجويز بعض الفقهاء تغيير الاحكام الثابتة وسبب اتخاذ الرأي دليلا عند بعض الائمة ، قال الشيخ الرئيس في آخر القسم الالهي من كتاب الشفاء : « ويجب ان تكون السنة في العبادات والمزاجر معتدلة لا متشددا فيها ولا متساهلا ، ويجب ان يفوض كثير من الاحوال خصوصا في المعاملات الى الاجتهاد فان للاوقات احكاما لا يمكن ان تضبط » وهنا مجال واسع لبسط الكلام دفعا للابهام الا ان الظروف تقضي بالاختصار .

وقد خلق الله تعالى في العالم قوى طبيعية وقضايا تكوينية تجري عليها المقدورات المكنونة وتطاوعها الشرائع المكتوبة لا تقاومها قوة ولا تمنعها سطوة ، فهي كالسيل الجارف لا يعيقها رسوخ العقائد ولا يدفعها شموخ جبال المعارف ، فاذا تأمل العالم البصير في مجاري الامور على الاحكام الطبيعية وتقلب الاطوار بتوالي الادوار ، ليرى ان في العالم قوة غيبية نافذة غالبة على القوى التشريعية دائرة على مقتضى الاحوال في حفظ الهيئة الاجتماعية ، وقد خفي معرفة هذه المقتضيات الطبيعية والتميز بينها وبين الافعال البشرية عن اكثر الانظار حتى سقط كثير من اهل الفضل في وهدة العقائد الباطلة المكسلة شبه عقائد الجبرية ، فمنعوا حرية الانسان في افعاله وافسدوا قوة نشاط العبد فيما يفيده في مستقبله وأحواله ، فاعتمدوا على الغرور واتكلوا على المقدور كأنهم منعوا حرية العبد فيما هو ممنوح له وأباحوها له فيما هو ممنوع عنه وخارج عن قدرته وطاقته ، فلنضرب مثلا وان عبر بعض المغرورين باسم التمدن عن المثال بالدليل الخادع جهلا منه بمعنى الدليل والفرق بينه وبين التأييد والتقريب وما لنا ولهم ، فانا نمشي على اثر النبيين ولا نمشي خلف اوهام المغرورين ، فنقول كما أن في البدن مقتضيات طبيعية جعلها



الله غالبة على القوى العقلية أفلا يرى الانسان عقله حين الجوع مقهورا لطبيعته ، علما منه بأن القوى العقلية مع مجدها وعلوها عن الطبع لا تبقى منتظمة الا بانتظام القوى الطبيعية، كذلك العالم الكبير له مقتضيات طبيعية تؤدي الى تغيير الشرائع المكتوبة بحسب ملائمة الظروف كما تختلف مقتضيات تربية الانسان من حين التولد الى زمان البلوغ حفظا للعالم الكبير من الاختلال واظهارا لحكمة الخالق الحكيم المتعال ، واعلم أيها الشهم الفاضل أن الله تعالى خص تشريع الشرائع بنفسه وجعل كلمة الدين نافذة بأمره لا يمكن لأحد من افراد البشر سواء كان من أولي القدرة والسلطنة أو من أهل العلم والفلسفة أو من أرباب الوجاهة والثروة ، ان يشرع دينا او يدعي وحيا بدون اذن الله فتعتنقه الامم ويصير باقيا ثابتا في العالم ، نعم ننكر أن بعض المغرورين كما شهدت به التواريخ زعموا ان تشريع الشرائع من نتائج العقول البشرية ولا يتوقف على الوحي السماوي والموهبة الالهية ، فسولت لهم انفسهم امرا وحسبوا تجديد الدين امرا سهلا فقاموا على تشريع شريعة من عند أنفسهم ولفقوا ألفاظا بتسويلاتهم الا أن قدرة الله أبت أن يغلب الباطل وينجح الكذب ويدوم الزائل ، فأبادهم الله من بين العالمين وجعلهم مثلا وذكرى للآخرين ، ولعمر الله لا معنى للحق الا الثابت ولا للباطل الا الزائل ، ولكي يظهر الله تعالى لعباده المخلصين ان تشريع الشرائع وبقاء الاديان منوط باذنه وارادته جعل مظاهر امره ومهابط وحيه منزهين عن المزايا الدنيوية خالين عما تطمح اليه الانظار البشرية ، فبعثهم من الاميين وخصهم بالفقر والمسكنة ومعاندة اولي البطش والقوة واضطهاد أرباب السلطة والسيطرة ، ليعلم كل ذي دراية حتى الفلاسفة الذين يبحثون عن العلل ان تشريع الشرائع لا يتوقف على علم أو ثروة أو قوة وعصبية ، بل هو موقوف باذن الله ومنوط بارادته فتذكر قوله

تعالى (( **أم لهم شركـاء شرعوا لهم مـن الدين مـا لم يأذن به الله** ))(١)

وهذا الدليل معروف عند العلماء الراسخين بدليل التقرير ، وهو اقوى دليل يمكن الركون اليه والاعتماد عليه في التفريق بين الحق والباطل والداعي والناعق ، وقد شهدت بـه الكتب السماوية واتفقت عـلى الاستدلال به جميع الصحف الالهية ، ونزل في القرآن المجيد من الآيات الدالة عليه تصريحا وتمثيلا ما يضيق نطاق المقالة عن الاتيان بجميعها فنتلو عليـك شطرا منهـا لتكون على بصـيرة في دينك وتتخـذ اقـرب الطرق للوفـود على ربـك ، قـال الله تبـارك وتـعالى (( **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار** ))(٢) وقال ايضا (( **والذين يحاجون في الله مـن بعد مـا استجيب له حجتهم داحضةعند ربهم وعليهم غضبولهم عذاب شديد**))(٣) وقال ايضا ((**وانجندنا لهم الغالبون**))(٤)، وقال(( **انالباطل كان زهوقا**))(٥)،

ومن أعجب ما رأيت في مصنفات القرون الوسطى التي تدل على مقدار هبوط العلم فيها بين المسلمين ، ان ابن خلدون المغربي الذي جاهد جهاد الابطال في الدفاع عن الفاسقات والفاسقين والتحامل والمناصبة على اهل بيت نبيه الطاهرين ، ظن ان دعوة المهدي لا ترجى ان تقوم ولا يعقل أن توجد ، لان العصبية الهاشمية قد زالت والعروة القومية بينهم قد انفصمت ، فلا يمكن ان يقوم منهم قائم ولا ان يقام لقائمهم دعوة ، ظنا

(١) القرآن الكريم سورة الشورى الآية ٢١ .
(٢) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية ٢٤–٢٦ .
(٣) القرآن الكريم سورة الشورى الآية ١٦ .
(٤) القرآن الكريم سورة الصافات الآية ١٧٣ .
(٥) القرآن الكريم سورة الاسراء الآية ٨١ .



منه ان قيام المهدي الموعود كقيام الخلفاء والملوك قيام ملكي ودعوته دعوة دنيوية تحتاج الى العساكر والعصبية ، وما درى أن قيامه قيام ديني وأمره أمر سماوي ترافقه القوة القدسية وتؤيده القدرة الالهية كما نزلت به الآيات القرآنية .

وخلاصة القول لا بد لنا ان نلتفت الى أن قيام الرجال الالهيين لا ينطبق ابدا على أفكار الخلق ولا يستدل عليهم بالمسلمات ، فانهم محفوفون بالآيات والبينات مؤيدون بجنود الارض والسموات ، ونودع مزيد البيان في هذه المقدمة بتلاوة الآية الكريمة (( **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال** ))(١) .

ثم اعلم ايها الفاضل الجليل ان الدين حقيقة واحدة عند الله لا تختلف باختلاف السنن والالسنة، بل ولا باختلافالفرائض والواجبات، كما أن مظاهر امر الله ومهابط وحيه مظاهر حقيقة واحدة ومشارق شمس الحقيقة ومرايا تجلي القوة القدسية الموصوفة بالوحدة الحقيقية الذاتية التي لا تتعدد بتعدد المرايا والمجالي ، وهنا مركز التوحيد ومحل الافتتان والتمحيص وميزان الربح والخسران وموقع تمييز المشرك من الموحد والخبيث من الطيب ، فكما أن الذات لا تتعدد بتعدد المظاهر كذلك الدين لا يختلف باختلاف السنن والعوائد .

ويستفاد هذه النكتة الدقيقة التي زلت فيها اقدام الامم من القرآن الشريف حيث قال جل ذكره (( **شرع لكم من الدين ما وصى بـه نوحـا والذي اوحينـا اليـك ومـا وصينـا بـه ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه** ))(٢) فاذا اعتبرنا الاختلافات المشهودة في

(١) القرآن الكريم سورة الرعد الآية ١٤ .
(٢) القرآن الكريم سورة الشورى الآية ١٣ .

أحكام الاديان الموجودة من الفرائض والسنن والآداب اعتبارا مؤثرا في تفريق حقيقة الديانة ، فهل يتصور ان الانبياء عليهم السلام خالفوا أمر الله ولم ينتهوا عن نهيه وتفرقوا واختلفوا في دينه ؟ حينئذ يدرك النبيه البصير أن ما أراده الله تعالى من تشريع هذه الاديان هو حقيقة واحدة لا تؤثر في وحدتها الذاتية اختلافاتها العرضية من قبيل تفاوت أحكام الصوم والصلاة والزواج والطلاق والمعاملات ، فمنطوق الآية الكريمة يحكم بأن الشريعة الاسلامية هي عين الشريعة النصرانية وهي عين الشريعة الموسوية وهي عين شريعة نوح عليه السلام ، كما ان هؤلاء البررة الاخيار كلهم مظاهر حقيقة واحدة معبرة عنها بروح الله وأمره **« لا نفرق بين احد من رسله »**(١) ولقد علم الذين أوتوا بصائر من الله ان الامم الماضية والمكذبين في القرون الخالية الذين وعظنا الله بهم وانذرنا من متابعتهم، ما وقعوا في شرك الشرك وهاوية الانكار والتكذيب الا بسبب غفلتهم عن هذه الحقيقة الواضحة ، وتوهموا من لفظ تأبيد الشريعة تأبيد هيئتها الاعتبارية ، فزعموا ان فيوضات الله مقطوعة عن المؤمنين وابواب العناية مسدودة على القاصدين ويد الله مغلولة عن تجديد الدين وبعث النبيين والمرسلين ، ولقد بلغ الى حقيقة المقصود كبار المتألهين حيث عبروا عن الذوات بالاعيان الثابتة وعن الحدوث بتطورها بالاطوار الاعتيادية ، وبهذا يمكن التطبيق بين الكلمات المتباينة عند الجاهل لفظاً المنطبقة تمام الانطباق عند العالم معنىً كقول سيدنا موسى عليه السلام **«اني ارفع الى السماء يدي واقول انا الحي الابدي»**(٢) وقول سيدنا عيسى عليه السلام **«انا هو الالف والياء البداية والنهاية»**(٣)

(١) القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٢٨٥ .
(٢) التوراة ، التثنية الاصحاح ٣٢ الآية ٤٠ .
(٣) الانجيل رؤيا يوحنا الاصحاح الاول الآية ٨ .



وقول سيدنا الرسول عليه السلام « أول ما خلق الله نوري » وقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبته المعروفة بالطتنجية « ألا ونحن النذر الاولى ونذر الآخرة والاولى بنا هلك من هلك ونجى من نجى » ونودع هذه المقدمة ايضا بالتلميح الى ما أودع الله تعالى في هذه الآية الكريمة **« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب »**(١) .

وليعلم حضرة الفاضل الجليل ايده الله بروح منه ، ان المذاهب بذواتها منافية للديانات أعني ان خاصية المذهب ضد خاصية الدين ومباينة لها ضدية ظاهرة ومباينة محسوسة ، فان للدين خاصية التأليف بين العناصر المختلفة والربط بين الفرق المتباعدة والجمع تحت الجامعة الدينية ، ومن مقتضياته الولاء والمحبة وحفظ الحقوق والقوة والسطوة ونفوذ الكلمة ، وللمذهب خاصية التفريق والتشتيت بين الملل المتفقة والتلبس بالعوائد الخارجة عن موضوع الديانة ، ومن مقتضياته التأخر والتخاذل والعداوة والحروب الاهلية المؤدية الى سوء المآل وقرب الاضمحلال ، فانظر الى الديانة المسيحية ان سيدنا عيسى عليه السلام لما قام جمع الله بكلمته النافذة أمما كثيرة تحت الاسم الواحد النصرانية وربطهم برابطة الاخوة الدينية ، فما حدثت بينهم فرقة ونشأ مذهب الا وزالت من بينهم هذه الجامعة المحمودة وانفصمت هذه الرابطة الممنوحة ، فانقسمت اخيرا الى شيع معلومة من قبيل الكاثوليك والارثوذكس والبروتستانت واليعقوبية والنسطورية والملكانية وغيرها، فحدثت بينهم مشاحنات طائلة وحروب هائلة واحرقت بأمر القسس والرهبان حيا آلاف من النفوس البريئة ، وما وضعت الحروب بينهم

(١) القرآن الكريم سورة المؤمن الآية ٣٤ .

اوزارها الا في اواخر هذا القرن حيث عاهد ملوكهم بحفظ الدول الاروبية وتقوية العناصر النصرانية وتوجهت تيار فتوحاتهم الى الممالك الشرقية الآسيوية أو الفيافي الغربية الافريقية ، وهكذا دين الاسلام فان سيدنا النبي عليه السلام قام وجمع من تخوم الصين الى اقاصي افريقيا أمما كثيرة تحت اسم الاسلام ، وأخرجهم من ظلمة الوثنية وعبادة النار الى نور التوحيد والايمان ، فربطهم بالاخوة الدينية وجعلها أعظم رابطة بين الممالك الشرقية والغربية فما انفصمت هذه العروة وما زالت هذه الاخوة بين المسلمين وما تجافى بعضهم من بعض الا بعد انشاء المذاهب وحدوث الاختلافات ، فاذا علم الافاضل ان الدين هو الاصل الكامل والصراط المستقيم والوسيلة الوحيدة للبلوغ الى المقصد الاسمى والغاية القصوى وانه ينافي بذاته التمذهب والتحزب ولا يقبل الانقسام والتفرق وعلموا ان المذاهب ليست الا طرقا للاعمال ولا تأثير لها في العقائد واخذها من المؤثرات في الكفر والايمان هو المروق الحقيقي عن طريق الصواب والمخالفة الواضحة لنص الكتاب كما سنشير اليه ليمكنهم الجمع بين الفرق المختلفة والتأليف بين القلوب المتنافرة والتحبيب بين الامم المتجافية وتنفيذ كلمة الدين وفقا لما اراده الله من بعث النبيين والمرسلين ، وقد انتهت حالة الفرق الاسلامية بسبب بعدهم عن زمان شارع دينهم وغفلتهم عن مقصود نبيهم الى أسوأ الحالات ، كأن كل واحدة منها محصورة في ضمن دائرة ضيقة من عقائد وعوائد غير جوهرية مبنية من مواد الظنون والاهواء متأسسة على قواعد النفور والجفاء مخالفة للنصوص الواردة في حفظ حقوق الاخوة والولاء ، لا يمكنها الخروج عن مضيق هذه العقائد الوهمية ظنا منها انه مروق عن الدين القويم ، مع ما فيها من ترك التعاون المأثور به في الكتاب الكريم والدخول تحت عنوان التشيع المنهى عنه في القرآن العظيم ، أما يرى



ارباب البصارة والنباهة ان الله تعالى نهى عن التفرق والتشيع نهيا عظيما أنزله منزلة الشرك وأظهره مظهر الكفر حيث قال جل ذكره وعز اسمه **« ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون »**(١) وهنا مجال واسع للبحث عن كون المتحزب مشركا صرفنا عنه النظر لسوء الافهام وبعد المرام واكتفينا بما أشرنا اليه من قبل تحت شيء من الابهام وقال ايضا تعالى شأنه **« ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »**(٢) أي لا حظ لهم منك ، هذا بعض نصوص الكتاب اوردناه تذكرة لاولي الالباب ، ولكن الاحزاب نسوا ما ذكروا به واخذوا ما نهوا عنه حتى صارت كل فرقة منها كأنها سفينة تاهت في ظلمات الاهواء احاطتها الزوابع والانواء وربانها مستغرق في غمرات الشهوات وسكر اللذات غافل عما أحاط به من الآفات والنكبات .

فاذا علم كل هذه المقدمات وعلمنا ان الله تعالى ليس بغافل عن خلقه ولا يترك الدين عرضة للضياع بغفلة اهله ، فلا نستغربن من أن يؤيد أحدا من افراد الامة بروح منه ليقوم بجمع شمل الدين واصلاح ما فسد من أحكامه وتقويم ما اعوج من أركانه وتسديد ما اختل من بنيانه ، وقد قلنا ان القائم الحقيقي مؤيد بالقوة القدسية عالم بالشرائع الالهية عارف بالمقتضيات الوقتية ملهم من ربه مأمور بأمره داع بارادته، فلا يخشى منه على الدين ولا يحكم أبدا بما أدى اليه نظر المجتهدين ولا يتصور الاصلاح الا بتوفيق احكام الشرع لمقتضى الحال وتخليص حقيقة الدين عن البدع ، فاذا أمر المصلح الالهي بمحو بدعة او تبديل

---

(١) القرآن الكريم سورة الروم الآية ٣١ — ٣٢ .

(٢) القرآن الكريم سورة الانعام الآية ١٥٩ .

عادة او تغيير سنة لا ينتقد عليه بأنه مخالف للشريعة الالهية ولا يؤخذ بأنه غيَّر السنة النبوية ، واذا نظرنا في مسألة الزواج نرى ان الله تعالى وان جوز تعدد الزواج الى الاربعة ، الا انه منع عن التعدد اذا خيف عليهن من الظلم كأنه تعالى امر بالاكتفاء بزوجة واحدة حال الخوف حفظا للعدل ، فلا نستبعد اذا امر بهاء الله بالاكتفاء بزوجة واحدة وان لا يتجاوزوا عن اثنتين حفظا لهذا العدل الممدوح واجتنابا عن الظلم الممنوع ، وخصوصا بعد ما نرى ونسمع ان الملل الغربية ينتقدون على الاسلام والمسلمين بكثرة الزواج وعدم رعاية الشروط والآداب في حفظ حقوق هذه الرابطة القوية التي هي أهم الروابط الانسانية ، ويستدلون بها وبتجويز التسري وبيع الرقيق على بطلان دينهم ولزوم ابادتهم او اخضاعهم ، وقد قلنا ان من الاحكام ما هو جوهري اصلي يتغير الدين بتغييره ، ومنها ما هو عرضي غير اصلي لا يؤثر تغييره في الدين شيئا ، فلا يؤثر عدم التسري في حقيقة الديانة ولا منع بيع الرقيق في نسخ الشريعة ، فأنا اذا فرضنا أن أهل العالم اعتنقوا الديانة الاسلامية بأجمعهم حينئذ لا يبقى عبد حتى يباع ولا امة حتى يتسرى بها ، فهل يقال اذ ذاك ان الاحكام الاسلامية تغيرت والشريعة النبوية نسخت ؟

واما مسألة ارجاع حكم العبادات الى الكتاب والمعاملات الى المجالس فهي منطبقة للشرع تمام الانطباق ، فانا علمنا من المصادر الموثوق بها ان هذا السيد العظيم صرح في ألواحه بأن يعين رجال المجلس من خيار الامة وافاضل الملة وصفوة رجال الدين وخيرة أهل اليقين ، فلا يخاف اذاً على الدين منهم لانهم لا بد ان يكونوا عالمين بالنصوص الشرعية خبيرين بالاصول الدينية ، بل لو تدبر المنصف الخبير يرى أن الدين يظهر بهم حينئذ على صورة الكمال ويتحلى بحلية



المجد ويتزين بطراز الرفعة ويسطع من آفاقه أنوار النجاح ونفوذ الكلمة. ولا يخفى على العاقل ان الفرق الاسلامية لو لم يتنازلوا عن شيء من عقائدهم ولا يترك كل فرقة بعضا من عوائدهم وعضوا على النواجذ في حفظ ما هو السبب الحقيقي لسقوطهم وهبوطهم ، لا يتصور منهم الاتفاق والاصلاح ولا يرجى لهم التقدم والنجاح ولا يتمكنون من ارجاع مجدهم القديم واحياء دينهم القويم ، ألم يأن لهم ان يستيقظوا من رقدتهم ويقوموا من كبوتهم وينتبهوا من غفلتهم وينشطوا من عقالهم ويرجعوا الى عقولهم ولا يأمنوا على عواقبهم ، وقد مضت من قبلهم المثلات ونزلت في انذارهم آيات باهرات .

وأما اذا كان قيام بهاء الله عبارة عن تجديد الدين ودعوة الى شريعة جديدة ، فيقتضي برهانا اقوى وحجة الهية وآيات سماوية ، فانه تابع لظهور سيدنا المهدي ونزول روح الله عليهما السلام وفهم معنى القيامة وادراك المقصود من الساعة ونزول تأويل القرآن وطي سموات الاديان وتجدد العالم ووفاق الامم ، مما يقضي البحث عنه بتصنيف كتاب كبير وبحث دقيق نحوّله الى أهله ، وقد اختلف العلماء في شريعة يدعو بها روح الله حينما ينزل من السماء ، فحكم بعضهم بأنه يحكم بالشريعة الاسلامية ، وصرح وعين بعضهم بأنه لا يحكم الا بما يوافق فقه الحنفية ، وزعم الشيعة انه يروج مذهب الامامية ، الا ان المحققين من العلماء الراسخين تركوا الحكم لله وعلموا أنه هو روح الله النازل من سماء مشيئته القائم بأمره والصادع بحكمه ، ربما يخالف آراء أهل الظنون والراجمين بالغيب كما يشير اليه قوله تعالى « **يوم يدع الداع الى شيء نكر** »(١) وليس انكر على الامم شيئا

(١) القرآن الكريم سورة القمر الآية ٦ .

من تجديد دينهم وتبديل شرائعهم ، لان الوباء العام الديني شملت جميع الاديان بل وجميع المذاهب ، وهي ان شريعتهم لا تتغير ابدا وعوائدهم لا تتبدل قطعا ، فوقعوا في شرك الافتتان وهم غافلون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، هذا وقد اتفق اولوا الافكار العالية وذوو البصائر المنيرة على أن اصلاح العالم وازالة الضغائن الكامنة في صدور الامم واخماد نيران عداوة عمت لهيبها أطراف المسكونة وتسكين ثورات –لو بقيت تنتهي ولا شك الى خراب المعمورة– لا يرجى الا بهذا الامر البديع والمشرب العذب الذي خص الله أهله ، كما رأينا وشاهدنا مدة اسفارنا في البلاد النائية والاقطار الشاسعة بسعة المعارف وعلو النظر وقوة القريحة والتحمل لدى المخاطر والصبر على الشدائد وحب الخير المحض لعموم الملل على اختلاف اجناسهم وأديانهم ودعوة الخلق كافة الى الوفاق والوئام بكتابهم ولسانهم ، ونسأل الله تعالى في خاتمة القول أن يرشدنا واياكم الى سبيل الصواب ، ويلهمنا الحقائق المودعة في الكتاب ، انه هو ولي عباده المتقين والحمد لله رب العالمين .

قد تم كتابة هذه المقالة ثانيا بيد مؤلفها الفقير الى الله تعالى أبي الفضل محمد بن محمد رضا الجرفادقاني المعروف بفضل الله الايراني في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣١٤ من الهجرة النبوية على صاحبها آلاف التحية والسلام .



## بسم ربنا العليم الحكيم

صديقي السعيد ورفيقي الرشيد أيدك الله تعالى بالنظر الثاقب والرأي السديد وشدد أزرك بالبصارة الكاشفة والبصر الحديد ، قد ساعدتنا العناية بتلاوة نميقتك الرشيقة واستغرقت في لطافة عباراتها الطلية الرقيقة ، فقمت باداء واجب الحمد والشكر للطلعة البهية والحضرة العلية الحقيقة الغراء والجوهرة الزهراء وجه البهاء وبهاء من في الارض والسماء ، ونطقت بخالص التحية والثناء على حضرة من طاف حوله الاسماء وتوجهت الى وجهه الانور قلوب أهل الوفاء ،[١] فلله الحمد على ما غرس في جنة أمره اشجارا باسقة ، واظهر في سماء دينه انجما بارقة ، واوجد في عداد أوليائه نفوسا أبية ، وربى بعين أصفيائه أنفسا طاهرة زكية ، لا يقنعون لسفاسف البيان وزخارف الكلام ولا يسيرون في دياجي الظنون وظلمات الاوهام ، يطلبون النور المبين ويشربون من معين اليقين ، اولئك هم المصطفون الاخيار والبررة الاطهار وأولوا البصائر والابصار كشافوا الدقائق والاسرار ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المفلحون ، فتضرع أيها الخل الوفي والنبيه الزكي الى حضرة العلي وجماله البهي في صلواتك ودعواتك وخلواتك ومقاعد مناجاتك ، ان يقربك الى جناب اسمه القيوم ويلهمك حقائق العلوم ويوصلك الى مقام الاحاطة بالمعلوم ، ويكشف لك غوامض آياته وزبره وحقائق بشارات انبيائه ورسله ، ولا تكتف بشيء من الرسوم والمصطلحات ولا تقتنع بالحدود والقياسات ، ولا تتوقف دون رتبة من الرتب والمقامات فانه لا نهاية للمعارف والكمالات ، فاصعد

(١) هكذا ورد في الطبعة الاولى .

بأقدام السعي والعمل والخلوص والتقى الى أعلى درجات العلم والعرفان، وطر بقوادم الحب والتوجه والتوسل الى مركز دائرة الهدى في اقصى فضاء المشاهدة والايقان ، واجتنب في طي هذا السفر البعيد والطيران الحميد عن اوحال البوائق والفجور وشباك العجب والغرور ، ولازم السهر في الاسحار والانابة والاستغفار لعلك تصل الى مقام يغبطك فيه المقربون ويحذوا على مثالك الصالحون ، وأما ما سألت عن تفسير الآيـة الكريمـة النازلـة في سورة الاعـراف وهي قوله تعـالى **(( وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة ))(١)** فاعلم يا حبيبي أن تفسير الآية على ظاهرها معلوم وصحيح ، حيث ان موسى عليه السلام لما أخرج بني اسرائيل من مصر وسكنوا بالبريـة كانوا اذ ذاك على ديانة الصابئة القديمة ، فوعد موسى قومه أن يصعد الى الجبل ثلاثين ليلة ليسأل ربه تعالى ان يعطيهم شريعـة تكفل لهم الحيوة والعزة وتحفظهم عن الموت والذلة ، فلما صعد موسى وفارق قومه امتدت ايام مفارقته اربعين ليلة ، فافتتن بنو اسرائيل ورجعوا الى عبادة التماثيل وبقية قصصهم محفوظة في التواريخ ولا نحتاج فيهـا الى البسط والتطويل ، ولو فسرناها على الباطن والتأويل فالمراد بالليل كما سمعته مني مرارا هو عبارة عن ايام غيبة شمس الحقيقة ، واليوم على حسب ما نزل في التوراة المقدس يحسب كل يوم واحد بسنة واحدة، وكان موسى عليه السلام لما فارق ارض مصر وفر عن فرعون وملئه الى مدين ، كان ابن ثلاثين سنة واقام في مدين عشر سنوات يشتغل فيهـا برعي أغنام شعيب النبي عليه السلام ، وكان في طي هذه المدة التي كانت كالليالي المظلمة والدياجي الكالحة من ظلم الفراعنة واوهام الصابئـة مشتغلا بتهذيب اخلاقه وتطييب اعراقه وتنقية فؤاده والمناجاة مع ربه

(١) القرآن الكريـم سورة الاعـراف الآيـة ١٤٢ .



في وحدته وانفراده ، فلما طاب خلقه وتم خلقه بعثه الله نبيا لهداية بني اسرائيل وانقاذهم من ذاك الوبيل ، فالمراد بأربعين ليلة هو اربعون سنة اقام موسى عليه السلام في اثنائها في مصر ومدين ، ولا تنافي كلمـة ( واعدنا ) هذا التفسير حيث ظاهرها يقتضي تكلم الرب تعالى مع موسى قبل بعثته ، فان أمثال هذه الكلمة كثيرا ما اطلقت على ما ألقي في الروع وألهم في القلب ، حتى على الحيوانات كما يدلـك عليه قوله تعـالى **((واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا))(١)** ثم قال الله تعالى **((وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين))(٢)** ظاهر الآية المباركة يدل على أن موسى عليه السلام اخلف أخاه هارون حينما كانا مع الشعب في البرية كما هو مذكور في التواريخ ، الا ان التواريخ القديمة مظلمة جدا حيث ان المؤرخين اعتمدوا في هذه المسائل على ما جاء في التوراة وسائر الكتب العتيقة ، ولكنا أثبتنا في كتـاب الدرر البهية ضعف هذا المستند من حيث العلم فيجوز أن يكون هارون مستخلفا عن موسى عليهما السلام لحفظ الشعب ايام غياب موسى في مدين ، وقد كان بنو اسرائيل يحافظون على التوحيد من لدن جدهم ابراهيم عليه السلام ، فلما غاب موسى وضع بنو اسرائيل رسم عجل ابيس احدى معبودات المصريين تزلفا الى فرعـون وقومه ، فكأنهم تجنسوا بالجنسية المصرية واعتنقوا الديانة الوثنية ، فلما رجع موسى عليه السلام ورآهم على تلك الحالة السيئة والعبادة الباطلة انكر ذلك على هارون كما ذكره المؤرخون ، اذ لا يعقل ان بني اسرائيل على مـا عرفوا بصلابة الرأي يتركون دياناتهم الموروثة بسبب تأخير موسى عن الرجوع اليهم عشر ليال ، وهنا يقتضي تطويل المقال وليس لي مجال ثم

(١) القرآن الكريم سورة النحل الآية ٦٨ .
(٢) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية ١٤٢ .

قال تعالى « **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك اني تبت اليك وانا اول المؤمنين** »(١) اعلم حفظك الله ان علماءنا سامحهم الله اختلفوا في رؤية الله تعالى وعدم جواز رؤيته حيث يقتضي الجهة والمقابلة وهي من مقتضيات الجسد والتحيز والتحدد وامثال ذلك ، وهو منزه عن تلك الاوصاف اذ لم يفهموا من لفظة (الله) سوى الذات ولا شك ان الذات منزهة عن تلك الصفات ، واهل السنة والجماعة جوزوا رؤية الله تعالى اعتمادا على صريح الآيات واستنادا على صحيح الاحاديث والروايات ، وكانوا على هذه العقيدة الصالحة الى اواسط القرون الهجرية ،فمزجوها بالعقائد الوهمية حيث شاعت في تلك القرون بينهم المسائل الكلامية والمعارف الناقصة العقلية ، فانهم قالوا ان رؤية الله تعالى جائزة وواقعة في القيامة ، الا انها ليست من قبيل الاحاطة بالنظر ، فترى ذات الله تعالى من غير مواجهة ومقابلة وكيفية واحاطة مما يرجع الى الوهم الصريح وانكار الرؤية حقيقة ، واهل البهاء المستظلين بظلال الفرع الكريم المنشعب من الدوحة المباركة العلياء ، لما عرفوا على حسب ما تعلموا من القلم الاعلى ان ذات الله بسبب تجردها وتقديسها الذاتي لا تدرك ولا توصف ولا تسمى باسم ولا تشار باشارة ولا تتعين بارجاع ضمير والاسماء والاوصاف ، وكل ما يسند ويضاف اليها راجعة في الحقيقة الى مظاهرها ومطالعها ، فلذلك سهل عليهم فهم معنى امثال تلك الالفاظ التي نزلت في الكتب المقدسة والصحف المطهرة من قبيل رؤية الله ولقاء الله وظهور الله ومجيء الله وغيرها مما ليس بخاف على اهل التحقيق ، وقد بيّنا هذه المسألة في كتاب الدرر

(١) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية ١٤٣ .



بغاية التدقيق ، ثم اعلم ايها الحبيب اللبيب ان اهل البيان كثيرا ما أطلقوا في عباراتهم لفظ ( جبل) على اكابر الرجال استعارة ، سواء كانوا من صناديد الدولة والملك او من قروم اهل العلم والفضل ، كما اطلق امير المؤمنين عليه السلام على مالك ابن الحارث النخعي المعروف بالاشتر لما اشتهر ذكر وفاته واخبروه بمماته ، ومقامه عليه السلام معلوم لديك في الفصاحة والبراعة ورسائله وخطبه مستغنية عن المدح والاطراء بالطلاوة والنصاعة ، وعبارته هذه مذكورة في نهج البلاغة وهذه استعارة في غاية المناسبة واللطافة ، حيث ان اكابر الرجال هم بمنزلة الاوتاد لاستقرار ارض المعارف والديانة او الامة والدولة ، وكثيرا ما اطلقه داود النبي عليه السلام في مزاميره وسائر انبياء بني اسرائيل في كتبهم على الرب تعالى كما جاء في مزمور ٤٢ « **اقول لله صخرتي لماذا نسيتني** » وجاء في مزمور ٧١ « **كن لي صخرة وملجأ ادخله دائما امرت بخلاصي لانك صخرتي وحصني** » الى كثير من امثالها، فاذا عرفت هذا فاعلم ان موسى عليه السلام انما طلب رؤية الله تعالى بسبب اقتراح الشعب عليه ان يريهم الله كما يدلك عليه قوله تعالى « **ارنا الله جهرة** »(١) ، الا ان الله تعالى اخبره بأن رؤيته موقوفة باستقرار جبال العلم والايمان في مكانهم من الاذعان واليقين ، ولكنهم بسبب عدم بلوغهم الى المقام الثابت الراسخ المكين من العلم والمعرفة واليقين فلا بد ان تندك جبال وجودهم ويتزعزع بنيان اذعانهم لمعبودهم حين لقائه ، فيتبدل ايمانهم بالكفر ويقينهم بالشك واقبالهم بالاعراض ، حيث لم يكمل بعد مراتب عرفانهم ولم يبلغ الى الدرجة العليا بنيان ايمانهم ، فلم يبلغوا بعد الى رتبة استحقاق الرؤية واللقاء ولم يصعدوا الى درجة الاستقرار والبقاء ، فلا بد من ظهور الانبياء

(١) القرآن الكريم سورة النساء الآية ١٥٣ .

وقيام الاصفياء لتربية اشجار الوجودات البشرية وتكميل معارفهم الايمانية على ممر الدهور وطي العصور ، حتى يبلغوا الى درجة التمكن والاستقرار حينئذ يتجلى رب الارض والسماء ويتشرف البالغون منهم الى درجة المشاهدة واللقاء ، فخلاصة تفسير الآية الكريمة ان موسى عليه السلام لما قال رب ارني أنظر اليك حيث ان الشعب طلبوا منه رؤية الله تعالى ، أجابه الله تعالى بأنك لن تراني لان بني اسرائيل لم يبلغوا بعد الى درجة كمال وجودهم ولم يستعدوا للقاء معبودهم ، فانظر الى جبال الوجودات ومقادير استقرار الايقان فان استقر جبل الوجود في مقام ايمانه وايقانه حين تجلى المعبود ولم يتزلزل ولم يتزعزع من مقامه حين الشهود ، حينئذ استعد للقاء الله واستحق للوقوف بين يدي الله والتشرف برؤية الله ، ثم تجلى الرب لاحد من تلك الامة ممن كان من رؤساء الشعب ومن جبال الايمان والايقان فاندك وجوده وتضعضع ايمانه واضطرب ايقانه ، فانصعق موسى من ذلك الامتحان وعرف مقدار صعوبة مقام الافتتان فندم على ما سأل الرؤية للطالبين ورجع في الحين وقال « **سبحانك اني تبت اليك وانا اول المؤمنين** »

واعلم يا حبيبي ان الخطابات كثيرا ما وجهت الى الرسل والمقصود منها كان امتهم ، فانظر الى الآية الكريمة النازلة في سورة يونس « **فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** » ، فان الخطاب في هذه الآية المباركة موجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام بحسب الظاهر ، ولكن المقصود هو الامة الاسلامية اذ لا يعقل ان النبي يشك في حقية القرآن فيحتاج الى السؤال من اليهود والنصارى حتى يزول شكه ويصدق بحقية كلام الله ، وامثال ذلك كثيرة في الكتب المقدسة يعرف مقاماته من يعرف فصل الخطاب ويعلم حقائق الكتاب وفي هذه كفاية لاولي الالباب .



واما ما سألت عن معنى الملائكة في الآية الكريمة النازلة في سورة المدثر « **وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا** »، فاعلم يا حبيبي ان لفظ الملك واحد الملائكة والملائكة في اللغة العربية توافق لفظا ومعنى ما في اللغة العبرانية ، حيث انها مأخوذة من الاصل السامي الذي منه اشتقت اللغات السريانية والعبرانية والعربية والآشورية والكلدانية ، وهو يفيد معنى المالكية والاستيلاء على شيء ، فكما انه اطلق لفظ الملك والملائكة في الكلمات النبوية المحفوظة في الكتب السماوية على النفوس القدسية والائمة الهداة لخلعهم ثياب البشرية وتخلقهم بالاخلاق الروحانية الملكوتية ، فملكوا زمام الهداية وصاروا ملوك ممالك الولاية كأنهم اعطوا سلطة مطلقة في سعادة الناس وشقاوتهم وهدايتهم وضلالتهم، وهذا هو معنى الولاية المطلقة التي جاءت في الاخبار ولذا سمي سيد الابرار وامير الابرار بقسيم الجنة والنار ، كذلك اطلق هذا اللفظ في الكلمات النبوية على رؤساء الاشرار وأئمة الضلال حيث انهم قادة الفجار يقودونهم الى النار ، ولذا اطلق عليهم لفظ الملائكة كما انه اطلق عليهم لفظ الائمة في قوله تعالى « **وجعلناهم ائمة يدعون الى النار** »(١) وفي الكتب المقدسة العتيقة ايضا اطلق لفظ الملاك والملائكة عليهم كما جاء في سفر الرؤيا في الاصحاح التاسع بعد اخباره عن ظهور الخلافة الجائرة الاموية والملكة العضوضية المروانية في الدورة الاسلامية بقوله « **ولها ملاك الهاوية ملكا عليها اسمه بالعبرانية ابدون وباليونانية ابوليون** » وهذا على حسب الترجمة البروتستانتية ، واما على حسب ترجمة اللاتيني أي الكاثوليك فهكذا « **ولها ملاك وهو ملاك الهاوية اسمه بالعبرانية ابدون وباليونانية ابوليون اي مهلك** » ، والمقصود هم أئمة الضلال ورؤساء تلك الخلافة الظالمة التي أساءت سياسة الامة الاسلامية حتى

(١) القرآن الكريم سورة القصص الآية ٤١ .

ادت آخرتها الى الذلة والهوان والتهلكة والخسران ، كما تراه وتعلمه بالمشاهدة والعيان ، والله تعالى أعلم بما ينتهي اليه عاقبة تلك الامة الاسيفة والملة الغافلة من غلبة اعداءهم وسوء نية رؤسائهم وجهل أوليائهم وتخاذلهم وخمولهم وغفلتهم وذهولهم مما يبكي العيون ويثير الشجون ويدمي القلوب ويهيج الكروب ، فلنترك هذا الذكر المحزن والامر المشجي المشجن ولنرجع الى ما كنا نتكلم فيه ، فان داء هذه الامة داء اعيى كل نبيه وعز دواؤه على كل فطن ، وجاء في الآية السابعة من الاصحاح الثاني عشر من هذا السفر ايضا « **وحدث حرب في السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح الى الارض وطرحت معه ملائكته** » ، والمقصود بميخائيل هو مظهر امر الله وبالملائكة اولياؤه واحباؤه ، كما ان المقصود من التنين العظيم والحية القديمة او الشيطان وملائكته هم رؤساء الظلم وأئمة الضلال واتباعهم واشياعهم لانه روح الضلالة تجلت وظهرت في كل دور باسم ، ففي الدورة الاسلامية كما بيّناها في مواضع متعددة ظهرت باسم الخلافة الجائرة والملك العضوض، حيث ان رؤساءها قاوموا المظاهر القدسية وحاربوا العترة النبوية حتى اودت بالامة الاسيفة الى الهلاكة الابدية والذلة الدائمة ، ثم اعلم ايها الخل الصفي ان الديانات كما انها ابواب للدخول في جنة رضاء الله تعالى أوان تشريعها وظهورها ، كذلك تصير ابوابا للدخول في جهنم بسخط الله حين نسخها وتغييرها ، مثلا كما ان الديانة الموسوية وشريعة التوراة كانت بابا للجنة ودخلت منها نفوس كثيرة في حوزة رضاء الله ، كذلك عين هذه الديانة صارت بابا لجهنم في ظهور سيدنا عيسى عليه السلام ، فدخلت منها نفوس كثيرة في نار سخط الله ، لان اليهود بسببها



انكروا روح الله وخالفوا امر الله ، وكذلك الديانة النصرانية كما ان في اول تشريعها بسببها دخلت نفوس كثيرة في جنة رضاء الله ايضا صارت بابا لجهنم في ظهور سيدنا محمد عليه السلام ، لان النصارى بسببها انكروا رسول الله وكذبوا نبي الله ودخلوا في نار سخط الله ، وهكذا سائر الاديان في سائر الازمان ، وكما ان الباب صح اطلاقه على الديانات لانها أبواب دخول الخلق في جنة الرضا ، كذلك اطلق في الكلمات على الانبياء وكبار الاولياء بمناسبة المعنى الذي ذكرناه ، ولذا جاء في زيارة الجامعة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام هذه العبارة « اتتم باب الله المؤتى والمأخوذ عنه » واليه اشير في الآية الكريمة **«فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب»**(١) فاذا عرفت هذا فاعلم ان ابواب الجنة في ظهور النقطة الاولى عز اسمها الاعلى كانت ١٩ ، وهم ثمانية عشر حروف الحي والنقطة الفردانية وبهم صعد المخلصون الى الذروة العليا ودخلوا في الجنة المأوى ، فلما غابت النقطة وظهر الرب الابهى جل اسمه الاعز الاعلى وانكره وعارضه ذاك المحتال المعبر عنه في الاحاديث الاسلامية بالدجال ، عين هذا الضال تسعة عشر انسانا من رؤساء اصحابه ودهاة احبابه باسم شهداء البيان لاضلال أهل الايمان ومعارضة جمال الرحمن ، وقد جاء خبر هذا المضل الجليل في الاصحاح الثاني من الرسالة الثانية لبولس الرسول الى اهل تسالونيكي بغاية التفصيل ، فالمراد بملائكة النار في الآية المباركة هو هذه الرجال من اصحاب الدجال وأئمة الضلال ، فان المؤمنين بعد شهادة النقطة الاولى عز اسمها الاعلى افتتنوا بهم واتكلوا عليهم وارتدوا عن الصراط بشبهاتهم واعرضوا عن الحق بترهاتهم ، وعدتهم صارت سبب افتتان اهل الايمان فان عدد ١٩ كان العدد المقدس

(١) القرآن الكريم سورة الحديد الآية ١٣ .

عند اهل ذلك الزمان ، كما ان عدد التسعة مقدس ومحترم عند اهل الايمان ، واما في هذا الدور الحميد والكور المجيد فعدوا ابواب النار ثلاثة وهؤلاء ايضا ملائكة الجحيم وقادة اصحاب الشمال الى العذاب الاليم ، وعلو مقامهم وسمو مراكزهم صار سبب افتتان الجهال واضلال اصحاب الشمال كما يدلك عليه قوله تعالى (( **انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب** ))(١) وفي كل دور وزمان توجد لكلمات الله تعالى مصاديق يعرفها اهل الايمان وحملة القرآن ومخازن الحكمة ومطالع البيان ، حيث ان روحي الهداية والضلالة دائما ساريتان في الخلق وينبوع الكفر والايمان تجريان بين نوع الانسان في طول الازمان ، وليس لظهور الله حد محدود وميعاد مخصوص ، فانه جلت قدرته ناظر دائما في قلوب عباده وافئدة خلقه ، فاذا رأى فيها استعدادا للقبول والاقبال يظهر الامر في الحال ، فلا بد ان تكون مصاديق كلماته موجودة في كل الازمان وابواب الجنة والنار مفتوحة في جميع الاحيان ، وهنا نختم الكلام ونكتفي بالبيان ونسأل الله تعالى في خاتمة القول ان يصفي فؤادك ويطهر قلبك ويشدد أزرك ويلهمك حقائق الكتاب ويرزقك لباب العلم في كل الابواب ويؤتيك الحجة وفصل الخطاب ، لتقوم على نصرة امر ربك بقوة تخرق بها حجبات اهل الارتياب وتنور قلوب اهل الصواب انه هو ولينا في المبدأ والمآب ، واني ارجو منك يا حبيبي ان تبلغ خالص تحيتي وسلامي الى عموم الاحباء وتذكرهم بمحبتنا السابقة ومودتنا السالفة ، لعلهم يزودوني بصالح دعواتهم في اوقات صلواتهم وبالاخص حضرة العالم الفاضل الموقر المحترم الشيخ احمد عزت حفظه الله تعالى ، وقولوا له انه وصلني كتابه ولعمري انعشني

(١) القرآن الكريم سورة المرسلات الآية ٣٠–٣١ .



واحياني واطربني واشجاني خطابه حيث ذكرني ايام لقياه وجدد في ضميري جميل محياه ، ولكن ربما يتأخر ارسال جواب كتابه اياما لضيق الوقت وقلة الفرصة واحاطة الاشغال ، فان الكتاب الذي أمر المولى عز اسمه بتأليفه وتصنيفه ليس بأمر سهل هين طفيف خفيف ، خصوصا مع حالة الانفراد وضعف الاعضاء وانحطاط القوى وتواتر الادواء وبالاخص ضيق الوقت وقلة الزمان اللازم لانجاز مثل هذا الامر الخطير او الشغل العسير ، فانه يجب ان ينجز قبل حلول الربيع القادم وهو وقت قليل لمثل هذا الشغل الكبير ، لعمرك — وهو قسم لو تعلمون عظيم — انه شغل حواسي وافكاري حيث نسيت سائر اشغالي واعمالي حتى أن هذا الحين يشتت بالي ويشوش في التحرير خيالي ، فأرجو ان يسامحني في تأخير الجواب رفقا بحالي ، وارجو منك ان تبعث الي سريعا سواد هذه الرسالة ونسخة من هذه المقالة ولا تغفل كما غفل حبيبي الجليل الكردستاني حفظه الله حيث لم يبعث الي سواد كتابه ، وفي الختام ارجو وآمل لكم حسن الختام وعليكم فاتحة التحية والسلام .

ابو الفضل كلبايكاني الايراني

وذلك في ٣٠ من شهر شوال المكرم ١٣١٨

# تفسير

## قوله تعالى « ثم ان علينا بيانه »

(١) لا يخفى على أولي البصائر ان الله تعالى صرح في مواضع متعددة من القرآن ان لآياته تأويلات لا يعلمها الا الله تعالى ، كما يدلك عليه قوله تعالى **« وما يعلم تأويله الا الله »**(٢) وقوله جلّ وعلا **« بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله »**(٣) وبيان ذلك انه لما نزل الكتاب المجيد وفيه اخبار وانباء عن الحوادث التي ستقع في العالم ويراها ويشاهدها جميع الامم مما جاء قبله في التوراة والانجيل، وتنبأ به انبياء بني اسرائيل من قبيل تكوير الشمس وذهاب نورها وظلمة القمر وانتثار الكواكب وانفطار السموات وتبديل السموات والارض وامتلاء اقطار السماء بالدخان وتشققها بالغمام وتزلزل الارض ونسف الجبال واجتماع الشمس والقمر وغيرها من الآيات العظيمة التي تأباها العقول ويصعب احتمال تحققها والاذعان بها على النفوس ، بل تعد وقوعها من المستحيلات والممتنعات كما هو مقرر عندهم في الطبيعيات والفلكيات ، وان العرب الصابئة الوثنية ممن كانوا ينكرون جميع الانبياء الذين ظهروا من ذرية ابراهيم عليه السلام من قبيل موسى وعيسى وسيدنا الرسول صلى الله عليهم اجمعين ، كانوا يتتبعون تلك الآيات ويناقشون فيها ويجادلون الصحابة رضي الله عنهم في امكان تحققها ليفتتنوا المؤمنين بها ، وكانوا يقولون ويصرحون بأن محمداً

---

(١) كتب الاستاذ العلامة هذه المقالة حسب طلب تلاميذه من حضرته رحمه الله .

(٢) سورة آل عمران الآية ٧ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٩ .



يغرر بقومه ويستهوي اصحابه بشبهه ويعدهم بالممتنعات ويمنيهم ويقنعهم بالمستحيلات ، فنزلت الآيات المذكورة مشعرة بأن القوم انما كذّبوا آيات القرآن الكريم بسبب عدم احاطتهم بمعانيها وجهلهم بمقاصدها ، والحال انه ما نزلت بعد معاني تلك الآيات وما اتاهم تأويل تلك العبارات تنبيها لهم ان لها معان سامية ومفاهيم معقولة وتأويلات مقصودة يظهرها الله تعالى لهم في يوم مخصوص ويبينها ويكشف عنها بعد انقضاء الاجل المسمى ، كما يدلك قوله تعالى **« هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل »**(١) الى آخر الآية ، ومن المعلوم انه ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية مما يفهمه ويدركه كل من يعرف اللغة العربية والا لم يبق ثم معنى لقوله تعالى **«وما يعلم تأويله الا الله»** وقوله **« بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه »** ، بل المراد من التأويل هو المعاني الخفية التي أطلق عليها الالفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية من اقسام المجاز ، ولولا قصور الناس في الاحقاب الماضية والايام الخالية عن فهم تلك المعاني الدقيقة وادراك تلك المفاهيم السامية لما أخفاها الانبياء عليهم السلام تحت ستائر الاستعارات ولما رمزوا عنها بخفي الاشارات والتعبيرات كما جاء في الاصحاح الثالث عشر من سفر متى **« وكان يسوع المسيح يكلمهم بأمثال لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح فمي بالامثال وانطق بمكنونات منذ تأسيس العالم »** وكما جاء في الفصل السادس عشر من انجيل يوحنا ان عيسى عليه السلام قال لتلامذته **« ان لي اموراً كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوها الآن واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم**

---

(١) سورة الاعراف الآية ٥٣ .

**الى جميع الحق** » وكما جاء في الحديث ان النبي عليه السلام قال بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم وما جاء في البخاري عن عليّ عليه السلام حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله ، ولما كان من المقرر ان العالم مسير الى نقطة الكمال والارواح والافئدة راقية لا محالة الى رتبة البلوغ والاعتدال ليبلغوا الى درجة فهم كلمات الانبياء كما يقتضيه ناموس التقدم والارتقاء ، فقد قرر الله تعالى تنزيل تلك الآيات على ألسنة الانبياء وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها الى روح الله حينما ينزل من السماء ليتقوى افئدة اهل الايمان بالتغذي من ظواهر الآيات الكريمة وتسير الامة في انوار الشرائع القديمة ليتمكن الناس في اثنائها من طيّ تلك المسافات البعيدة وقطع تلك البرازخ الممتدة في الاجل المسمى والمدة المعلومة ، قال الشيخ السهروردي قدّس الله روحه في آخر كتاب الهياكل : « يجب على المستبصر ان يعتقد صحة النبوات وان امثالهم تشير الى الحقائق كما ورد في المصحف **وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** (١) وكما أنذر بعض النبوات **اني اريد ان افتح فمي بالامثال** ، فالتنزيل موكول الى الانبياء والتأويل والبيان موكول الى المظهر الاعظمي الانوري الاريحي الفارقليط كما انذر المسيح ، حيث قال **اني ذاهب الى ابي وابيكم ليبعث لكم الفارقليط الذي ينبئكم بالتأويل** وقال **ان الفارقليط الذي يرسله ابي باسمي يعلمكم كل شيء** ، وقد اشير اليه في المصحف **ثم ان علينا بيانه** (٢) وثم للتراخي ، ولا شك ان انوار الملكوت نازلة لاغاثة الملهوفين وان

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .
(٢) سورة القيامة الآية ١٩ .



شعاع القدس ينبسط وان طريق الحق ينفتح ، كما اخبرت الحفظة ذات البريق في ليلة هبّت الهوجاء كما قال تعالى **هو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته** .(١) » انتهى . ومما ذكر يعلم ان جميع الانبياء عليهم السلام من آدم الى الخاتم جاؤا بتنزيل الآيات المذكورة واثبات البشارات المأثورة من غير تعرض لبيان معانيها لما قلنا من ضعف قوى الخلق عن تحمل مقاصدها وقصورهم عن ادراك مراميها ، وانما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق الى النقطة المقصودة واكتفوا منهم بالايمان الاجمالي حتى يبلغ الكتاب اجله وينتهي سير الافئدة الى رتبة البلوغ ، فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود ، وقد علم أولوا النهى ان اصعب الامور على العالم البالغ تفهيم القاصرين عن الادراك ، اذ لو كشفت الحقائق للقاصر عن ادراكها لينكرها لعجزه عن الفهم وقصوره عن الادراك ، كما يصرح به حديث البخاري الذي مر آنفا « حدثوا الناس بما عندهم اتحبون ان يكذب الله ورسوله » ، فينتهي حال الناس الى الكفر بعد الايمان والارتداد بعد الاذعان ، وهذا ضد المقصد الذي بعث له الانبياء ونقيض الخطة التي رسمت لمشي الاولياء كما يدلك عليه قوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسوءكم** »(٢) اذ كانوا يسألون النبي عليه السلام عن تلك الحقائق الغامضة والمعاني الدقيقة فيصعب عليه بيانها لهم لما كررناه عليك من قصورهم عن ادراكها وضعفهم عن تحملها ، فنهاهم عن السؤال منها والخوض فيها ، فان سير الانسان في نماء ادراكه وترقياته الروحانية انما هو كسيره في نماء بدنه وترقياته

(١) سورة الاعراف الآية ٥٧ .
(٢) سورة المائدة الآية ١٠١ .

الجسمانية ، فكما ان الانسان حال طفوليته ونماء جسمه ووصوله الى كمال بدنه يحتاج الى شرب اللبن وتضره أكل الاغذية الغليظة بل ربما يهلكه تناول الاطعمة المطبوخة ، كذلك في نماء عقلـه وبلوغ ادراكه يحتاج في باديء الامر الى الظواهر البسيطة ويهلكه الخوض في المعاني الدقيقة ، ومن ذلك يفهم معنى الصعوبة التي كانت تعرض على النبي عليه السلام حين نزول القرآن والشدة التي كان يعالجها حين تـلاوة الآيات ، فانهم كانوا يسألونه عن حقائقها ومعانيها فكان يحرك شفتيه ويعالج كيفية البيان لصعوبة تفهيم القاصر وكذلك صعوبة ترك البيان لئلا يحمل على العجز فنزلت الآية الكريمة « **لا تحرك به لسانك لتعجل بـه** »(١) أي ببيان معانيه الخفية وتأويلاته الغامضة « **ان علينا جمعه وقرآنـه** »(٢) كما قدرالله تعالى جمعه بيد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين « **ثم ان علينا بيانه** »(٣) ، أي حينما تبلغ الامـة بسبب السير في الشريعة المقدسة الاسلامية الى الدرجة العليا مـن الكمال ، وتصير الافئدة قادرة على ادراك مـا هو مكنون في كتب الله العزيز المتعال ، فيتبلج صبح الوصال وينزل الروح في غمام الجلال وتنقشع غيوم الضلال ويتجلى عليهم ربهم في أبهى حلل الجمال ، فيبين لهم تأويل الكتاب ويكشف لهم لباب الخطاب ويتم نعمة الله على عباده من كل الابواب ، ومما بيّناه يظهر معنى الحديث الذي رووه عن ابن عباس رضي الله عنهما « ان النبي عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفتيـه » ثم قـال « وانا احركهما كما كان رسول الله

(١) سورة القيامة الآية ١٦ .
(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .
(٣) سورة القيامة الآية ١٩ .



يحركهما » ، اذ كل عالم بالغ تصادفه هذه الشدة والصعوبة ويتلجلج في الكلام ويعالج صعوبة الافهام ويحرك شفتيه حين البيان اذا سأله القاصر عن ادراك المعاني الغامضة واستفهمه غير المبالغ الى رتبة فهم المسائل العالية ، ولا يعقل مصادفة الشدة من صلصلة الوحي كما فسره بعضهم ، اذ ليس للوحي صلصلة ولا للصلصلة صعوبة ، فان الوحي ليس الا نزول الآيات في صدور الانبياء والمرسلين كما يدلك عليـه قوله جلّ وعلا « **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحـد بآياتنـا الا الظـالمون** »(١) ، وقوله جـلّ ذكره وعزّ اسمـه « **نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين** » (٢) ، فهل ظن اصحاب تلك التفاسير التي هي اشبه شيء بأفكار الصبيان ان الوحي الالهي الذي عبر عنه أئمة أهل السنة والجماعة بالكلام القديم هو سلاسلواجراس ليلزمه رنة وصلصلة اعتمادا على بعض الاخبار الضعيفة او الافكار السخيفة ، ساء ما ظنوا وبئس ما مثلوا به آيات الله واهانوا واستهانوا بكلمات الله ، فكم وكم من المصائب ما قد جر له تلك التفاسير السخيفة على الكتب السماوية وفتحت ابـواب الرد والايـراد والاعتراض والانتقاد على الكلمات الالهية ، راجع كتاب ( مقالة في الاسلام ) الذي صنفه جرجيس صال الانكليزي والتذييل الذي ذيله به هاشم الشامي وامعن النظر فيـه لترى ان جل ما انتقد به هذان الفاضلان على القرآن انما هو راجع في الحقيقة الى تفاسير المفسرين وشروح الشارحين ، مما سيوضح سخافته السير الحثيث الذي يرى في تقدم المدارك والعقول واتساع نطـاق

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .
(٢) سورة الشفرآء الآية ١٩٣–١٩٦ .

المعارف والعلوم ، وكم من المصائب مـا قد جرتـه تلك الانتقادات والمناقشات على الامم والديانات ففتحت عليهم ابواق الضغائن والعداوات وانتهت الى الحروب والغارات واريقت فيها من الدماء ما لا تفي بوصفه امثال هذه الرسائل والمقالات ، وهنا نختم الكلام والسلام على صانعي السلام وفاتحي ابواب الالفة والمحبة بين الانام .

## بسم ربنـــا الابهى

ايها السادة سألتموني في الليلة الماضية عن مسألة عجيبة في بابها وهي « أن الله تعالى كامل في ذاته ويجب أن يكون خلقه ايضا كاملا ، فلم خلق العالم ناقصا ؟ ومن أين دخل النقص في الخلقة ؟ » .

فاعلموا أولا أن صعوبة الترجمـة بسبب تباين اللغات وتغاير المصطلحات وتفاوت العقول والادراكات تحول كثيرا دون حل أمثال هذه المسائل المعضلة والمطالب الغامضة ، وعلى علاتها أعرض عـلى جنابكم انه يفهم من سؤالكم هذا انكم اعتقدتم بأن الله تعالى خلق العالم في زمان ما في القديم وفرغ من الخلق والانشاء وتركه ناقصا أو عرضة لطريان النقص الى أن يقضي عليه بالزوال والفناء ، والحال ان لفظ الخالق اسم من اسمائه تعالى والخالقية صفة من صفاته جل وعلا ، فهو جلت عظمته لم يزل خالقا وجاعـلا للمخلوقات ومنشئا وموجدا للموجودات ، وفي كل حال هو موصوف بوصف الخالقية والجاعلية للكنات وكل ما ترونه ناقصا انما هو عبارة عن عدم تكمل الخلقـة وعدم تحقق كمال النشأة مما يقتضيه مرور الزمان وتتابع الاوان ليتحقق



تمام الكيان ، ويبلغ الى رفعة كماله عوالم الامكان ، مثلا اذا كانت الثمرة في النخل بسرا والحبوب في السنابل خضرا فلا يقال ان الخلقة ناقصة ومن اين دخل النقص في الثمرة غير اليانعة والحبة غير البالغة ، فانها بعد لم يكمل خلقها وما تم نشورها ، فكل ما ترونه في العالم من انواع المخلوقات ما عدا النوع الانساني فان الله تعالى قد أكمل خلقه واتقن صنعه ، واما نوع الانسان من حيث خلقته الجسمانية ونشأته الطبيعية فهو ايضا في غاية الكمال وتمام الاعتدال، واما من حيث روحانيته ومعارفه أي الكمالات التي تنتج منها المدنية الممدوحة والانسانية المحمودة ، فانه بعد لم يكمل خلقه وانشاؤه وما حان تكميله واعلاؤه ، اذ لو خلق الله الانسان كامل الذات في الازل لينافي ذلك معنى الاختيار والارادة التي بنيت عليها الانسانية ، وحاش لله أن يترك خلق الكون ناقصا وكتاب التكوين مبتورا ، فانه تعالى من سعة رحمته وسبوغ نعمته وكمال خالقيته واحاطة قدرته يرسل الانبياء والمرسلين ويبعث الشهداء والقديسين في كل قرن ودور لتشريع الشرائع الالهية وتنزيل الكتب السماوية وحفظ النواميس الدينية وبسط المعارف الروحانية ليكمل بهـم خلقـة العوالم البشريـة وتتم كمـالات الافـراد الانسانيـة **« هـل اتى على الانسان حـين من الدهر لم يكن شيئـا مذكورا »**(١) حاش لله تعالى ان يترك أفراد البشر سدى ، وهم غرس يده واشجار جنته وينابيع علمه وحكمته ومطالع صنعه وقدرته ، فلا بد من بلوغ العالم من جهة المعارف الى ذروة الكمال ووصول خلائق الخلق الى درجة الاعتدال ، كما بشرت به الصحف المطهرة وصرحت به الكتب المقدسة في سابق القرون والاجيال ، ثم اعلموا أيها السادة أنه ليس فهم معنى الخلقة وكيفيتها من المطالب السهلة الهينة ليدركها كل عقل

(١) القرآن الكريم سورة الانسان الآية ١ .

ويبلغ الى حقيقتها كل انسان ، فان الله تعالى ما أشهد أحدا من عباده خلق السموات والارض ولذلك أنكرتها الفلاسفة الطبيعية ، وبالاخص كثير من الشيعة المادية والدروينية ، حيث لم يعقل عندهم معنى القدم الحقيقي ، فأنكروا ما وراء الطبيعة واعتقدوا بأن الجواهر أزلية من حيث الذات وأن التغييرات تتبعها بسبب الحركة الجوهرية ومحركها ومديرها ليس الا الطبيعة العنصرية ، واما أهل الايمان والايقان فبالنور الذي أشرق عليهم من شمس معرفة الله والبرهان الذي تعلموه من مشرق امر الله – كما بيناه مفصلا في الكتاب الذي نشتغل بتصنيفه لكم بأمر مطلع ميثاق الله – عرفوا أن وراء القوة الطبيعية قوة قاهرة الهية تتصرف في النفوس والارواح كما هي تتصرف في المواد والاشباح، فلتلك القوة الالهية والحقيقة القدسية سلطان على العقول والمجردات كما للعقول والمجردات سلطة بأمر ربها على المادة والماديات ، وهذه القوة هي التي عبر عنها الانبياء بروح الله وذات الله والمتألهون بعلة العلل وحقيقة الواجب تعالى ، وهي المتصرفة في الاشياء والقاهرة على ما في الارض والسماء ، وتصرفها في الاشياء هو المعبر عنه بالخلق والجعل والانشاء ، ومعرفة مظاهر تلك القوة الغيبية والقدرة الملكوتية أول الواجبات وأهمها على الانسان النبيه من معرفة سبب نقصان الخلقة وكمالها والتفكر في تعيين بدء نشأتها وميقات زوالها ، فان معرفة مظاهر تلك القوة الغالبة والقدرة الباهرة والايمان بهم وانكارهم والاعراض عنهم هي التي عزت امما واهلكت آخرين ، وانشأت مللا وابادت الاولين ، بخلاف معرفة كيفية بدء الخلقة والتكلم في أول النشأة فانها مما لا يرجى من معرفته كبير نفع ولا من جهله كبير ضرر ، لذلك قال السيد المسيح له المجد كما جاء في الاصحاح العاشر من انجيل متى
**« ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون ان يقتلوها .**



**بل خافوا بالحري من الذي يقدر ان يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم»**
فاذا تدبرتم في هذه الحقيقة تعرفون المعنى الحقيقي من الفاظ الخلق والجعل والانشاء مما جاءت منذ القدم في كلمات المرسلين والانبياء وتصرفت فيها وحرفتها اوهام الفلاسفة والحكماء ، كما تفهمون ايضا معنى ما قلنا آنفا ان الله تعالى لم يزل يخلق وينشىء الامم الجديدة والشرائع البديعة بارسال مظاهر أمره ومطالع حكمه ليبلغ العالم الى درجة الاعتدال ويصعد الى ذروة المجد والكمال ، ومما قلنا يظهر ايضا ان كيفية بدء نشوء العالم وخلقة الجواهر على اعترافنا بكمال خلقها واتقان صنعها هي مما لا سبيل للعقل اليها ، حيث لم تصرح بها الكتب السماوية ولم تكتشفه البراهين الفلسفية اكتشافا تزول به الشكوك والشبهات كما هو الشأن في العقليات والحسيات ، فان غاية ما تمسك به المعتقدون بالديانات من الحكماء والفلاسفة في هذه المسألة ليست الا قياسات خيالية وبراهين وهمية ، ولذلك سمتها الشيع المادية واصحاب الفلسفة الدروينية بظلمات الافكار ، وغاية ما تمسكت به المادية والدروينية في سر هؤلاء واثبات أزلية الجواهر وانكار ما وراء الطبيعة ليست الا عبارة عن عدم وجدانهم لدليل يثبت به مخلوقية تلك الجواهر، فدليلهم هو عدم وجدان الدليل ، وهو برهان عليل لا يعتبره العاقل شيئا في مثل هذا الامر الجليل ، فكأنه اتصف الفرقتان وتساوى الفئتان فلا هؤلاء جاءوا ببرهان يثبت مطلوبهم ويقنع خصومهم وتتفق عليه عقولهم ولا هؤلاء ، فبقيت المسألة في خفائها ومجهوليتها الاولى ، ولذا قلنا هي مما لا سبيل للعقل اليها ولا في فهمها وعدم فهمها فائدة أو مضرة كبرى ، الا أن بعضا من المتفلسفين وأهل التعنت المجادلين بالباطل اتخذوها وسيلة لتشويش الاذهان وتشكيك النفوس وظنوا ان التكلم فيها فلسفة كبيرة وصرفوا في الخوض فيها أعمارهم ووقف جماعة

غير قليلين في حلها عقولهم وأفكارهم ، وما أتوا بشيء سوى تشويش البال والاقتناع بالمحال والغفلة عما هو ألزم لهم وأنفع في المآل ، ولذلك نهى بعض كبار القديسين والمرسلين عن الاستماع لسفاسف أقوالهم والانخداع لزخرف مقالهم ، كما جاء في الاصحاح الثاني من رسالة بولس الرسول الى اهل كولوسي حيث قال **« انظروا ان لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح »** وامثال ذلك كثيرة في رسائل ذاك الرسول الكريم والانسان العظيم ، وحاشاه ان يمنع الناس عن الفلسفة المفيدة التي فوائدها ظاهرة في تمدن العالم وتكميل لوازم الامم ، اذ لا منافاة بينها وبين الديانة الالهية او المعارف السامية الروحانية ، فان الدين ليس الا قانون موضوع بوضع الهي يكفل حفظ الهيئة الاجتماعية ليكتسب بها الحياة الدائمة الابدية ، وهذه هي عين المدنية المرغوبة والضالة المنشودة المطلوبة ، بل نهاهم عن الخوض فيما لا يفيدهم ولا تبلغ اليه عقولهم • ويسبيهم زخرف ظاهره الى ظلمات الافكار في غياهب الاوهام ، مما تنتهي به الاعمار ولا ينتهي فيه الكلام ، ومن العلماء ايها السادة الاجلاء يعتقد انه يعرف جميع أسرار الخلقة ويعلم تمام دقائق اسرار تلك النشأة ، ويعرف اعداد النجوم ويعلم عدد رمال البحار فاني لا احفظ اسماء مخلوقات كرة القمر وعدة نفوس خلق المريخ ولِمَ لم يعط الله للبشر جناحين ولم يخلق خلف رأسه عينين ، ولا أعرف حكمة تخصيص الورقاء بالسجع والتغريد ، والغراب بالنعاق والنعيب ، ولا أعلم ماذا تسمي الامهات بناتهن في الاجيال الآتية ، وبماذا يخاطب الآباء أبناءهم في القرون المقبلة ، فهل مجهولية هذه المسائل تستحق ان تجلب اليها انظارنا ونصرف في فهمها أعمارنا ونغفل عن الوعود الالهية التي



حانت اوانها وحل زمانها ، فعليكم ايها الاخلاء بالنظر في حقائق الصحف المطهرة ووصايا الالواح المقدسة لتفيدكم حياة طيبة ابدية وقدرة غالبة سماوية، او النظر في المعارف التي ترجع الى عمار العالم وتفيد صلاح الامم، ولا تخوضوا فيما لا يفيدكم شيئا من المعارف الروحانية او الفوائد المدنية ، واستظلوا في كل الاحوال بظلال الفرع الكريم المنشعب من الاصل القديم وتمسكوا بالعهد القويم المنعقد بارادة ربكم الرحمن الرحيم ، ولعلكم تبلغون بحول الله تعالى الى درجة لم يبلغ اليها أحد من الاولين ، ولن تسبقكم فيها نفس من الآخرين ، والحمد لله رب العالمين ، والبهاء على عباده الثابتين •

كتبه الاقل ابو الفضل الجرفادقاني ( كلبايكاني ) في ٢٢ رمضان ١٣١٨ هجرية مطابق ١٢ يناير من سنة ١٩٠١ ميلادية في مدينة بور سعيد•

# الباب والبابية [1]

لا يخفى ان المؤسس للبابية رجلان شهيران من اهل الشرق وهما الباب وبهاء الله • اما الباب فهو شاب شريف من اهل شيراز عاصمة فارس اسمه ميرزا علي محمد ولد في غرة محرم سنة ١٢٣٥ هجرية من عائلة معروفة بالسادة الحسينية من اهل التجارة • وتوفي والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه وربي هو في حجر خاله الحاج مير سيد علي التاجر الشيرازي • وكان من طفولته مواظبا على العبادات مداوما على الصلوات فلما ترعرع وشب اشتهر بالتقوى والورع وكان جميل الوجه كثير الوقار ظاهر المهابة بادي النجابة • واشتغل بالتجارة مع خاله المذكور في مدينة بوشهر وشيراز • وسافر قبل اظهار دعوته الى العراق لزيارة مشاهد الائمة كما هو معهود من الشيعة ومكث في العراق اقل من خمسة اشهر وهناك كان اول اشتهار اسمه بين الجمهور •

فلما رجع الى شيراز وبلغ سنه الخامسة والعشرين ادعى انه الباب[2] وذلك في الخامس من جمادي الاولى سنة ١٢٦٠ هجرية واول من صدقه وآمن به ملا حسين الشهير الملقب عند البابية بباب الباب وهو من اهل بشرويه من بلاد خراسان • وهكذا تتابع عليه اقبال الرجال حتى بلغ عددهم ١٨ نفسا فسماهم بحروف حي[3] وامرهم بالتوجه الى بلاد

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة « المقتطف » المصرية بتاريخ اول ايلول ١٨٩٦ اثر اغتيال ناصر الدين شاه بيد ميرزا رضا الكرماني احد اتباع السيد جمال الدين المشهور بالافغاني .

(٢) الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر .

(٣) لان عددهما بالابجدية ١٨ .



ايران والعراق وتبشير العلماء بظهوره ودعوتهم الى اتباعه وحثهم على كتمان اسمه حتى يعلنه هو بنفسه في وقته •

وتفنن المفسرون لاسم الباب على ما توهمه رجما بالغيب كما يستفاد مما ذكرته الجرائد المصرية حديثا • فبعضهم فسره بباب العلم وبعضهم بباب السماء وبعضهم بباب الحقيقة ولكن المستفاد من كتبه « انه هو القائم المبشر بقرب نزول المنقذ المجيد ودخول العالم في دور جديد » ولهذا اشتهر اتباعه بالبابية وذاع صيتهم بهذا اللقب في الممالك الاسلامية •

ولما اتى موسم الحج توجه الى مكة وبعد فراغه من اعمال الحج اعلن دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمه وذاعت دعوته وعلا صيته ورجع الى ايران ونزل في مدينة بوشهر على خليج العجم فقبض عليه والي فارس حسين خان الملقب بنظام الدولة وبقي محبوسا في مدينة شيراز عدة شهور حتى حدث في بلاد فارس وباء شديد ففر اكثر الاهالي وغفلوا عن حراسته فرجع الى بيته وسافر الى اصفهان ونزل في بيت امام الجمعة مير سيد محمد الملقب بسلطان العلماء • وكان والي اصفهان اذ ذاك الامير الشهير معتمد الدولة منوجهر خان فانجذب من حسن بيانه ومال اليه واعتقد به وكتب الباب كتابه الموسوم بالنبوة الخاصة في خصائص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطلب منه • وكتب ايضا كتابه الموسوم بتفسير سورة الكوثر بطلب سلطان العلماء •

وكان الباب يرتجل في خطبه ورسائله حتى قيل انه كان يكتب في اربع ساعات الف سطر بالعربية او الفارسية على غاية من جودة الخط وحسن الاسلوب • ووقع بينه وبين العلماء مناظرات اكثرها مدون في

الكتب التاريخية فادهشهم بقوة قريحته وسرعة قلمه وحسن بيانه . فحدث بين العلماء اختلاف كبير في امره وهيجان شديد منهم من صدقه وآمن به مثل محمد تقي المدرس الهروي وحبيب الله العلوي ومنهم من حكم بجنونه مثل مير سيد محمد واتباعه . والاكثرون افتوا بتكفيره ووجوب قتله مثل محمد مهدي الكلباسي واضرابه . فنقله الوالي من بيت سلطان العلماء الى بيته واخفاه واظهر انه ارسله الى طهران بأمر المرحوم محمد شاه . فبقي مختفيا في بيت منوجهر خان حتى توفي وتولى ابن اخيه ميرزا كركين خان على اصفهان فأرسل الباب بأمر المرحوم محمد شاه الى طهران فلما صار على نحو مرحلة من طهران ارسلوه الى آذربايجان وبقي محبوسا في جهريق وماكو وهما قلعتان من قلاع آذربايجان حتى توفي المرحوم محمد شاه وجلس على تخت ايران جلالة ناصر الدين شاه .

وفي اثناء ذلك اشتدت الخصومة بين اتباع الباب وعلماء ايران وولاة البلاد فقاموا يدا واحدة على البابيين واتفقوا على لزوم ابادتهم فاشتبكت الحرب بينهم في بلاد مازندران وزنجان ونيريز .

وخلاصة هذه الوقائع ان ملا حسين المذكور آنفا سافر مع اصحابه من خراسان قاصدين كربلاء من بلاد العراق ولحق بهم الحاج ميرزا محمد علي المازندراني الملقب عند البابية بالقدوس وملا محمد صادق الخراساني الملقب عند الشيعة بالمقدس وهما من العلماء المشهورين فعقدوا اعلاما سودا ورحلوا فلما وردوا الى ساري عاصمة مازندران حكم ملا سعيد اكبر علماء البلد بوجوب محاربة البابيين وابادتهم . فالتجأوا الى مقبرة الشيخ الطبرسي احد العلماء المشهورين وحصنوها وقاموا للمدافعة وكان عدد البابيين ٣١٣ نفسا وحصل بينهم مناوشات



كان الفوز فيها للبابيين . فصدر الامر من الدولة لعباسقلي خان السردار اللاريجاني بمحاربةالبابيين فحاصرهم هو ومهديقلي ميرزا والي مازندران بالمدافع والجنود المنظمة . فأوقع بهم البابيون وقتلوا منهم خلقا كثيرا فتتابعت عليهم العساكر والمدافع وامتد الحصار وقتل في اثنائها رئيسهم ملا حسين واشتد عليهم الجوع واخيرا أمّنهم الوالي والسردار وخرجوا وسلموا اسلحتهم فأحاطت بهم العساكر وقتلوهم بالرصاص جميعا الا رئيسهم الملقب بالقدوس وبعض خواصه فأرسلوا الى مدينة بارفروش وقتلهم ملا سعيد كبير العلماء باتفاق الطلبة واحرق جثثهم .

وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام بين البابية وعلماء الشيعة وكان زعيم البابيين الحاج ملا محمد علي الزنجاني احد العلماء المشهورين وكان الوالي امير ارسلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه المرحوم . فعمل الوالي باغراء علماء الشيعة على ابادة البابية واشتبك القتال بينهمواشتد الامر على الوالي فارسل الى طهران فأرسلت له العساكر والمدافع حتى قتل زعيم البابيين وفني رجاله عن آخرهم وأرسلت بقية منهم الى طهران فقتلوا هناك .

وفي مدينة نيريز من مدن فارس اشتبكت الحرب بين الحزبين وكان رئيس البابيين العالم الشهير السيد يحيى الدارابي ابن السيد جعفر الكشفي صاحب المصنفات كسنابرق وتحفة الملوك وغيرهما . فآل الامر الى قتل السيد يحيى واصحابه بعد تأمينهم .

فلما توفي المرحوم محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية وجلس على التخت جلالة ناصر الدين شاه في العاشر من سبتمبر من تلك السنة كانت ايران اذ ذاك مصدر القلاقل والفتن بسبب سوء تصرف اتراك الايروان المستولين على المناصب في صدارة حاجي ميرزا اقاسي واعلن

والي خراسان محمد حسن خان الملقب بسالار العصيان على الدولة وادعى الملك وعقد صلحا مع امراء افغان وبخارا وتركمان وازدادت هذه القلاقل بظهور البابية وما وقع بسببهم من المحاربات الدموية • فعزم ميرزا تقي خان الصدر الاعظم على قتل الباب وظن انه يتمكن من ابادة البابية بقتل رئيسهم فاصدر امرا بقتله الى حشمة الدولة حمزة ميرزا والي تبريز وهو عم جلالة ناصر الدين شاه فأبى هذا وقال « ساء ظني وخاب املي فاني كنت آملا من دولة ايران ان تأمرني بمحاربة دولة من الدول الكبيرة وما ظننت ابدا انها ستأمرني بقتل احد اتقياء اولاد الرسول الذي ما فات منه نافلة من النوافل ولا ادب من الآداب العالية الانسانية » • فأمر الصدر الاعظم أخاه ميرزا حسن خان رئيس عساكر آذربايجان بقتل الباب فعلق في ميدان مدينة تبريز وقتل بالرصاص في ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هجرية •

فلما قتل الباب زاد اشتهار تعاليمه وكذلك زاد اضطهاد اتباعه • واشتهر من بعض رؤسائهم دعاوى مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآتية وامثالها فاختلفت آراؤهم وتشتت اهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات وزاد الطين بلة ان اطلق شاب اسمه محمد صادق التبريزي رصاصة على جلالة ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٨ هجرية حينما خرج جلالته للصيد من قصره في قرية نياوران وهي على ساعتين من طهران فاشتد الامر في طهران وسائر البلاد على البابيين فقبضوا على المتهم والبريء والمطيع والعاصي وقتلوا كثيرين منهم بأشد انواع القتل وافظعها •

ومن جملة من قتل في هذه الحادثة المرأة الشهيرة قرة العين وهي بنت حاجي ملا صالح اكبر علماء قزوين • وكانت اعجوبة عصرها في العلم



والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان وكانت منتمية الى الشيخية مكبة على مطالعة الكتب الكلامية • فلما ظهر الباب وانتشرت رسائله اعتنقت مذهبه وصارت من اعظم انصاره وكانت اذ ذاك في مدينة كربلا فناظرت علماءها فافحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها • فحدث هيجان عظيم بين علماء العراق فاضطرت ان تمضي الى بغداد ونزلت مع بعض خواصها وحاشيتها في بيت ابن الالوسي الشهير مفتي بغداد ( وهو مصنف كتاب تفسير روح المعاني المطبوع في بولاق ) ومكثت في بيته نحوا من شهرين وناظرت علماء بغداد فعرضوا حالها على الاستانة فرجعت الى ايران بأمر السلطان المرحوم عبد المجيد خان • فلما بلغت بلاد ايران ناظرت علماء كرمانشاه وهمذان ووردت الى قزوين وسكنت في بيت والدها حتى قتل عمها في قزوين فمضت الى طهران ونزلت في بيت الشارع الشهير بهاء الله • فقبض عليها بعد مدة وبقيت محبوسة في طهران حتى حدثت حادثة سنة ١٢٦٨ هجرية كما ذكرنا آنفا فقتلت خنقا والقيت جثتها في بئر في الجنينة المعروفة بباغ ايلخاني •

قال ابن الالوسي « القرتية اصحاب امرأة اسمها هند وكنيتها أم سلمة ولقبها قرة العين لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة اشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول برفع التكاليف بالكلية وانا لم احس بشي من ذلك مع انها بقيت في بيتي نحو شهرين وكم من بحث جرى بيني وبينها ورفعت فيه التقية والبين وقد رأيت فيها من الفضل والكمال ما لم اره في كثير من الرجال وهي ذات عقل واستكانة ومزيد حياء وصيانة وقد ذكرنا ما جرى بيننا من المباحثات في غير هذا المقام واذا وقفت عليه تبين ان ليس في فضلها كلام » الى آخر قوله •

وقد خلف الباب رسائل كثيرة وكتبا مدونة بالفارسية والعربية منها ما ذكرناه ومنها الرسالة العدلية في الفرائض الاسلامية ومنها تفسير سورة البقرة واحسن القصص وكتاب اسماء كل شيء ومنها البيان الفارسي • واورد عليه اعداؤه ان كلامه خارج عن الفصاحة وفيه ما يخالف القواعد النحوية • وقيل انه لما انتقدوا عليه هذا الانتقاد اجاب بأن الكلمات كانت مقيدة فلما ظهر اطلقها من القيد ••• ولكني رأيت في كتاب البيان انه اجاب عن هذا الايراد اولا بأنه ما قرأ النحو والصرف وما تعلم في المدارس وما ادعى انه من اهل العلم بل انه شاب فارسي امي مأمور من ربه ملهم بمعارفه • وثانيا بأن منكري القرآن انتقدوا على رسول الله عليه السلام بأمثال هذه الانتقادات واستشهد ببعض الآيات القرآنية التي انتقدوا عليها بأن فيها ما هو مخالف للقواعد النحوية والاصول اللغوية • والحق يقال ان كتب الباب وبهاء الله ورسائل فرعه الكريم عباس ليست مما ينتقد عليها بأمثال ذلك •

وللباب حسابات دقيقة ليس هنا مقام تفصيلها مثلا عبّر عن العدد ١٩ بالواحد تطبيقا على حساب الابجدية وبحاصل ضربه في نفسه بعدد كل شيء وبنى على هذا العدد تواريخ ايامه وطبقات اصحابه وابواب كتبه والسنن والآداب المنسوبة الى طريقته • وله احكام صعبة صارمة قلما يمكن ان يعمل بها نقحها واصلحها بهاء الله كما سنبينه •

واما بهاء الله واسمه ميرزا حسين علي فولد في ٢ محرم سنة ١٢٣٣ هجرية ووالده ميرزا عباس الملقب بميرزا بزرك النوري كان من كبار وزراء دولة فتح علي شاه والعائلة النورية من العائلات الشهيرة في بلاد ايران •

فلما قام الباب واشتهر ذكره صدقه بهاء الله فاشتد به أزر البابيين



وعلت كلمتهم وكثرت جماعتهم وانتشرت تعاليمهم في طهران ومازندران وكان بينه وبين الباب مراسلات سرية كان الواسطة فيها ميرزا عبد الكريم القزويني كاتب ألواح الباب • فلما حدثت حادثة سنة ١٢٦٨ كما ذكرنا قبض على بهاء الله وسجن نحو اربعة اشهر وحوكم بمحضر جمع من الوزراء وكان سفير روسيا يدافع عنه فلما ثبتت براءته من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه أمر الشاه بالافراج عنه وابعاده الى العراق فخرج من طهران مصحوبا ببعض عساكر ايران تراقبه بعض فرسان سفارة الروس حفظا له من الاغتيال اثناء الطريق حتى ورد بغداد سنة ١٢٦٩ •

ولما اقام في بغداد اشتد أزر البابيين به وطابت مناهلهم بوروده فانه كان على جانب عظيم من الوقار والمهابة والدعة • فأخذ في تهذيب ما فسد من اخلاقهم واصلاح ما انحرف من اعمالهم واجمع كلمتهم واشهر دعوتهم فطار صيته وانتشرت رسائله • وطالت اقامته في العراق نحو ١٢ سنة حتى ظهرت حزازات وضغائن في صدور بعض الايرانيين المقيمين في العراق واشتعلت بين الحزبين نار العداوة والشقاق • فآل الامر الى ارسال بهاء الله الى الاستانة بأمر السلطان المرحوم عبد العزيز خان • وبعد ما مكث فيها نحو اربعة اشهر امر بالمسير الى مدينة ادرنه من بلاد روملي فتوجه اليها واقام فيها نحو خمس سنين وجد في نشر تعاليم البابيين حتى تكررت العداوة وتكررت الشكاية فصدر الامر بنفيه الى عكاء من بلاد الشام فتوجه اليها مع اهل بيته وخدامه سنة ١٢٨٥ هجرية•

ولم ينثن عزمه عن تقديم اتباعه وتهذيب اخلاقهم مع ما لحقه من الاضطهاد فسن لهم سننا عادلة وقرظ آذانهم بمواعظ حسنة فوشح رسائله التي زادت عن الالف عدة بأحسن المواعظ والنصائح وزينها

بأجمل الامثال والشواهد • ففرض عليهم تربية الاطفال ذكورا واناثا بالعلم والادب والاهتمام بتعميم المعارف وتوسيع نطاقها حتى قيل انه ادخل المعلمين في طبقات الورثة وكذلك فرض عليهم الاشتغال بالصناعة والتجارة ونهاهم عن الكسل والبطالة وامرهم بحب الخلق على اختلاف مذاهبهم واديانهم وعلمهم ان الاديان شرعت للمحبة والوفاق فلا يجعلنها سببا للعداوة والافتراق • وحثهم على اطاعة الملوك والرضوخ للقوانين الدولية ومنعهم من الدخول في الامور السياسية وصرح في كتبه بأن سلطة الملوك سلطة سماوية ومنحة الهية • ولذا منعهم عن التكلم بالسوء في حق الملوك والامراء • وفرق بين المعاملات والعبادات فأرجع حكم العبادات الى الكتاب وحكم المعاملات الى المجالس العدلية ونهى عن تأويل الكتاب • وكذلك منعهم عن اللعن والسب والشتم والغيبة والافتراء والقتل والزنا وعن كل ما يخالف الانسانية ويحدث القلق والاضطراب في الهيئة الاجتماعية حتى منعهم عن حمل الاسلحة الا باذن الدولة • ومنعهم عن المتعة والتسري وامرهم بالاكتفاء بزوجة واحدة وان لا يتجاوزوا اثنتين البتة وصعّب عليهم الطلاق وعندهم الصوم والصلاة والحج والزكاة على حسب ما فصل لهم في الكتب الدينية فنجح في بث تعاليمه وتحسين اخلاق شعبه الى ان توفي في ٢٩ ايار سنة ١٨٩٢ ميلادية موافقا لثاني ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هجرية •

واول من دون وقائع البابية هو ميرزا تقي المستوفي الكاشاني الملقب بلسان الملك مصنف كتا بناسخ التواريخ فانه ذكر في تاريخه المخصوص بالقاجارية واقعة ظهور الباب وحوادثها موافقا لما اشتهر عنها عند اعداء البابيين فنسبهم الى الفساد والالحاد وذكر عنهم امورا تنفر منها القلوب وتشمئز منها النفوس • لانه في ايام اضطهاد البابيين اجتهد



المعاندون لهم في بث المفتريات عليهم ورموهم بالاباحة وفساد الاخلاق فما ابقوا قبيحا الا نسبوه اليهم ولا رذيلة الا وصفوهم بها فكثرت الاشاعات وقلقت الافكار فأشكل امرهم على الاروبيين فقام جماعة من اهل الفضل والانصاف منهم لكشف عقائد البابية ومعرفة عاداتها • منهم العالم الفاضل مستر برون ادوارد معلم اللغات الشرقية في مدرسة كمبردج • سافر هذا العالم الى ايران سنة ١٣٠٥ هجرية وعاشر البابيين واخذ شيئا من كتبهم وسافر من ايران الى الشام ودخل عكاء ولقي بهاء الله فرجع الى اوربا ونشر ما رآه في المجلات العلمية • وكذلك الاستاذ البارون رزن احد الاساتذة في مدارس بطرسبرج ترجم بعض رسائل بهاء الله ونشرها في بلاد روسيا وسائر اوربا • ومنهم الكابتن الكسندر تومانسكي احد الضباط سافر الى مدينة عشق آباد ومنها الى ايران وعاشر البابيين وعرف عاداتهم واخلاقهم وشرع في تأليف تاريخهم • وكذلك قام بعض افاضل الشرقيين لتدوين وقائعهم منهم ميرزا محمد حسين الهمداني صاحب كتاب التاريخ الجديد • وهذا سافر مع جلالة ناصر الدين شاه في سفره الاول الى اوربا وعند عودته اتى الاستانة وعرف شيئا عن الطريقة البابية • فلما رجع الى ايران صنف تاريخه المذكور وترجم الى الفرنسوية والانكليزية في اوربا • • •

# باسم ربنا تقدست ذاته

حبيبي الفخيم وصلني كتابك وسرني خطابك وشاقني سؤالك ، فوجب علي جوابك ، وأسأل الله تعالى من سعة رحمته وسبوغ نعمته وعظيم آلائه وجسيم نعمائه ان يؤيدك بالاستقامة الكبرى في تقويم عماد شريعته العظمى وهداية الامم الى طريقته المثلى ، وان يبارك هذا العيد السعيد واليوم المجيد على جميع المسلمين وعلى الخلائق اجمعين انه هو رب العالمين وارحم الراحمين .

واما ما ذكرت من تألب الاعداء وتكالب اولي البغضاء وهجوم الخصوم وقطع الراتب المرسوم فهو امر موعود محتوم في شدائد هذا اليوم المبارك المعلوم ، فعليك بالاستقامة الكبرى والتمسك بالحكمة التي هي اول حكم رقمته يراعة المولى في ألواح شتى وفرضتها واوجبتها على جميع اهل البهاء واصحاب السفينة الحمراء ، ولا يقبل بدونها عمل بلا استثناء ، وهي الحصن الحصين والدرع المتين لحفظ اغنام الله من الذئاب الضارية في هذا اليوم المبين ، وليس المراد من الحكمة هو الخوف او الكلام السوء ، حاشا ثم حاشا بل الحكمة هي التعقل في الامور والتمسك بالطريقة المثلى ، وهو لا يعقل ولا يتحقق الا باتباع اوامر المولى ، ولذا جاء في الحكم القديمة ورقمه القلم الاعلى في الالواح المقدسة الحديثة **رأس الحكمة مخافة الله** ، ونزل في القرآن العظيم والسفر الكريم « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** »(١) مثلا اذا نهى الرب تعالى عن التبليغ فليس من الحكمة تبليغ امر الله في السر ثم انكار الامر في الجهر ، فان ذلك اذا تكرر ينتهي لا شك الى

(١) القرآن الكريم سورة آل عمران الآية ٣١ .



الهبوط والحبوط ثم الى الهلاك والسقوط ، واني على ما توسمت يا حبيبي في خمائلك وشمائلك من الخير وتفرست في سرائرك ومخائلك من الصدق ، احب ان تبلغ الى الدرجة العليا والغاية القصوى بعناية ربنا الابهى ، ويبقى لك ذكرا جميلا واسما جليلا وصوتا مسموعا وصيتا مرفوعا في النشأة الاخرى والملكوت الاعلى ، واعلم يا حبيبي ان افضل عمل لك اليوم هو ان تشتغل بتهذيب اخلاقك وتكميل معارفك اولا ، وتصليح تجارتك وتسهيل موارد رزقك من الطرق الممدوحة ثانيا ، وحفظ قلوب من ابلغتهم اوامر ربك وهديتهم الى سبيل معرفة بارئك ، وتكميل طرق معرفتهم وتشييد دعائم استقامتهم وازدياد اشتعالهم وحرارتهم ، حتى يأتي يوم تزول فيه موانع التبليغ ويساغ فيه كؤوس النداء والتسبيغ ، فتصدع يومئذ بأمر ربنا الاعلى بين الامم الكبرى فيتسابقون الى العلى سباق الجياد في الحلبة الاولى ويدخلون افواجا في الجنة العليا والمحجة المثلى كما وعدنا به في الصحف المطهرة الاولى وفي ألواح ربنا البهي الابهى .

واعلم يا حبيبي انه سيدخل عليكم كثيرون ويتظاهرون بسجايا المتفحص الباحث ويظهرون السلم والوفاق وهم اهل النفاق واصل الشقاق ومقصدهم معرفة اهل الايمان واضطهاد اصحاب الايقان كما تصرح وتنادي به آي الفرقان منها قوله تعالى « **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم والتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** »(١) الى آخر الآية الكريمة ، فبحكم الآية المباركة لا بد من دخول اهل النفاق على اصحاب الوفاق

(١) القرآن الكريم سورة الحديد الآية ١٣ .

# باسم ربنا تقدست ذاته

حبيبي الفخيم وصلني كتابك وسرني خطابك وشاقني سؤالك ، فوجب علي جوابك ، وأسأل الله تعالى من سعة رحمته وسبوغ نعمته وعظيم آلائه وجسيم نعمائه ان يؤيدك بالاستقامة الكبرى في تقويم عماد شريعته العظمى وهداية الامم الى طريقته المثلى ، وان يبارك هذا العيد السعيد واليوم المجيد على جميع المسلمين وعلى الخلائق اجمعين انه هو رب العالمين وارحم الراحمين .

واما ما ذكرت من تألب الاعداء وتكالب اولي البغضاء وهجوم الخصوم وقطع الراتب المرسوم فهو امر موعود محتوم في شدائد هذا اليوم المبارك المعلوم ، فعليك بالاستقامة الكبرى والتمسك بالحكمة التي هي اول حكم رقمته يراعة المولى في ألواح شتى وفرضتها واوجبتها على جميع اهل البهاء واصحاب السفينة الحمراء ، ولا يقبل بدونها عمل بلا استثناء ، وهي الحصن الحصين والدرع المتين لحفظ اغنام الله من الذئاب الضارية في هذا اليوم المبين ، وليس المراد من الحكمة هو الخوف او الكلام السوء ، حاشا ثم حاشا بل الحكمة هي التعقل في الامور والتمسك بالطريقة المثلى ، وهو لا يعقل ولا يتحقق الا باتباع اوامر المولى ، ولذا جاء في الحكم القديمة ورقمه القلم الاعلى في الالواح المقدسة الحديثة **رأس الحكمة مخافة الله** ، ونزل في القرآن العظيم والسفر الكريم « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** »(١) مثلا اذا نهى الرب تعالى عن التبليغ فليس من الحكمة تبليغ امر الله في السر ثم انكار الامر في الجهر ، فان ذلك اذا تكرر ينتهي لا شك الى

(١) القرآن الكريم سورة آل عمران الآية ٣١ .



الهبوط والحبوط ثم الى الهلاك والسقوط ، واني على ما توسمت يا حبيبي في خمائلك وشمائلك من الخير وتفرست في سرائرك ومخائلك من الصدق ، احب ان تبلغ الى الدرجة العليا والغاية القصوى بعناية ربنا الابهى ، ويبقى لك ذكرا جميلا واسما جليلا وصوتا مسموعا وصيتا مرفوعا في النشأة الاخرى والملكوت الاعلى ، واعلم يا حبيبي ان افضل عمل لك اليوم هو ان تشتغل بتهذيب اخلاقك وتكميل معارفك اولا ، وتصليح تجارتك وتسهيل موارد رزقك من الطرق الممدوحة ثانيا ، وحفظ قلوب من ابلغتهم اوامر ربك وهديتهم الى سبيل معرفة بارئك ، وتكميل طرق معرفتهم وتشييد دعائم استقامتهم وازدياد اشتعالهم وحرارتهم ، حتى يأتي يوم تزول فيه موانع التبليغ ويساغ فيه كؤوس النداء والتسبيغ ، فتصدع يومئذ بأمر ربنا الاعلى بين الامم الكبرى فيتسابقون الى العلى سباق الجياد في الحلبة الاولى ويدخلون افواجا في الجنة العليا والمحجة المثلى كما وعدنا به في الصحف المطهرة الاولى وفي ألواح ربنا البهي الابهى .

واعلم يا حبيبي انه سيدخل عليكم كثيرون ويتظاهرون بسجايا المتفحص الباحث ويظهرون السلم والوفاق وهم اهل النفاق واصل الشقاق ومقصدهم معرفة اهل الايمان واضطهاد اصحاب الايقان كما تصرح وتنادي به آي الفرقان منها قوله تعالى « **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم والتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** »(١) الى آخر الآية الكريمة ، فبحكم الآية المباركة لا بد من دخول اهل النفاق على اصحاب الوفاق

(١) القرآن الكريم سورة الحديد الآية ١٣ .

للاستطلاع والاستراق، فلا يغرنك تحببهم وترفقهم ولا يخدعنك ملاينتهم وتملقهم ، فان التهور والتعجل يوجب الندم والافتضاح والتأني والتروي يكفل النجاح والفلاح ، ومن الحكم المأثورة « العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن » ٠

واما جواب حفيد المرحوم الشيخ قادر السنندجي ، فاني اول ما وصلني كتابك الشريف شرعت في انشاء جواب لايراداته وتحرير رسالة في رد اعتراضاته ، ثم بدا لي انه لا يستحسن مني ان اكتب بنفسي جوابا لكتابه ، حيث هو لم يخاطبني رأسا في رسالته ولم يوجه الي خطابا في مقالته ، وكذلك لم أر ان تكتب حضرتك ردا عليه حفظا لمقامك ولحاظا لعواقب ايامك ، فتحيرت في الامر وامعنت الفكر فما وجدت مخرجا ولا هديت منهجا ، حيث لم اجد في احبائي في مصر ممن صرفت العمر في تكميله اعواما وتحملت في تعليمه آلاما من يتجرأ على مباراته ويتشجع في دفع اعتراضاته ، فبدا لي اخيرا ان اخابر مع أحد تلامذتي من الامة الباسلة الافغانية ، ممن قرأ علي ايام اقامتي في بخارا حاضرة الممالك التورانية ونزل في هذه الايام في الاستانة العلية وهو من الافاضل الازكياء ممن يوصف بغزارة العلم وسعة الاطلاع ، ويعتمد عليه في مقام المناظرة والدفاع ولا بد من وصول جوابه في هذه الايام فنبعثه اليك اذا كان وافيا بالمرام ٠

واما ما ذكرت في لفظة ( ستان ) التي تلحق بأواخر بعض الاسماء الفارسية وظن بعضهم انها بمنزلة ياء النسبة ، فلا يجوز جمعها في لفظة واحدة كالكردية والتركية ٠ فاعلم يا حبيبي ان ياء النسبة في اللسان الفارسي هو عين ياء النسبة في اللسان العربي ولفظة ( ستان ) لا يقوم مقام ياء النسبة ابدا فلا يقال طهرانستان واصفهانستان وبغدادستان في مقام



الطهراني والاصفهاني والبغدادي ، حيث ان ياء النسبة قياسية في الفارسي كما هو في العربي ، وانما الحاق هذه اللفظة يفيد معنى المكان والزمان في اللغة الفارسية كوزن مَفعَل ومَفعِل في اللغة العربية، وكما ان هذا الوزن سماعي في اللغة العربية كذلك هذه اللفظة في اللغة الفارسية ، وكثيرا ما جمع الفصحاء بينها وبين ياء النسبة ٠ قال السعدي الشيرازي ( افصح من نطق بالفارسية بعد فردوسي ) :

پای سروبوستانی درگل است　　　سرومارا پای معنی دردل است

وقال في كتاب بوستان :

خدایا توشب روبآتش مسوز　　　که ره میزند سیستانی بروز

وقال القآني الشهير في قصيدة في مدح خاتم الانبياء عليه السلام وهو افصح شعراء القرن الماضي ومطلع القصيدة :

بود این نکته درحکمت سرای غیب برهانی
که درجانان رسی آنگه که جان ازعیب برهانی

الى ان قال في طي قصيدته ومدائحه :

معذب تانداری تن مهذب می نگردد جان
که تابرکش نپیرائی نبالد سروبستانی
تبارك یانبیّ الله آخر پرده یکسونه
که تاازچهر میمونت کند گیتی گلستانی
چنان شد راست کارملك ازاوکاندردبستان هم
نگردد ازپی تعلیم خم طفل دبستانی

وقال في قصيدة في مدح امير المؤمنين علي عليه السلام وهي من قصائده المشهورة مطلعها :

سروش غیبم درگوش گفت پنهانی
که جهل دونان خوشتر زعلم یونانی

الى ان قال :

نسيم خلت تو بردل خليل وزيد
كه كردآتش سوزان براو كلستاني

وامثال ذلك كثيرة في اللغة الفارسية مثل ( شهرستان ) مدينة العلامة محمد الشهرستاني صاحب الملل والنحل و( سيستان وسجستان ) مملكة في جنوب ايران محل تخت خلف بن احمد الشهير السجستاني و( اردستان ) مدينة من توابع اصفهان توصف بجودة الرمان ويقال للنسبة اليها اردستاني و( غرشستان ) مملكة متاخمة لبخارا ويقال للنسبة اليها غرشي وغرشستاني و( دبستان ) للمدرسة والكتاتيب وكثير من امثالها مما لا يسعني الاتيان بجميعها لقلة الفرصة وكثرة الاشغال ، وهناك فرق آخر وفائدة اخرى حيث ان لفظ الكردي يفيد النسبة الى الطائفة فقط واما لفظ الكردستاني يفيد النسبة الى الطائفة والمملكة لما قلنا ان لفظة ( ستان ) تفيد معنى اسم المكان ، فلا يجوز لكردي مولود في غير مملكة كردستان ان يقال له كردستاني مثل اكراد خراسان ، بل يقال لهم اكراد وكردي وخلاصة الكلام ان لفظة الكردي والكردستاني كلاهما في محلهما صحيحان ، الا ان الثانية افصح واجمع واحلى والسلام على من اتبع الهدى .

وارجو من حضرتك ان تبلغ تحيتي وسلامي وتفخيمي واحترامي للعلامة المفضال سيادة لطيف باشا سليم ونجله بل شبله حضرة فؤاد بيك



زادهما الله تعالى عزا واحتراما وتجلة واعظاما ، وما نسيت ولن انسى الكتاب الذي وعدت لاقدم الى سعادته الا ان الكتب الموجودة المطبوعة اغلبها فارسية مثل الايقان والبشارات والكلمات الفردوسية وامثالها ، وليس لي فرصة وفراغ لاكتب بنفسي كتابا من الكتب المقدسة والالواح المطهرة والا لكنت احب ان يكون في كتبخانة سعادته من تلك الكتب النفيسة كتابا بخط يدي ليكون احسن هدية اليها واجل تذكار فيها ، ولا بد ان شاء الله تعالى من ان ابعث بكتاب الى تلك الحضرة الفخيمة سواء كان مطبوعا او مكتوبا عند التمكن والحصول والله تعالى احسن كفيل للبلوغ الى المأمول .

وكذلك ارجو من محبتك ان تبلغ خالص التحية والثناء وفائح نفحات التكبير والبهاء على احباء الله في هناك خصوصا حضرة الفاضل الشيخ احمد الطنطاوي وحضرة الماجد مصطفى افندي المكاوي ورفيقه بل شقيقه في الايمان حضرة حسين افندي وكذلك حضرة الفاضل النبيه الشيخ احمد عزت حفظهم الله جميعا من شبائك الامتحان وموارد الافتتان مما لم تبلغ اليه العقول ولن تدركه بصائر الفحول ، وارجو من فضلهم ان يزودوني بصالح دعواتهم حين صلواتهم وفي مقاعد مناجاتهم فان دعاء الاولياء خير هدية من الاحباء واحسن زاد يزودون به المسافر في الاقطار والارجاء ، ولا ينسوا ان ايامنا هذه ليست ايام الغفلة والذهول وميقات اللهو والخمول او الاشتغال بما عن قريب يفنى ويزول ، فسوف يأتي يوم يتحسر الانسان على دقيقة منها حيث كان يمكنه ان يغرس فيها شجرة يجني ثمراتها بدوام الارض والسماء ويستظل بظلالها في كل عالم من عوالم الانشاء ولذلك سماها رب العزة بيوم التغابن ويوم الحسرة فان الانسان يغبن فيها ما لا يتدارك في الايام الاخرى

ويتحسر ويطلب الرجوع وانى له الرجعى وفي ذلك كفاية لاولي النهى، وعليك التحية والثناء والتكبير والبهاء ما هبت الصبا وتعطرت الارجاء بأريج ذكر من طاف حوله الإسماء في عشية الثالث من شوال من سنة ١٣١٨

ابو الفضل



# هو العزيز الكريم

حضرة الاستاذ الفخيم احمد الله تبارك اسمه وتعالى جده على ما وفقني لزيارة كتابك وتلاوة خطابك الدال على فرط ميلك لمعرفة المبادىء السامية واستكشاف المعارف العالية واستبانة ما خفي منها عن البصائر والابصار وتعالت مداركه عن الاوهام والافكار ، فشكرت الله تعالى وتضرعت الى حضرته المقدسة ان يقربك الى عالم الانوار مقام الكشف والاستبصار ، انه رب الابرار واللطيف بعباده الاخيار ، ثم اعلم أيها الحبر الجليل ان معرفة حقيقة المسائل التي رشقت بها يراعتك واقترحتها قريحتك واجادتها براعتك وتلتها علينا نميقتك ، منوطة بمعرفة حقيقة التوحيد والتميز بين الاشراك والتفريد ، فان الامم بأجمعهم من المسلمين والنصارى واليهود والزردشتية والهنود وغيرهم من اصحاب الاديان متفقون على وجوب الاذعان بوحدانية الله وتفريده واتصافه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال وتنزيهه عن صفات النقص وتقديسه عن لوازم الجسم ، وذات الله تعالى لا تدرك فيحكم عليها بالتفرد او التعدد فكل ما يقال عن توحيدها راجع الى مطلع تلك الذات القدسية والحقيقة الواحدة ، وقد تغنى بهذه النغمة السماوية ذاك الطير الصادح بحقيقة التوحيد مولانا الاقدم جلال الدين البلخي حيث قال في كتابه المثنوي باللسان الفارسي البديع :

آن يهود از ظرفها مشرك شداو
نورد يدان مؤمن ومدرك شداو

كر نظر نظر بر روح افتد مردرا
بس يكى بيند خليل ومصطفى

ور نظر بر جسم افتد رو حرا
پس دو بیند شیس را ونوحرا

وكذلك صرح في كتاب غزلياته وقد طبع مراراً في الهند والفرس حيث قال قدس الله روحه

هر لحظه بشكلى بت عيار بر آمد
دل برد ونهان شد
هر دم بلباسى دگر آن يار بر آمد
گه پير و جوان شد
گه نوح شد وكرد جهانرا بدعا غرق
خود رفت بكشتى
گه همچو خليل از شرر نار بر آمد
نادان بگمان شد الى ان قال
بالجمله هم او بود كه ميآمد وميرفت
هر قرن كه ديدى
تا عاقبت آن شكل عرب وار بر آمد
داراى جهان شد

ثم نبه في آخر هذا الغزل بأن هذا ليس من باب التناسخ ، وسببه على ما انتبهت اليه أن التناسخ هو نسخ الصورة البشرية بتعلق الروح البشري ببدن آخر ، والروح البشري موجود ذهني يتحقق في ضمن افراده فروح زيد غير روح عمرو اذ تحقق الروح بتحقق الفرد بخلاف الروح الامين النازل على قلوب الانبياء والمرسلين ، فانها عقــل كلي وحقيقة واحدة لا تكثر فيها ولا تتغير بتغير الافراد بــل الفرد الذي تتجلى فيه تلك الحقيقة متحقق قبل التجلي ومستحضر موجود بقطع



النظر عن الروح المتحقق في عالم البشرية لا في عالم الربوبية ، ولولا ضعف مدارك البشر وبعدهم عن عالم النور وعجزهم عن ادراك حقائق الامور لما يحتاج حل هذه المسائل وبيان حقائقها بتطويل المقال واتيان الشواهد والامثال ، فان كل ما ذكرناه آيات وشواهد ناطقة بعمش العيون وضعف الابصار وقصور العامة عن ادراك الحقائق والاسرار ، بل ولذلك عبروا عن المعنى بالسر ، وعبروا عن ادراكه بالبصر ليعرف ان البصر عند الروحانيين غير البصر عنــد الجمهور ، وقــد نــزل **« انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »**(١)

واعلم ايها الاستاذ ان المعهود من اخلاق الروحانيين انهم يشيرون في عباراتهم الى المعاني غالبا بالتلويح لا بالتصريح ، وقد نقلوا عبارة عن بعض الائمة انه قال والله انا لا نعد الرجل فقيها حتى يلحن له فيعرف لحن القول ، وقد نقلنا في كتاب الدرر البهية عبارة عن كتاب ( العقد الفريد ) جاء فيه ان سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حــق القرآن انه لا تفنى عجائبه ، فبالله عليك ايها الحبر الجليل لو كــان معاني آيات القرآن ما هو ظاهر يعرفه كل من يعرف اللغة العربية ويتلذذ منه كل من له المام بالعلوم الادبية ، كيف يتم هذا القول ؟ وكيف يصدق قولــه تعالى **« ومــا يعلم تأويلــه الا الله والراسخون في العــلم »**(٢) فلو تفكرت قليلا في ما ذكرناه يتبين لك ان كلام أمير المؤمنين عليــه الســلام في زواج الفواطم ليس محمولا على ما تفهمه العامة وهو الذي قال : « كلامنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان » ، وقد خاطب الله تعالى رسوله

---

(١) القرآن الكريم سورة الحج الآية ٤٦ .
(٢) القرآن الكريم سورة آل عمران الآية ٧ .

الكريم في القرآن العظيم لينبئه على صعوبة القول قليلا **« انا سنلقي عليك قولا ثقيلا »**(١) .

وإني أحب أيها الحبر العلام أن لا تكون ممن يشعر بثقل الكلام ، فيعجز عن ادراك المرام فلا تبلغ الى المنتهى في أحسن ايام ، فلا تظن ان ما ذكرناه من سجية الروحانيين ، انهم كانوا يسترون المعاني تحت ستائر الاستعارات والتشبيهات ، كان ذلك من خوفهم من اضطهاد أهل الاستبداد لا ورب المبدأ والمعاد ، بل لان الاصول والمبادىء التي اعتمد عليها الروحانيون ادلة لفظية خطابية والادلة اللفظية تتشعب فيها المعاني فتتضارب في فهمها الآراء ، اذ تتخللها العبارات المجازية وتكثر فيها المعاني الشعرية والاذواق مختلفة والادراكات ذات مراتب ، فاختار الروحانيون في كل عبارة معنى يوافق البرهان ويجمع جوانب البيان وان بعد عن انظار المستضعفين واستعصى ادراكه مطمع الاكثرين .

وأما ما سألتم عن ترجمة الشيخ الامجد احمد الاحسائي والسيد الاجل كاظم الرشتي الجيلاني ، فاعلم أيها السيد الاريب ان السيد الاحسائي ولد في القرن الثاني عشر الهجري واستشهر بالعلم والفضل وأوجد مذهبا خاصا في المعارف الروحانية وتفسير القرآن والاحاديث النبوية ، ولذلك اشتهر تلامذته في حياته وحزبه بعد وفاته بالفرقة الشيخية ، وكان مذهبه في النمو والتقدم الى ان صعد الى جوار ربه في عام ١٢٤٢ من الهجرة النبوية ، فقام بعده تلميذه الاجل السيد كاظم الرشتي وسعى في نشر تعليمات الشيخ ، واقتفى أثره وروج مشربه ومذهبه الى ان توفي الى رحمة الله تعالى في سنة ١٣٥٨ من الهجرة المقدسة ، والفرقة الشيخية معروفة في بلاد العراق ومنها انتشر مذهبهم

**(١) القرآن الكريم سورة المزمل الآية ٥ .**



الى فارس وخراسان وسائر ممالك ايران ، وليس في الايقان اشارة ما الى انهما كانا من الانبياء وغاية ما وصفهما به فيه عبر عنهما بالنورين النيرين وليست في هذا الوصف اشارة الى رتبة النبوة او الوصاية ، وهذان المقامان غاية ما تطير اليه طيور افئدة أهل العرفان من علماء الاسلام الذين ينبغي لهم ان تكون انظارهم ارقى من انظار سائر الانام ومنظرهم اعلى من مناظر جميع الاقوام ، وعليك منا التحية والسلام ، وقد تم تحريره في شهر ربيع الثاني من شهور سنة ١٣٢٤ ابو الفضل كلبايكاني(١) .

## بسم ربنا الابهى

سيدي العزيز

وصلني كتابك المؤرخ باليوم السادس من شهر مارس الماضي من السنة الحالية ١٩١٢ ، فانشرح صدري من مطالعته حيث رأيت به من سهولة التساؤل وحسن التفاهم بين أهل الشرق والغرب ، فانه مما ينتج احسن النتائج وهو وحدة العالم الانساني الذي سنه قلم حضرة بهاء الله وقام بنشره فرعه الكريم حضرة عبد البهاء ، اذ بها تتم سعادة أهل العالم وتزول المصائب المحيطة بالامم وتنحل عقد المعضلات التي عجزت عن حلها عقول كبار الفلاسفة في هذا القرن الاعظم .

واما ما سألتم عن رأيي في مسألة النشوء والارتقاء ، فاني رغما عن قلة بضاعتي في هذا المتجر وعن الموانع العديدة من تقدم السن

(١) ارسلت هذه الرسالة بمعرفة ناشرها الى مدينة ارض روم لحضرة الفاضل الجليل الكردي علي افندي شوكت جوابا لخطابه المرسل منه.

واحاطة الامراض أجيب عنها حسب داعيكم واقول مقدمة :

(١) مسألة النشوء والارتقاء بسبب الحركة الجوهرية والانتخاب الطبيعي هي من الآراء القديمة وكانت مسلمة بين الهنود والبرهميين ، ولكنها على ما أظن كانت مسألة دينية فأخذها ذلك الرجل الهمام ( جارلس داروين ) وجعلها مسألة علمية ونشرها وبسطها قدام العلماء للبحث .

(٢) وهذه المسألة من فروع مسألة عظيمة اخرى وهي مسألة كيفية ابتداء الخليقة ، فاليهود والمسيحيون والمسلمون كما تعرفون كانوا معتقدين بما جاء في التوراة من خلق السموات والارض وما فيهما وخلق آدم وحواء والزردشتيون كانوا معتقدين بخلق نبات ( ريباس ) وظهور كيومرث واهريمن وانبثاث النسل منه ، والبرهميون كانوا معتقدين بالنشوء والارتقاء وتجنس الانواع وتنوع الاصناف الى عالم القرود فلما تجسد الروح السماوي براهم افترقت الانسانية والقردية فعلى ما اظن هم يعتقدون بأن الانسانية ظهرت من براهم وسلالته لا غير .

(٣) والبراهين التي يقدمها لنا كل فرقة من الفرق المذكورة وبالاخص اصحاب داروين وبخنر من الغربيين، والدكتور شبلي شميل من الشرقيين وغيرهم ممن وجدنا كتبهم ليست مما يقنع من يعرف البرهان العقلي ومن له المام بالمنطق ، فانها قياسات خيالية وادلة تقريبية خارجة عن اداة القضية ولم يوجد بين ما ملئوا به الكتب شيء من البرهان القطعي والدليل المنطقي .

(٤) وعندي ان طريق الوصول الى الحقيقة في هذه المسألة نفيا وايجابا هو البحث عن سبب اختلاف **الاركان** اولا ثم **اختلاف المواليد الثلاث** ثانيا في الآثار والخواص .



(٥) وقد اختلف الفلاسفة في سبب اختلاف الخواص في الاجسام. اذ لا يعقل عندهم تغاير الاثر الا بتغاير الجوهر فذهب بعضهم الى ان سببه **الصورة المزجية** الحاصلة من تركيب الاجزاء وامتزاج الاركان ، مثلا ترى في الادوية المركبة صورة ثانوية وخاصة ثانوية لم توجد في اجزاء ذلك الدواء ، وبعضهم ذهب الى ان اختلاف الخواص تابع لاختلاف الاشياء في الصورة النوعية اذ بها تتميز الانواع بعضها من بعض ، فبزعمهم متى وجدت صورة النار مثلا وجد معها التلطيف والتفريق ، ومتى وجدت صورة الثلج وجد معها الجمع والتكثيف ، وعندي ان اختلاف خواص الاشياء ناتج لا شك عن اختلافها في الصور النوعية ، الا ان اختلاف الصور النوعية ناتج عن اختلافها في الجواهر التي تركبت وتكونت منها مادة كل جسم من حيث الجوهر والمقدار ، فعندي في اي مادة وجدت كمية معينة من جواهر مخصوصة وجدت الصورة النوعية المعينة ووجدت معها الآثار والخواص المخصوصة .

(٦) وتعتقد الفلاسفة ان الاجسام مركبة من جواهر فردة والجواهر الفردة عندهم عبارة عن اجرام صغيرة ذوات وضع غير قابلة للتقسيم متمايزة بعضها عن بعض بالذات .

(٧) والروح الطبيعي تحدث في المركبات من امتزاج تلك الجواهر بسبب فعل الحرارة في المادة الرطبة فتحدث العوالم الثلاث من المواليد المعدنيات والنباتات والحيوانات .

(٨) فالارواح الطبيعية خلاصة تلك الجواهر السارية فيها والحافظة على كيانها ، فالارواح الطبيعية مثل الجواهر متمايزة بعضها عن بعض ذاتا في كل عالم من العوالم الثلاث بأنواعها .

(٩) فينتج مما تقدم ان الارواح الطبيعية جواهر لا اعراض وهي الحافظة على كيان انواعها ، فلا يعقل اذاً تداخل نوع في نوع آخر وايجاد الروابط والوسائل المؤدية الى الوحدة في نوعها •

فاذا علم ذلك فلنرجع الى جواب ما تفضلتم بالسؤال عنه •

اماً السؤال الاول : « هل رأى داروين نفع في عالم العلم » والجواب نعم نفع العلم فان البحث موجب للوصول الى الحقيقة غالبا ، وقد قيل ان الحقيقة بنت البحث •

واما السؤال الثاني « هل اكثر اهل الادراك ميالون الى قبول رأي جارلس داروين ام لا ؟ » والجواب ان كشف هذه المسألة منوط بالاجيال الآتية ، فان كثيرا من المسائل كانت مقبولة عند العموم من قبيل مسألة دوران الارض وسكونها ، فانها على ما صرح به **البيروني** في تاريخ الهند كان مختلفا فيها قبل بطليموس ، فرجح القول بسكون الارض ودوران الشمس والكواكب حولها بسبب بطليموس ، فصار رأي نحو كل العالم تقريبا الى القرون الاخيرة حيث اخذ في الاضمحلال كما تعرفونه ، ومن قبيل مسألة اجرام السماوات وعددها ومسألة قطر الشمس ومقدارها وحقيقتها ومسألة مقدار بعد الشمس عن الارض وامثالها كثيرة •

والى هنا نكتفي في الجواب ونسأل الله تعالى في خاتمة القول ان يؤيدكم في نشر العلم ويمدكم في بسط روح السلام ويعززكم بالعزة الابدية والسعادة الدائمة آمين •

في ٩ ابريل سنة ١٩١٢ (ابو الفضل)



## بسمه الابهى

حبيبي الجليل وصديقي الوفي النبيل ، يا من لا زالت رسوم خلائقه الكريمة مطبوعة في مرآة صدري وآيات مخائله الشريفة مرسومة في صحيفة فؤادي ، وصلني كتابك الكريم في مدينة حيفا وقد كنت مشرفا بحضور من طاف حوله الاسماء خضعت لجنابه رقاب أصحاب الكبرياء وتوارت طيور ليل النقض والنكص من سطوع انواره في ظلمات الموارية الاختفاء ، فقدمته لحضرته وتشرف بقرائته وتلاوته وتوجه الى حضرتكم طرف مكرمته وعناياته ، فذكركم أحسن ذكر بكريم عباراته وفصيح بياناته فصرّح في محضر جماعة من احبائه الكرام الفخام بطريقتكم المثلى في نصرة امر الله في تلك العدوة القصوى ، فابتهل واتضرع الى الله ان يجعلكم آية باهرة من آياته الكبرى وراية مرفوعة لهداية عباده في الممالك العظمى ، كما هو مأمول من خصائلكم الجميلة ومشهود من حسن مشيكم في كل خطوة باطاعته واتباع ارادته واوامره الجليلة انه خير موفق ومؤيد ومعين ، وقد كان ايام اقامتنا في تلك الارض المقدسة قليلة قصيرة حيث صدرت الارادة بمبارحة قطر مصر الى الاقطار الغربية واقامة مدة غير قصيرة في تلك البلاد القصية ، فان ظلمات الشكوك والشبهات قد سرت في تلك الجهات وارادة الله قضت بوقوع النفوس الحديثة في فتن المتشابهات ، ليميز الخبيث من الطيب والغش من الخالص وليظهر الحق من الباطل والثابت من الزائل ، فقد عرفت يا حبيبي حكم التمحيص والتخليص النازل في الكتب المقدسة المحتوم في الوعود الالهية المنصوص في الصحف السماوية ، راجع الاصحاح الثاني عشر من كتاب دانيال النبي عليه السلام لتعرف كيف يمحص الله النفوس

ليتبين النقي الخالص من المغشوش المنحوس ، وراجع الانجيل الجليل لترى كيف يقيم الرب تعالى اسمه يوم نزوله من سماء الجلال ثلة على اليمين وقوما على الشمال ، هؤلاء للسعادة والحيوة الابدية وهؤلاء للازدراء والاحتقار الابدي ، واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين في ظل ممدود وماء مسكوب وفرش مرفوعة وفواكه موضوعة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، واما اصحاب الشمال وما ادراك ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ، كذلك اخبر به الرب القديم في الفرقان العظيم ، ولقد يدهش الانسان ويتحير يا حبيبي من تعاليمهم الباطلة وتفاسيرهم المضحكة، فان احباءنا الامريكيين الذين تشرفوا بالوفود على الارض المقدسة في هذه الايام الاخيرة وقابلناهم في بيروت وسافرنا معهم الى الارض الفيحاء مدينة حيفا اخبرونا بما يتحير منه الاريب ويدهش منه اللبيب ، كيف نفذت كلمة الله في تلك الاقطار البعيدة الشاسعة مع هذه التفاسير الباطلة الضائعة من النفوس الجاهلة الخادعة ، أليس ذلك من عظيم قدرة الله وشديد قوته وسطوع آياته وظهور بيناته ، ولولا ان جماعة من تلك النفوس الطيبة الزكية سافروا الى الارض المقدسة وتشرفوا بالحضرة الفخيمة العلية وسمعوا بأنفسهم بياناته الكريمة ثم جاءوا الى مصر وتلقوا بعض التعاليم الصحيحة ، لاستولت الظلمات الثلاث على كافة تلك الجهات ولادخلوا تلك الامة العظيمة الفخيمة في عداد الاموات ، ولكن الله غالب على أمره محيط بعباده عليم بخفايا الصدور خبير بمكنونات القلوب انه هو الحق علام الغيوب .

ولقد صدر باسم حضرتك لوح كريم ووصلنا اذ نحن في بور سعيد وها أرسله مصحوب هذا الجواب لتقر به عينكم وينشرح به صدركم



وينتعش به روحكم وتزيد به تأييداتكم وفتوحكم ، وارجو من فضلك ان تبلغ تحيتي وسلامي وخالص اعظامي واكرامي الى قرينتكم الكريمة واتمنى من فضل ربي ان تكون هي وقرتي عينكم الكريمتين في غاية الصحة والسلامة والسرور والحبور ، وكذلك سائر احباء الله في تلك الديار ، نرجو من محبتكم ان تبلغوا الى جميعهم خالص التحية والسلام، أيد الله تعالى جميعكم بقوته التي لا ترام وحرسكم بعين حفظه وحراسته التي لا تنام ، واما مقابلة الحضرة الاب المحترم ( مسيو لوازون ) فلا لزوم لها كذلك اقتضت الحكمة الكبرى وعليك التحية والثناء والتكبير والبهاء في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٠٠

ابو الفضل

## هو العزيز

ايها الحبر الجليل ، اعلم وفقك الله تعالى وايانا على الصبر الجميل ، ان الحقيقة المقدسة التي عبر عنها المقربون بالروح القدسية والنفس الكلية وعبر الله تعالى عنها في القرآن الكريم بالروح الامين ، هي غيب في ذاتها مجردة بحقيقتها عن الجسم او الجسمانيات ، فلا توصف بأوصاف الماديات ولا تذكر بخصائصها ولا يطلق عليها الخروج والدخول ولا توصف بالتحيز والحلول ، وانما هي حقيقة تتجلى في مظاهر امر الله تعالى عرشها قلوب الاصفياء ومرآة تجليها صدور الاولياء ، وانما مثل طلوعها واشراقها في النفوس القدسية كمثل انطباع الشمس في المرايا ، فلا يقال ان الشمس حلت في المرآة ، ولا انها دخلت فيها بل ولا يقال انها عرضت عليها بل يقال ان الشمس تجلت في المرآة وظهرت منها واشرقت وانطبعت بها .

ثم اعلم ايها الفاضل الجليل ان الروح المقدسة لم تزل كانت طالعة

من مطالعها وهي واحدة متحدة متفردة في ذاتها لا تعدد في حقيقتها ولا تعطيل لاشراقها والحقائق النورانية المعبر عنها بالكلمة الالهية مثل حضرة الكليم والمسيح العظيم وسيدنا النبي عليهم السلام ، هي مشارق تلك الشمس الطالعة وهي لم تزل تكون طالعة من مشارقها لحفظ الديانة بين البرايا ونشر الانوار في الاقطار ، وليس لها طلوع ولا غروب الا على ما جرت عليها سنن الله تعالى في جميع القرون والاعصار ، وأسأل الله تعالى في خاتمة القول ان يثبتك بالكلمة الثابتة انـه هو ولي الابرار ومفيض الانوار ، وعليك التحية والثناء ما تتابع الليل والنهار ، ثم اعلم ايها الطالب للصعود الى المقام المحمود ، ان امثال هذه المسائل التي تطلب جوابها من صديقك حضرة الفاضل الجليل الشيخ محيي الدين حفظه الله تعالى لا تتم بالرسائل ، فان اطمئنان القلوب منوط بذكر الله تعالى تفكر في قوله عز من قائل **« الا بـذكر الله تطمئـن القلوب »**(١) ومن شرط الوصول المجاهدة الحقيقية والتمسك بذيل التقوى فقد قال الله تعالى **«اتقوا الله ويعلمكم الله»**(٢) وقال ايضا **«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»**(٣) ، فالصبر والصلوة يا حبيبي الجليل يسهل كل صعب وييسر كل عسر ، واما المسائل العلمية هي ايضا منوطة بالملاقاة ، فلما يسر الله لكم ملاقاة حضرة الشيخ محي الدين حفظه الله تعالى يتبين لكم باللسان والخطاب ما لا يتم بالخط والكتاب ، والله تعالى يهدينا واياكم الى محجة الصواب ويعزكم ويمجدكم بفضله في المبدأ والمآب انه هو العزيز الوهاب .

ابو الفضل

(١) القرآن الكريم سورة الرعد الآية ٢٨ .
(٢) القرآن الكريم سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
(٣) القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية ٦٩ .



٢٣ ربيع الثاني ١٣١٥

الى حضرة الاخ الاعز نقولا افندي المحترم جعله الله تعالى نجما بازغا في سماء العلم .

يا سيدي الجليل وصلني كتابكم وقرأته بغاية السرور وشوقا للقائكم، اما ما انتقدتم على قولي انه لا يعقل ظلمة هذه الشمس الظاهرة، بقولكم « اما شاهدت من كسوف الشمس او خسوف القمر او سقوط النيازك وذلك يعلمه كل من له المام بعلم الفلك » فأقول في الجواب نعم يا سيدي شاهدنا الخسوف والكسوف والنيازك وقد شاهدت في سنة ١٢٩٩ هجرية في مدينة طهران كسوف الشمس كسوفا كليا حتى ظهرت النجوم ، الا ان هذه الامور الطبيعية التي وقعت كثيرا وستقع الى ما شاء الله لا تعد من علائم الساعة ونزول سيدنا عيسى عليه السلام ، لان العلامة عبارة عما لا يشتبه بغيره ، حضرتكم اذا ذكرتم علامة عن مكتبكم لتذكرون علامة لا تشتبه بغيرها ، ولهذا لا يعتبر اهل العلم هذه الامور العادية الطبيعية التي كثرت وقوعها في العالم من الآيات الالهية تقطع بها الحجة وتحل بها النقمة ، وما قلنا في الآية ٢٩ من الاصحاح ٢٤ من انجيل متى انه لا بد ان يكون بها معنى معقولا يناسب لسمو مقام كلمات سيدنا عيسى ، كذلك نقول في آية ٤٥ من اصحاح ٢٧ عند وفاة المنقذ المجيد عليه السلام من انه لا بد ان تكون بها معان حقيقية تقبله العقول المستقيمة، وشهادة المؤرخ الفلكي فلاكرت لا تجدي نفعا فانا قلنا ان الكسوف والخسوف والنيازك والزلازل وامثالها امور عادية لا ارتباط لها بالامور الدينية الالهية لتكون شهادة بتجدد العالم وتغيير الدور وانقضاء العالم القديم ، وهكذا نقول على تفاسير الذين صرفوا الالفاظ عن ظواهرها وحملوها على الانقلابات السياسية مثل

خلع الملوك وانقلاب الممالك والمدن فانها ايضا حوادث عادية كثيرة الوقوع ولا تدل على حدوث امر الهي سماوي حتى تكون شهادة كافية وحجة قاطعة .

واما الذين ينتظرون ان تظهر هذه الآيات بظواهرها مثل الاسقف يوحنا زيل وامثاله فلقد اخطأوا المرمى ، كما اخطأ اليهود ايام ظهور سيدنا عيسى عليه السلام لانهم توقعوا النبؤات على مقتضى اهوائهم ، فلقد علمتم ان النصارى يحاولون ان يفسروا او يحملوا جميع بشارات العهد العتيق على ظهور عيسى عليه السلام ، وكما انه مثل ما ورد في الانجيل المقدس من ظلمة الشمس والقمر وسقوط الكواكب وعظائم الآيات ورد ايضا في الاصحاح الثاني من نبوة يوئيل النبي عليه السلام حيث قال **« واعطي عجائب في السماء والارض دما ونارا واعمدة دخان تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخوف »** فاذا تأمل العالم البصير ان هذه الآيات ما وقعت بظواهرها في ايام ظهور سيدنا عيسى عليه السلام ، وان اليهود ما انكروا هذا الفادي العظيم الا بحمل هذه الآيات على ظواهرها ، حينئذ لا يشك ان لهذه الكلمات المقدسة معاني سامية حقيقية خفية عن غير اهلها ، والى هذا اشار بطرس الرسول عليه السلام في الاصحاح الاول من رسالته الثانية حيث قال **« انه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان »** .

هذا بعض ملاحظاتي كتبته على حضرتكم سائلا مستفهما لا مناظرا مجادلا راجيا مؤملا ان تبينوا لنا معانيها الحقيقية واني أراني سعيدا اذا وفقني الله تبارك وتعالى بملاقاتكم وارجو من جميل سجاياكم ان تزودوني بالدعاء وان تقبلوا مني خالص المحبة والولاء ايدكم الله على ما يحب ويرضى وجعلكم وايانا خالصين لوجهه في الآخرة والاولى .

ابو الفضل محمد بن محمد رضا المعروف بفضل الله .



# فهرس الاعلام والامكنة

## الالف

## ب

## ت



## ث





## ج



## ح

## خ



## د



## ذ





## ر



## ز

## س



## ش







## ص



## ط

# ع







# غ



# ف

## ق



## ك

## ل



## م

## ي